

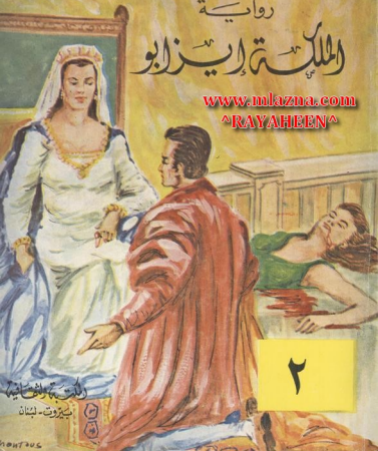
میشال زلیفا کو

روایۃ

الملکة ایزابو

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^



٢

ميشال زيفاكو

رواية
الملكية ايزابو

ترجمة
طانيوس عبّو

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

المجلد الثاني

المنشأة والثقافية
بيروت - لبنان

القسم الثاني

٤٣

حلم برانكايل

لما رأى الفتيان الثلاثة سافان داخلا إلى سجنهم مع الدوق دي بوجونيا
وذكروا ذلك الذعر الذي لا يوصف انضم بعضهم إلى بعض فقال برانكايل .
انه رجل الجزيرة .

وقال برايسكايل : انه ساحر مائدة الرخام .

فارتعش سافان إذ أيقن انهم نفس اولئك الثلاثة الذين كانوا عنده وهم
اولئك الغلمان الذين طالما علل النفس بأن يتصل بدمائهم إلى حل مشكلة
عقبة وجعل ينظر اليهم ويقول في نفسه :

لا شك ان الإقدار أخذت بيدي وانما ظفري بأولئك الفتيان بعد تقديم
دليل على ان مشروع المعطخ سيكون مقروناً بالفوز والتوفيق .

وقد دعا منهم وقال لهم :

أستم انتم الذين عرفتمهم ؟

فقال برايسكايل : يا للهول !

وقال براكايل هوذا الشيطان الرجيم .

وقال برانكايل : رحماك لا تعدنا إلى تلك الكرامى .

ففرح سافان فرحاً عظيماً إذ لم يبقَ لديه شك بأنهم هم انفسهم .

ورقف الدوق ووراثته رئيس حراسه وتوفيل وغلبيوم وكورتيز ،
ينظرون الى رعب اولئك الثلاثة ويمجبون فقد طالما رأوهم يقتحمون الموت
غير هتابين وهم يرتجفون الآن رعباً امام هذا الرجل .

أما سافان فانه التفت إلى الدوق وقال :

هلم بنا يا مولاي او يموت هؤلاء الثلاثة .

- كيف يموتون ؟

- من الحرف .

فخرجوا جميعهم من السجن واقفلوا بابه وصعدوا إلى قاعة السلاح وقد
اشرق وجه سافان بنور الكبرياء والرجاء ونظر إلى الدوق نظرة هائلة لو
ادرك الدوق معناها لطلع قلبه رعباً إذ كان يقول في نفسه :

صبراً ايها الدوق فسيأتي دورك .

ثم قال له الدوق بصوت مرتفع :

- لقد وعدتك وما قيل فقد قيل ففي الساعة العاشرة من هذا المساء

يشقون و ...

فقاطعه قائلاً :

كلا يا مولاي فاني اؤمن ان يكونوا احياء . ولا تخف فانهم سيموتون
عندي كما يموتون على المشقة .

- ليكن ما تريد فسأرسلهم اليك هذه الليلة ولكن ألا تخاف متى ذهب

حراسي ان يتعمدوا عليك ؟

فابتسم وقال :

أم ترَ يا مولاي ما كان منهم حين رأوني ولا شك ان رعبهم سيكون
أشد حين يكونون عندي .

قال : هو ذاك فقد رأيت من تأثير نظراتك عليهم ما ادهشني فمن انت

ومن أين جئت بهذا السلطان على القلوب وكيف تمكنت من أن توحي الي
أوديت عاطفة مخالفة لأميال قلبها وارعبت هؤلاء الثلاثة بنظرة وهم
لا يخافون الموت .

كل ذلك لا يعني ولكن اعلم ايها الساحر انك اذا خنتني بحثت عنك
وتمعبتني ولو لجأت الي جهنم .

فالحني ساقان أمامه بجله الاحترام وقال له :

لا تحتاج يا مولاي الي هذا السفر الشامع لقراني فانك تعرف منزلي وأنا
اعرف منزلك .

فإلى اللقاء يا مولاي فسنلتقي .

ثم ودعه بإشارة لا يسمح بها الدوق حتى لا كفائه وخرج فلقي في القاعة
المجاورة رئيس الحراس فحدثه ملياً وفي ختام الحديث اعطاء زجاجة تتضمن
ساندا اسود .

أما الفتيان الثلاثة فانهم ظموا من رعبهم بعد ساعتين او ثلاث وجعلوا
يتحدثون بأحاديث مختلفة ويحتجبون بقول كلمة عما مضى ولكن ذلك المشهد
لم يبرح قلوبهم .

الى ان رأى برايسكايل ان يضع حداً لهذا الرعب فقال .

اعلموا ايها الرفاق ان كل ما مر بنا لم يكن إلا من قبيل الرؤيا وان
مولانا الدوق لا يسلمنا الي .. الذي تعرفونه ولكننا نشفق فقط .

فقال برايسكايل :

أحق ما تقول . أنشقق فقط .

وقد خيل له ان الشقق نعمة في جانب ما كان يخافه فجعل يضحك .

وعند ذلك سمعوا صرير المفتاح في القفل فذعروا واكتنهم ما لبثوا ان
اطمأنوا فانهم جاؤهم بالطعام .

ولكن لم يكن طعامهم كطعام المسجونين قاصراً على الخبز والماء بل
جاؤهم بأفخر الطعام وبانثني عشرة زجاجة من الخمر فعمل برايسكايل حين

رأها انها من تلك الزجلجات التي كان يسرقها حين افلاسه من القبو وقال
يخاطب رئيس الحراس الذي جاءهم بالطعام مع الخدم .
اذن لا يريدون شفقنا اليوم ؟

فاجابه الرئيس قائلاً :

ومن اخبركم باننا نريد شفقكم ولكن مولانا الدوق يريد سجنكم ثمانية
أيام لأنكم خدعتموه وقد أمرني أن لا اضيق عليكم لانه محتاج اليكم فاطمأنوا .
وقد تركهم وانصرف وهم يكادون يطيرون سروراً فقال برايكابل .
الحق ان مولانا الدوق طاهر السريرة شديد الحلم .

وقال برايكابل :

انه من اهل السيف فهو يعرف اقرانه ويفتخر لهم بعض الغفوات .
وقال برايكابل وقد نظر إلى ذلك الطعام والشراب .

وددت لو أقت في هذا السجن ثلاثة اعوام .

وجلسوا على الطعام فعدوا الزجاجات وقال برايكابل .

انها اثنتا عشر زجاجة يصيب الواحد منا اربعاً منها فلنشرب اثنتين
الآن ونبقى اثنتين للغساء .

فاعترضه برايكابل قائلاً :

ان مولاي ارسل لكل منا اربعاً ولا أدري لماذا يريد ان اشرب اثنتين .
فاعترف برايكابل بأنه اخطأ في الحساب ونتج عن ذلك اولئك ان الثلاثة
كانوا بعد ساعة صرعى الحمر وشعر برايكابل بدوار شديد فوضع يده
على جيبته وقال :

إنني اشرب الحمر منذ عرفت انها تدعى خراً ولكني لم اشعر مرة بما
أشعر به الآن من تأثيرها .

وقال برايكابل :

وأنا لم أتم نومة سكر إلا بعد الزجاجاة العاشرة على الأقل .

أما برايكابل فقد كان ينفط منذ حين ويحلم .

وكان حله مضطرباً فحلم انهم حملوه ونقلوه ولكن لم يعلم إلى أين ؟

غير ان تأثيره كان شديداً حتى انه حاول ان يستفيق فلم يستطع .

وما زال على ذلك إلى ان علم الى أين ساروا به قرأى ان حامله قد نقلوه الى خمارة ووضعوه قرب مائدة رصفت عليها قناني الشراب على اختلافها والطعام على اشكاله :

فكان يصيح قائلاً انه غير جائع ولا يستطيع الأكل ولكنهم حكوا عليه حكماً لا ينقض بأن يأكل جميع ما على المائدة وحذراً من فراره شدوا رواقه وانصرفوا فلم يستاء لهذا الحكم واذن لهم ان يرتكبه وهو يضحك ويقول :

لا تشدوا رواقى وثقوا انى لا اهرب .

وبعد ان قيده وانصرفوا شعر بشبهة شديدة للأكل فنظر الى اوزة وحاول ان يقطعها ولكنه شعر ان يده لا تصل الى الصحن لأنها موقفة فقال :
قيحت عقولهم كيف يريدون ان آكل وأنا موقوف اليدين ولكن لا بد لي من الأكل فقد اشتد جوعي .

وعند ذلك بذل جهداً عظيماً فاستفاق وفتح عينيه فوجد ان حله يتصل بالحقيقة إذ وجد نفسه كما كان في الحلم جالساً عند مائدة ينيرها مصباح ووجد نفسه ايضاً كما كان في الحلم موقوف اليدين والرجلين لا يستطيع ان يحرك غير رأسه .

غير انه كان في قاعة باردة تختلف عن القاعة التي كان فيها بالحلم .

وبعد هنيهة اخذت الحديقة الهائلة تتجلى له لما اراد ان يصدقها في البدء لم يجد بداً من تصديقها ذلك انه رأى نفسه مشدوداً الى الكرسي الذي لم يبرح ذعنه منذ اثني عشر عاماً .

ورأى تلك المائدة الرخامية نفسها فعلم انه في منزل الساحر وان انيناً مزعجاً أجابه عليه برايسكايل وبراكابيل بثله فانهما عرفا ايضاً تلك القاعة

التي طالما انتظروا الموت فيها وقد عادوا ايضاً الى لقبهم القديم وهو
الأحياء الثلاثة .

ومضت ساعة لم يسمع في خلالها غير صياحهم فإذا سكوت الواحد صاح
الأخر وغالباً كانوا يصيحون جميعهم صيحات واحدة إذ لم يبقَ لهم شيء
من الرجاء فان ذلك الميت لم يكن على مائدة الرخام فيحيى بعد موتهم
ويفك قيودهم .

وكانوا لا يحسرون ان ينظروا إلى ما كان في تلك القاعة فينظر كل
منهم الى رفيقه كأنهم يلتصقون العزاء بهذه النظرات الى ان خرجوا من
أنفسهم لهذا الرعب فقال برايكابيل :

اننا لم نعد قلعاناً .

وقال برايسكايل .

اننا رجال .

وقال برايكابيل .

اننا اشداء نستطيع الدفاع .

فأجابهم صوت هلمت له قلوبهم من الخوف .

بل انتم الأحياء الثلاثة .

فارتعدت فرائصهم وودوا لو خسفت بهم الارض ولكن عيونهم بقيت
شاخصة إلى سائان .

أما سائان فانه دنا منهم وجعل يفحصهم ويقول في نفسه :

نعم انهم رجال ولكنهم هم أنفسهم . فمن الذي جاءني بهم أهي الصدفة

ام هي تلك القدرة العظيمة الخفية التي تريد نجاح مشروعي .. يقولون انهم

رجال .. نعم ومن يعلم فقد يكون ذلك من احد الموانع .. لقد قرأت

في الكتاب الذي سرقت من فلاميل انه يجب ان يكونوا غلعاناً انقياء الدم .

وقد امتنع عند ذلك عن مراقبتهم وجعل يسير ذهباً وإياباً ببطء

وهو يتأمل ويقول في نفسه :

لقد قال انه يجب ان يكونوا غلماناً وهم الآن شبان فلماذا لا أجرب .. بل لماذا اجرب دون ان اكون واثقاً فاني استطيع ان اجعل اولئك الشبان فتياناً كما فعلت بلورنس دي ايزم فقد ارجعت ذاكرتها الى عهد اثني عشرة سنة مضت فباتت كأنها في ذلك العهد فاذا فعلت مثل ذلك بأولئك الثلاثة واعدتهم بذاكرتهم إلى ذلك العهد الذي كانوا فيه عندي اصبحوا غلماناً وبانت دماؤهم نقية .

وقد فاه في مهامه التأملات نحو ساعة وبعد ذلك جاء الى الفتيان وهم يصبحون فقال لهم :

اسكتوا واصغروا إليّ فقد قلت لي انكم رجال وحسناً فعلمت بما قلتوه لأنني كدت انسى ولكن اصبروا فأعيدكم غلماناً بعد ثلاثة ايام .

٤٤

سفر هودي

وكان الشفاليه هردي دي باسغان قد اوقف جواده خارج اسوار باريس وهو في أشد حالات اليأس لأنه لم يثمرن بعد في هذه الحياة وقد بالغ في تجسم مصيبتة حتى حسب انها لا دواء لها وحسب ان شرفه قد تدنس امام الملك وامام اوديت وهو لا يعلم انها قد تصفح عنه بنظرة .

ولذلك عول على ان يعوّد الى باريس فيعرض نفسه لأعدائه فيموت هناك ودفع جواده ولكنه بدلاً من ان يدفعه في طريق باريس كما كان ينوي سار به في طريق بيارفون .

وذلك ان الإنسان مزدوج وكان يقول في نفسه :

اني لا درم لي وأنا متهم بقتل الدوق دي أورليان والجنود تطاردني في كل مكان والملكة والدوق دي بورجونيا حاقدان عليّ والملك يحقرني لأنني

لم أرواه في الموعد المعين وقد انتقذني من الموت مرتين فأية فائدة لي بعد من هذه الحياة وغير من افعل ان اعود الى باريس واقتل فيها .

هذا الذي قدره وقوى عليه حين دفع جواده ولكنه لم يلبث ان اطلق له اللعنان حتى دفعه في طريق بينارفون وذلك ان الإنسان الثاني فيه قد انقلب على الإنسان الأول ودفعه حيث أراد .

وبما زال سائراً حتى وصل الى الفندق وقد انهكه الجوع فوقف امامه وهو لا مال له وجعل ينظر الى فتاة حسناء كانت واقفة عند بابيه .

فلما رأته الفتاة واقفاً عند الباب قالت له :

ان هذا الفندق من أفضل الفنادق ، يا سيدي ، فعلى ماذا تبحث ؟

قال : اني ابحث عن طريق بينارفون .

قالت : انها من هنا ودلته بيدها ، ثم قالت له :

ولكنك لا تستطيع الوصول اليها دون طعام .

قال : هذا الذي كنت اتجسس به نفسي أيتها الحسنة ولكن ..

ثم ترجل عن جواده ودخل الى الفندق وهو يعلم يقيناً انه لا درهم بيده ، ولكنه فعمل ما يفعله كل إنسان حين يعضه الجوع يثابه وكان أول ما فعله انه أكل وشرب زجاجة من الخمر ، ثم جعل يفكر كيف يدفع ثمن الطعام والشراب .

وفيما هو مطرق مفكر حانت منه الفتاة الى قبضته الموضوع على كرسي فرأى عليها ابرية من الفضة .

فانزعها عنها وفأدى صاحبة الفندق فقال لها :

ليس لي أيتها الحسنة ثمن الطعام الذي أكلته .. لا تقطعي حاجبيك الجميلتين وخذي هذه الابرية فقد تساوي ثمن الطعام الذي أكلته .

فأخذت الابرية وقعدت فيها ، ثم قالت :

انها تساوي ضعف ما أكلته .

قال : إذن ، ليضع أحد خدمك في إحدى فرجتي جوادي علفاً للجواد
والثانية طعاماً وشراباً لي .

قالت : سيكون ما تريد ايها الفارس الجميل .
وقد اتفق ان صاحبة هذا الفندق كانت شريفة فاتها علمت ان هذه
الابزيمه لا تساوي قيمة الطعام ولكنها آبت ان تستوفي منه الثمن مستعصية
عنه بنظرة وابتسامه .

وبعد ساعة خرج هاردي من الفندق وهو يفكر بهذه المرأة ولكنه لم
يسر مرحلة حتى برحت ذهنه ونسيها كل النسيان .

وما زال سائراً حتى وصل الى قصر بيارفون وكان الحراس على الباب
قدنا من أحدهم وقال :

اني أسأل مقابلة الملك ، فهل ذلك ممكن ؟

فمجب الحارس لسؤاله وقال :

ان الملك ، يا سيدي ، في قصره وليس هذا قصره .

- كيف ذلك أهو في قصر سانت بول ؟ ألم يأت الى هنا مع المدعو زيل
دي شامديفر يخفوه حرامه ؟

- لا يوجد ، يا سيدي ، هنا غير أرملة نبيلة تبكي زوجها المقتول غمراً
ورجالها الذين يحشدون بنية الانتقام ولكن ..

وقد خامر قلب الحارس للشك وحسب ان هذا الفارس من جواسيس
الدوق دي بورجونيا .

وكذلك الشفاليه فقد خطر له ايضاً خاطر فجاتي فقال :

هل استطيع التشرف بمقابلة السيدة دي أورليان لأحداثها بشأن زوجها
النبيل فقد استطيع ان اخبرها بما تجهله .

فنظر الحارس اليه محمداً فأعجبتته هيأت وقال له :

اذا كان ما تقوله اكيداً فان الله قد ارسلك وتكون قد خدمت مولاي

الكونت دي أرمانياك خدعة جلييلة ، فهل سمعت اتفاقاً برجل يدعى
باسافان ؟

- بل اني اعرفه .

- أتعرف اين يقع ؟

- نعم .

- إذن ، تعال معي .

وسار الحارس يتبعه هاردي ، وهو يفكر تفكير المهموم حتى مر به
بتكان في القصر علا فيه الضجيج .

فقال له هاردي : ما هذا ؟

- هذه هي قاعة السلاح بل هي ثكنة القصر ويوجد فيها الآن القا رجل
ويوجد ايضاً مثلهم في ثكنة الحراس ولكن تعال .

فتبعه هاردي حتى وصل به الى أول قاعات الدوقة ، وهناك اوقفه
فقال له :

لا بد لي قبل إدخالك ان اخبر رئيس الحجاب باسمك ، فاذا تدعى ؟
قال : اني ادعى هاردي دي باسافان .

ثم فتح الباب بنفسه ودخل غير مكترث للحارس .

اما الحارس فانه عجب لجرأة هذا القاتل الجسور وكان مطمئناً على
الدوقة لوجود الحراس فتركه يدخل بالرغم عنه واسرع الى الثكنة التي كان
الرجال يجتمعين فيها .

وكانت هذه الثكنة شديدة الاتساع وقد التقى فيها نحو ألفي رجل من
قبلاء الأقاليم ، وكلهم من اعوان الكونت دي أرمانياك واعداء الدوق دي
بورجونيا وقد وقف احدهم خطيباً فقال :

ان رجال دي بورجونيا قد تجاوزوا بفتحهم الحسد فاذا لم يتعرض لهم
اشراف فرنسا ويوقفوا تيارهم جرفهم لا محالة .

وان دوقهم الذي تعضده الملكة اغتم فرصة ضعف فلم يكتم نيته من بغية التسلط على باريس وإذلال النبلاء ، أترضون بذلك ؟
فعلت اصوات الجماهير وصاحوا كلهم بصوت واحد كهزيم الرعد قائلين :
الانتقام ، الانتقام .

قال : هو ذاك فان الانتقام لا بد منه وانتم تعلمون ان لدينا ادلة كثيرة تثبت ان دوق دي بورجونيا هو الدافع لقتل رئيسنا ومولانا الدوق دي أورليان ذلك النبيل الذي سقط قتيلاً في شارع مقفر دون ان نجد قاتله ، ولكنكم تعرفون القاتل الحقيقي .
فصاح الجميع قائلين :

الانتقام ، الانتقام .
وعند ذلك دخل الحارس الذي ادخل هاردي وسار توأ الى الخطيب وهو السير دي كوسي .

أما هاردي فانه دخل الى قاعة النبلاء فرأى امرأة لابسة ملابس الحداد جالسة على كرسي وبعض النبلاء واقفون بين يديها بملء الاحترام .

ولم تكن تلك النبيلة الطيبة تبكي لانشوب الدمع من عينيها فقد كانت تعبد زوجها عبادة ، في حين انه كان يميل عنها الى غيرها ، كما عرفناه ولا يكافئها عن وفائها إلا بالحيانة ، فلما قتل زوجها ماتت امانتها بالحياة وقد سمعها كثيرون تقول :

لقد ذهب معنى الحياة فلا خير في لفظها .
وقد دنا هاردي من الدوقة ورفع امامها ، فقالت له بلهجة كئيبة :

من أنت ؟
قال : اني ، يا سيدتي ، رجل نبيل انقذه الدوق دي أورليان مرة من الموت .

فتأثرت الدوقة تأثراً عظيماً من نبرات هذا الفارس الجميل الذي كان أول اقواله الثناء على زوجها وقالت له بلطف :

اوضح ما تقول . .

قال : اني اضطرت ليلة ، يا سيدتي ، الى تجريد حسامي في وجوه اربعة من يدعونهم نبلاء وهم لا يستحقون هذا اللقب .

فذهلت الدوقة وقالت :

أفانلت اربعة وأنت فرد ؟

— نعم ، يا سيدتي ، لأن هؤلاء الأربعة كانوا يهاجون امرأة .

فنظرت اليه الدوقة فظرة رضى وقالت له : أتم حديثك .

— يظهر ان هؤلاء الأربعة وجدوا انفسهم غير كفوء لمقاتلتي فاستنجدوا باتباعهم فانقضوا عليّ من كل صوب لما شككت بالموت .

وعند ذلك جاء زوجك النبيل وأشار إشارة بيده فأنقذني بها من هذا الخطر الهائل .

وكانت تلك الإشارة إشارة ابطال يا سيدتي لأنه اوقف بها رجلاً من ألد أعدائه وربما كانت هذه الإشارة احد اسباب قتله .

فندرت على نفسي يا سيدتي منذ تلك الساعة ان اغتتم الفرص فأسفك دمي في هذا السبيل او في سبيل الدين بحبهم .

وقد وصلت را أسفاه الى شارع برييت بعد فوات الأوان ، ولكن هذا السيف الذي تقلده لأشق به صدور اعدائه أضمه في خدمتك يا مولاتي . .

فخفق صدر الدوقة وقالت له بلهجة حنو :

اشكرك ايها السيد ولكن كيف اتفق ان يكون لك مثل هؤلاء الاعداء

الذين يريدون لك الموت وأنت في مقتبل الشباب ؟

فأجاب بلهجة تشف عن السويداء :

اني اصغر مما تحسبن يا سيدتي واني مدين بهذه الحياة القصيرة لزوجك

منقذي ، وإنما اقول حياتي القصيرة لأنني أقمت في السجن اثني عشر عاماً .

— انت اتمت في السجن هذه المدة ، وماذا جنيت ؟

- الحق اني لا اعلم يا سيدتي وانما ذكرت لك هذه الحادثة لأخبرك بأني ما تسكت بهذه الحياة إلا اني لم أعش غير الليل ولذلك كان امتناني لمتقدي لا يحيط به وصف ولا يعادله غير امتناني للملكة ايزابو .

وعند ذلك نهض وحال ان يذكر للدوقة اسمه ويحتج على تلك التهمة الهائلة التي لفقها رجال الدوق دي بورجونيا .

غير ان الدوقة قاطعته قائلة :

الملكة .. ألعها أنقذتك ايضاً ؟

- كلا يا سيدتي ولكنها فعلت ما هو غير من ذلك .

- ماذا فعلت ؟

ان الملكة يا سيدتي لو سألتني حياتي لقدعتها لها كما اقدمها لك ، وذلك انه في شهر يونيو سنة ١٣٩٥ انتزعوا طفلة من امها تبلغ الخامسة من عمرها وهم نفس اولئك الذين ألقوني في السجن .

فارتعشت الدوقة لهذا التاريخ وقالت .

تقول في شهر يونيو سنة ١٣٩٥ ؟

- نعم يا سيدتي ، فان الطفلة كانت تدعى روزالي والأم لورانس دي ايزيم وكانت كل عائلتي إذ كنت أحب لورانس كأختي ، وأما روزالي فقد كانت حياتي .

وقد قيل لي انهم ساروا بها ال قرية تدعى فيلرس .

فاضطربت الدوقة وقالت :

فيلرس .. شهر يونيو .. سنة ١٣٩٥ ؟!

فدغل هاردي وقال : أجل يا سيدتي .

- أم تكن زرقاء العينين شعراء الشعر ؟

- هل عرفتها يا سيدتي ؟

- اما هي تلك الطفلة التي عرضت في الكنيسة ؟

- سيدتي .. سيدتي .. يظهر انك عارفة كل حكاية روزالي المزفة
- وانها مرت بها سيدة فبجأة فأنفذتها من إهانة العرض .
سيدتي ان هذه المرأة النبيلة كانت الملكة .
- الملكة ؟

أجل يا سيدتي ، ولذلك قلت لك اني اعتبر نفسي مديناً للملكة الى ان
أني بالدين بسفك دمي بخدمتها .

فرفعت الدوقه عينها إلى السماء ثم نظرت الى هاردي وقالت له :
نعم اني اعرف حكاية هذه الفتاة واعرف اسمها الحقيقي ولكنك انت
لا تعرف الحقيقة فلا يجب ان تحمل هذا القدر من الامتنان لمن لا تستحقه .
- سيدتي ماذا تقوين ؟

- أقول اني تبيئت من عينيك ومن كلامك الاخلاص الأكد فاذا كتبت
عذك الحقيقة أسأت الى قلبك النقي وأسأت الى الإخلاص وأسأت الى الله
فاعلم إذن ان تلك السيدة التي انقذت روزالي من إهانة العرض وحملتها بين
يديها لم تكن الملكة ايزابو .

فراجع هاردي مندعراً وقد شعر عند ذلك بعاطفة غريبة لم يعلم تأويلها
وهي عاطفة الخلاص من دين ايزابو وإمكان محاربتها فقال :
اذا لم تكن الملكة فمن هي ؟

- هي أنا .

فركع هاردي عند سماعه هذا القول ، كما ركع عند دخوله وجعل صدره
يخفق خوفاً عظيماً وقد حبس لسانه عن الكلام فكان سكوته افصح بيان
لشكره وامتنانه .

وعادت الدوقه الى الحديث فقالت :

اني عندما رأيت بعد ذلك تلك التي تدعوها روزالي ..

فنهض هاردي وقد اصفر وجهه وبرزت عيناه ودنا من الدوقه وهو لا
يعلم ما يصنع فقبض علي وقال :

سيدتي أوصل اليك باه ان تنقبني لما تقولين لأنك تحملينني على الظن
بأن روزالي لا تزال في قيد الحياة .

- نعم انها في قيد الحياة .

فطاش رأس هردي فقال :

أهي في قيد الحياة .. سافان .. سافان الزبل لك بما كذبت .. أحق
ياسيدتي ما تقولين .. روزالي في قيد الحياة .. ابن هي وماذا تصنع ...
وبأي اسم تدعى . سألك العقو يا سيدتي فقد علمت انها كل حياتي .

فصاوت الدوقة ان تقول له :

ان روزالي تقيم في قصر سانت بول وتدعى اوديت دي شامديفر .

ولكن الباب فتح بمنف في تلك اللحظة ودخل منه الكونت دي
ارمانيك يتبعه عشرون نبيلاً فدا من الدوقة وقال :

سيدتي أتعرفين ماذا يدعى هذا الرجل المائل بين يديك ؟

- ماذا يدعى ؟

- لقد كنت واثقاً بأنه لم يذكر لك اسمه فاعطني يا سيدتي انه يدعى
هردي دي باسافان .

فتراجعت الدوقة متذعرة وقالت :

قاتل زوجي .

نعم اني ادعى هردي ، شفاليه دي باسافان ، وأبي باسافان ، الملقب
بالباسل ، واسم ابي وحده كاف لتبرئتي فاحذر يا كونت بما ستقوله وانتم
جميعكم ماذا تقولون بن باسافان ؟

فكانت الدوقة تنظر اليه نظرات اعجاب وتقول في نفسها :

كلا ان هذا الفتي لا يمكن ان يكون القاتل .

فقال الكونت دي ارمانيك :

أأنت هو ذلك الرجل الذي انقذ الملكة ايزابو من عصابة المردة بمجرد

ظهوره لهم ؟

– نعم انا هو ولكني أراكم تنهونني .. اسكتوا ايها الأسياد واعلموا ان امري لا يتعلق بجياني بل بشرفي فأنتم تقولون ان المردة انصرفوا حين رأوني ولكن ذلك زور فانهم هربوا والفرق بعيد بين الحالتين كما ارى .
فقال للكونت :

أأنت هو ذلك الرجل الذي احسن معاملة تونفيل ورفاقه في فندق سانت مرتين ؟

فضحك هردي وقال :

لقد احسنت بلشويه وجوهمهم .

– لا تضحك ايها الرجل فليس هذا الوقت وقت ضحك .

– اني اضحك امام الموت فكيف لا اضحك امامك . ثم التفت إلى

الدوقة وقال لها :

سيدتي اسألك العفو عن ضحكي فان هذا آخر ضحك اضحكه كما ارى من غطة هؤلاء الأسياد .

فنظر ارمانياك عند ذلك الى الدوقة وقال :

انت يا سيدتي الدوقة وانتم ايها الأسياد لقد سمعتم ان الشفاليه هردي دي باسافان صديق الملكة صديق المردة صديق البورجونيين الذين تظاهروا بالأمس انهم يطاردونه للقبض عليه والحقيقة انهم كانوا يهدون له سبيل الفرار وانت يا شفاليه دي باسافان أتقسم بالله انك لم تكن في شارع بربيت ليله الجريمة ؟

فابتسم هردي ابتسام حزن وقال :

اقسم بالله اني في ليله الجريمة لم أكن فقط في شارع بربيت ، بل كنت قرب الدوق النبيل .

فساد السكوت على الجميع وقال هردي :

اني انتظر ان تصرحوا بما تعتقدونه .

فقال ارمانياك :

اني اعتقد بأنك قاتل ابن عمي اورليان وانتم ايها الاسياد لما تترثون به ؟
فأجابوه جميعهم قائلين :

— أي عقاب يستحقه هذا القاتل ؟

— الموت : الموت .

فجرد هردي حسامه الطويل وأسند رأسه الى الأرض وقال :

وانتم ماذا تستحقون لانهامكم رجلاً مثلي بحرية فظيعة دون برهان اني
اتهمكم جميعكم وأقول ان حكمكم زور وانكم اجتمعتم ثلاثين رجلاً لتنفيذ .

فصاحوا قائلين : ليمت في الحال .

فقال هردي : حسناً فليمت ومن الذي يريد ان يبدأ بقتلي ؟

فصاح ارمانياك قائلاً .

أقتلوه .

فلمح حسام هردي وهجم الجميع عليه وبات قتله محتملاً مقضياً ولكن
الدقيقة اسرعت في تلك اللحظة بينه وبينهم وصاحت قائلة :

قفوا في مواضعكم فأنا صاحبة الأمر هنا .

فوقف الجميع مندهلين وقال ارمانياك .

ولكن يا سيدتي ..

فقاطعته قائلة بصوت ملوّه الجلال .

انه ضيفي .

فأخذ هردي حسامه كأنها هذه الكلمة كانت مقدسة عنده .

أما رجال ارمانياك فقد تددت عيونهم وجعلوا يتشاورون بالنظر .

وقرأت الدوقة صحة العزيمة في عيونهم فأسرعت الى فتح باب وقالت

لهردي : تعال فقال هردي مخاطباً الجماعة .

انكم اهنتموني ايها السادة وأنا أهنتكم ولكننا سنلتقي .

ثم خرج من ذلك الباب الذي فتحته الدوقة فتبعته .

أما الكونت دي ارماتياك فقد رأى ان لا يطيع الدوقة هذه المرة
ودخل من ذلك الباب بغية قتله في الحال ولكنه لم يجد غير الدوقة فقال :
ماذا صنعت يا سيدتي ؟

— لقد انقذت .

— لقد ارتكبت خطأ عظيماً وانت تحسبن انك احسنت .

وكانت الدوقة قد قالت لهردي حين تبعته ، اخرج من هذا الباب
وامرع فانهم سيتبعونك .

وقد فتحت له باباً آخر .

اني افضل الف مرة ان أموت هنا على ان تمتددي بصحة تلك التهمة
الشائنة فهل تفسمين بالله يا سيدتي انك لا تمتددين اعتقادهم ؟

— افسم بالله يا سيدتي انك لا تمتددين اعتقادهم ؟

— افسم بالله انك حاولت انقاذ زوجي التمس وانك وصلت بعد فوات
الأوان كما اخبرتني .

فركع هردي وقبل بدها فشمرت الدوقة بجمرة دمعتين على تلك
اليدي ثم قال :

أنتمتددين اني جدير بأن ارى روزالي ؟

— نعم وسأقول لك ماذا تدعى وأين تقع ولكن اسرع الآن بالذهاب
فاني اسمع الآن اصوات صياحهم وازل على هذا السلم وعندما تبلغ آخر
درجاته تجد رجلاً قتل له فقط ، ان عرابية اوديت ارسلتني اليك ، اذهب
وليحرسك الله .

فخرج هردي وهو يقول في نفسه :

اوديت .. ان هذا الاسم يحميني هنا كما حمايني هناك واخرجني
من السجن .

وعندما وصل الى آخر السلم لقي الحارس وقال له كلمة السر فأخرجه
من القصر من باب خلفي فسار به في دهليز تحت الأرض .

ويعد ان اجتاز بابين من الحديد وصل الى اقبية فندق كان مبنياً هناك خاصة لاخفاء ذلك المدخل السري .

وهناك همس الحارس كلمة في اذن صاحب الفندق وانصرف فأصرح صاحب الفندق الى احضار جواد وقال له ردي :

اني انصحك يا سيدي أن تسرع بالرحيل فانهم لا يخرجون من هذا الباب إلا في أشد ساعات الخطر .

فاتصع هردي بهذه النصيحة وامتطي جواده وسار به ينهب الأرض حتى بلغ الى الغابات .

وفي تلك الساعة كان الكونت دي ارمانيك ارسل رجاله في اثر هردي بعد ان بحث عنه بحثاً دقيقاً في القصر ولكنهم ذهبوا بعد فوات الأوان .

اما هردي فانه بعد ان كان مهدداً بخطر الموت قتل أصبح مهدداً بالموت جوعاً .

غير انه سار وهو ضاحك التفرغ غير مكثرت لهذا الخطر الجديد ولذلك الخطر القديم الذي يتهدده حين دخوله الى باريس وكان مسروراً لسببين .

احدهما انه بات غير مدين بشيء للملكة ايزابو بعد ان علم ان الدوقة انقضت روزالي بحيث بات يستطيع ان يقاوم الملكة في سبيل انقاذ اوديت .

والسبب الثاني ان روزالي لا تزال في قيد الحياة .

وقد جعل يجهد فكره على يعلم السبب الذي حمل ساغان على القول بأن روزالي ماتت وان الملكة انقضت من موقف العرض والتشهير فلم يند

إلى معرفته .

ولذلك عول على ان يقابل ساغان ويقف منه على سبب هذا الخداع ولكنه كان مع ذلك ملشراح الصدر لأن الدوقة وعدته بأن تخبره عن اسم

روزالي الجديد وابن تدم .

وقيا هو يسير وقف فجأة واصفر وجهه وذلك انه كان يفتكر بروزالي ولكنه لا يرى غير وجه اوديت .

وقد علم لأول مرة انه يجب اوديت فتألم وجعل يتحتم قتلاً :
روزالي .. اوديت .

وما زال يفكر بها حتى اشتد جوعه والهاء عن كل غرام وبلغ الى فندق
ليتבוד وهو يكاد يسقط لفرط جوعه .

فكاد اول ما فعله انه ادخل جواده الى الاصطبل ودفع له العلف خلصة
وهو لو قطعت بداه لما سرق .

وقد كبر عليه ان يدخل الى الفندق ويأكل فيه دون ان يدفع ثمن
طعامه لا سيما وهو مدين لذلك الرجل الذي يدعى انه كان السبب في خرابه
وجعل يسير هائلاً في شوارع باريس .

وما زال على ذلك الى ان أظلم الظلام ووجد نفسه انه في الجزيرة
فذكر كذب سافان وقال في نفسه :

هوذا فرصة اقتنمها لسؤال هذا الساحر كيف قال لي ان الملكة قد
التقطت روزالي وان روزالي قد ماتت .

وعند ذلك غطى وجهه بيده إذ ذكر اوديت وقال في نفسه :

تري ماذا أصابني ؟ أتحوّل قلبي الى قلب جلاذ ا أبت محتقراً كالدوق
دي بورجونيا والملكة ايزابو ؟ .. أحتق اني أأسف الآن لأن روزالي لا تزال
في قيد الحياة .

غير ان هذا المنكود كان منخدعاً في نفسه فانه لم بأسف لحياة روزالي
بل كان كل سروره لهذه الحياة وهو لا يعلم .

ولكن امام رسم روزالي كان يتجلى له رسم آخر .

وقد أهّاه الجوع مرة اخرى عن هذه الافكار وأجل زيارة سافان وسار
حتى انتهى إلى شارع ضيق وهناك شعر ان بدأ قد وضعت على كتفه وصيح
صوتاً رخيماً يقول له :

هل انت تبحث عني يا سيدي الشفاليه ؟

فنظر هاردي الى تلك الفتاة التي كلمته وأراد ان يحول نظره عنها
ويسير في سبيله لاعتقاده انها من بنات الهوى
فقال له : كيف ذلك ، ألا تشرفني بالاستراحة ساعة في بيتي ؟
ثم اطرقت الفتاة برأسها وقالت له :

انك تستطيع الحضور دون خوف ، فان منزلي اصبح طاهر ، وستكون
أول رجل دخل اليه ، وأكون سعيدة بتذكرك زيارتك .
فتراجع هاردي مضطرباً وقال :

اني لا درم لي ابتها الفتاة ، ألا ترين اني اضرب من الجوع ؟
واصفر وجه الفتاة وقالت :

جائع .. رباه ماذا اسمع .. انت تجوع ؟

- كفى يا ابنتي ، والحقيقة اني اريد ان اوصل سيرتي .

- كلا ، فان الهوى ظاهرة في عينيك ويدك باردة وجسمك يرتجف ...

تعال .. تعال معي او احسب ان ذلك الفارس الجميل الذي قاتل اربعة من
اجلي وأعطاني ديناراً . لم تدفعه الشفقة الى ما فعل بل الكبرياء .

فذهل هاردي ونظر محققاً الى الفتاة فعرف لجمال انها هرمين تلك الفتاة
التي كانت السبب في عدائه مع تونفيل ورفاقه يوم أنقذه الدوق دي
أورليان منهم .

وعند ذلك تبعها طائماً وسار معها الى ذلك الشارع الضيق حتى ادخلته
إلى غرفة لم يكن فيها شيء من الأثاث يدل على انها من بنات الهوى بل كان
كل ما فيها يدل على انها من المتعبدات الصالحات ، فقد كان يوجد على
مائدة خشبية صورة العذراء وأمامها مصباح وتحتها كتاب للصلاة ومسبحة
ودينار ذهبي .

فأخذت هرمين الدينار وقالت له :

هذا هو الدينار الذي اعطيتني إياه ، وقد اتفق لي أيام جمعت فيها

ولكني لم أشأ انفاقه إذ خيل لي بأنه جاء بالسعادة الى منزلي لانك كنت أول رجل كلمني دون احتقار ولانك خاطرت بحياتك من اجلي .

- حياتي ... لو تعلمين ان حياتي لا قيمة لها لما كنت ممننة لي .

فقلت : اما اللية فقد استعضت بوجودك عن هذا الدينار ولذلك سأنقعه .

- وأنا اوافقك على انفاقه .

فنادت هرمين قائلة :

تعالي يا حنة واجلسي مع هذا الشفالييه الذي تفضل بقبول ضيافتنا .

- من هي حنة هذه ؟

- انها فتاة حسنة السيرة تقم في هذه الغرفة المجاورة لغرفتي .

- وعند ذلك أخذت هرمين الدينار وخرجت وهي فرحة القلب ودخلت

أمرأة اخرى .

وكانت هذه المرأة لورانس دي ايزيم .

٤٥

حنة

ان هذا الشارع الذي تقم فيه هرمين ولورانس كان من الشوارع الخاصة بنبات الهوى ولما خرجت لورانس من قصر سانت بول بعد ان قابلت بنتها اوديت جاءت قرأ الى هذا الشارع .

وكانت خطة سافان بشأن ذاكرة لورانس منقسمة إلى قسمين ، فكان يحاول بالأول ان يجعلها تنسى الماضي كل النسيان ، وبالثاني ان تذكر كل ماضيها فاذا اراد الأول جعلها تتذكر انها حنة وانها تقم في شارع بنبات الهوى ، وانها لا تذكر شيئاً من ماضيها .

وإذا اراد الثاني جعلها تذكر حقيقة امرها وانها تدعى لورنس دي ايزم وابنتها روزالي وعشيقها دوق دي بورجونيا وانها وصيفة الملكة الى غير ذلك من حوادثها الحقيقية .

ولكن عواطف قلبها كانت تقتصر احياناً على شراب سائلان فيعود اليها شيء من ذاكرتها فإذا طلب اليها حين ضاع ذاكرتها ان تقتضي بنات الهوى تأنف من ذلك وتنفّر نفوراً عظيماً دون ان تعرف السبب .

وقد اتفق لها اية انها دخلت الى غرفتها وفتحت صندوقها وأخرجت منه كل ما محتاج اليه بنات الهوى من ادوات الزينة والبهرجة فوقفت امام المرآة وجعلت تزين نفسها على طريقة بنات الخلاعة وهي تشعر انها مدفوعة الى ذلك بقوة خفية عظيمة لا تغلب فتنفرو وتبكي ولكنها لتبهرج وتزين على تلك الطريقة المنكرة بالرغم عنها .

حتى اذا انت تريثها خرجت الى الشارع ، فلم تسر بضع خطوات حتى رأتها شرذمة من أولئك المومسات ، ورأين جمالها ، وانها لابسة ملابسهن فأذكرن عليها المزاحمة اذ حين انها تقف في شارع آخر ، وانها انت الى هذا الشارع لمزاحمتن الشائنة .

فتألمن عليها وجعلن يرسمنها شيئاً ووعيداً ويقلن لها إذهي الى شارع وادي الحب فليس هذا مقامك .

فصافت المنكودة شهرن وجعلت ركض هائجة وهي تتلفت وراءها حتى توارت عن انظارهن .

وكانت قد تجاوزت ذلك الشارع الى شارع آخر لا يقع فيه احد من أهل الدعارة .

وهناك وقفت حائرة لا تعلم الى أين تسير ، ولكنها ذكرت ان أولئك اللواتي كن يطاردنها كن يقلن لها إذهي الى شارع وادي الحب .

وبينا هي واقفة مر بها جنسدي من الشرطة المحافظة فنادته وسألته ان يرشدها الى شارع وادي الحب وهو اشهر شوارع المومسات .

فمجبب الجنسدي لسؤالها ، اذ رآها بلباس بنات الهوى وانها لا تكتم امرها عن الجنسدي وهي تعلم ان امثالها لا يحق لمن الإقامة والمسير إلا في شوارعن الخاصة .

ولكنه اعجب بميائها ، وحسب انها لم تسأله هذا السؤال إلا من قبيل المداعبة ، فقال لها : هلي بنا اوصلك الى هذا الشارع .

وسارت معه حتى اذا انتهى بها اليه قال لها :

هو ذا الشارع فأين هو منزلك فأذهب بك اليه ؟

فاضطربت المسكينة وقالت :

اني لا منزل لي ولكنهم قالوا لي اذهبي الى شارع وادي الحب فذهبت .

فحسب الشرطي انها تهزأ به وكبر عليه ذلك اذ كان من حقه ان يقبض

عليها فغضب وقبض على يديها بعنف وهو يقول بلهجة اربعيتها :

ويحك يا ثقية ألجسرين على الهزء برجل من أهل الشرطة ؟

أما لورانسي فانها تألت من ضغطه وذعرت لهجته وتخلصت منه بعنف

واسرعت الى الفرار فجعلت تركض هائلة وهو في اثرها الى ان دخلت

منعطفاً مظلماً فتوارت عنه وارقد صاحباً لاهناً .

وما زالت تركض وهي لا تلمي لشدة خوفها حتى وهنت قواها من

الركض وبلغت الى منزل له سلم فجعلت على عتبة واهية القسوى وجعلت

تبكي بدموع سخينة .

وكان هذا المنزل نفس المنزل الذي تقع فيه هرمين .

فاتفق ان هرمين كانت خارجة من منزلها في تلك الساعة لغرض من

أغراضها فوجدت تلك الفتاة جالسة على عتبة السلم تبكي .

فتمعنت بها هرمين ورأت ان ملابسها ملابس بنات الهوى ولكنها علمت

لأول وهلة انها ليست منهن .

فبعد ان فحصتها فحصاً دقيقاً اخذت بيدها وقالت لها :

أين تقمين ؟

فأجابتها قائلة: ليس لي منزل .. بل لي منزل .. كلا، لا اعلم قاني ادعى حنة ولكن يظهر ان هذا المنزل ليس منزلي فقد قالوا لي ان اذهب الى وادي الحب .. أهذا هو الشارع الذي ذكروه لي ؟

وكانت المحاوره قصيرة بينها غير ان هرمين استنتجت منها ان حنة لا مأوى لها وانها مصابة بنكبة غريبة وانها لا تعمل ابداً بتلك المهنة الشائنة التي كانت تلبس ثياب اصحابها ، فسالته لها ، وقد سررت الى قلبها عاطفة الإشفاق .

أتريدين ان تقيمي معي ولو بضعة ايام ؟ .. نعم ، انك تريدين ، فتعالى معي .

فامتثلت لها لورانس واقامت عندها في الغرفة المجاورة لغرفتها .

وفي اليوم التالي عادة الى المباحثة فقالت لها هرمين :

اني اعيش هنا بالتطريز فاني اعرف كثيرات من النبيلات بشقرين ما اطرزهن لمن يجيرهن .

فقالت لورانس : التطريز ؟

قالت : نعم ، فانها صناعة لا يعلمونها الفقيرات امثالي ولكني اکتسبتها إكتساباً .

قالت : يظهر لي .. ولكن ، نعم ، اني اعرف هذه الصناعة .. نعم ، اني اعرف التطريز .

– ان ذلك لا يذهلني حتى ولو قلت لي انك تعرفي القراءة والكتابة فان كل ما فيك يدل على انك من اهل النبل .

– أأنا من اهل النبل ولكني قلت لك اني ادعى حنة .

وخلاصة هذه المباحثة انها اتفقتا على التطريز فكانت لورانس تشتغل وهرمين تبيع .

الميت يبحث عن مكانه

تقدم لنا القبول ان هردي دخل الى غرفة هرمين وان هرمين ذهبت
للتشري طعاماً بحيث بات مع لورانس فقالت له :

اهلاً بك يا سيدي فقد اخبرتني هرمين بمحدث الدينار وما تلاء من ذلك
القتال فأعجبت بك دون ان اراك .

فوقف هردي ينظر اليها منذهلاً مبهوراً ويقول في نفسه : ان هذه المرأة
لا يمكن ان تكون من اهل الطبقة الدنيا .

ولكنه لم يلبث ان عرف اسباب دهشته فقال :

ولكن .. نعم اني اعرف اسمك فانك لا تدعين بذلك الاسم الذي
ذكرته .

- اسمي أنا ؟

فارتعد هردي وثقلت له احوار حديثه وعرف اسم هذه المرأة لانه
عرفها .. نعم انه عرفها بالرغم عن ملابسها إذ لم يكن قد تغير فيها غير
هذه الملابس وقال في نفسه :

رى أي قصد لها هذا التنكر وتغيير اسمها وكيف لم تعرفني وقد فاته
انه قد تغير تغييراً عظيماً فداً منها وأخذ يدها بين يديه وقال لها :

لورانس ... انك انت التي كنت ادعوها اخي الكبيرى ... لورانس ...
لورانس دي ايزيم ، اذكري هذا الرجل الذي بكلمك فهو هردي .. هردي
دي باسافان .

فهزت لورانس رأسها ولكنها كانت تضطرب إذ كانت تريد ان تقول

شيئا ولا تستطيعه فان دراه سافان كان ضاغطاً عليها فكانت تظهر بظهور
امرأة تؤمر الموت على الاعتراف بما تريد كجانه .

وقد رأى هردي ذلك منها فاصفر وجهه واضطرب وقال :

انك لورانس دي ابريم .. ماذا ارى أنتكوبن اقامتك في منزل باسافان ..

امي التي ريتك .. أنتكوبيني أنا وقد كنت احبك حب اخ .

- اني ادعى حنة .

- وابنتك .. ابنتك التي لا تزال في قيد الحياة أتسمعين .. اني سأراها

واجيء بك اليها . روزالي . روزالي .

فاهتزت كأنها جسمها قد تكهرب لذكر هذا الاسم وظهرت بظهور الموتى

يحاول تقطيع قيده بالعنف ثم قالت بصوت تمزق له حلقها .

روزالي .. ما هذا الاسم الذي ذكرته .. ابنتي .. ليس لي ابنة .

فنظر اليها نظرات يأس وقال :

روزالي .. روزالي .

- لا توجد روزالي .

فأطلق هردي يدها وتمعن في وجهها هنيهة ثم قال في نفسه :

ما هذا الشبه العجيب فقد كنت اقسم لأول وهلة انها لورانس . ولكنها

ليست هي .

وكانت هرمين قد عادت في ذلك الحين بما احضرت من الطعام والشراب ،

فجعل الشغاليه يأكل وهو لا يفتأ ينظر إلى لورانس حتى اذا فرغ من الطعام

نهض فشكر هرمين وودعها وهو يقول : انك انفتحت محلي هذا الدينار فلا

أضى ذلك ما حبيت .

فقالت له هرمين : ولكنك قلت لي انك ليس لك ماوى .

- هو ذاك ولا سجا اليوم .

- ولكنني استطيع ان أأام الليلة مع حنة وتبيت انت في غرفتي اقول

هذا وأنا لا ادري اذا كان يحق لي ان اطعم بضيافة شغاليه مثلك .

فأخذ يدها بين يديه وقال لها بلهجة اخوية .
انك جديرة بضيافة امير ولكني اكره ان يري الناس في صباح غد رجلاً
خارجاً من عندك .
فأطرقت هرمين برأسها وكان فرحها عظيماً لأن هردي عاملها معاملة
فتاة لها سمعة وحشمة .
وانصرف هردي بعدي ان نظر نظرة أخيرة الى لورانس وكانت الساعة
الحادية عشر من المساء .

وبينا كان هردي يسير وهو يحدث نفسه بأمر مختلف كان سافان يسير
في غرفته ذهاباً وإياباً وهو يبحث عن ذلك الاكبير ، اكبير الخلود .
وكانت علائم القلق ظاهرة عليه فانه كان يحتاج الى ميت وثلاثة احياء
وقد وجد الاحياء وهم الفتيان الثلاثة فكيف يجد الميت .
ولذلك عول على ان يكتفي بالاثنين من الاحياء ويقتل احد الثلاثة
فيستعوض به عن الميت .
ولكن القتل يجب ان يكون دون اهراق دم وذلك سهل فان نقطة
واحدة من تلك السموم التي عنده تصعقه .
أما سبب قلقه فهو ان الكتاب الذي أخذ عنه طريقة اكبير الخلود
جاء فيه ان الاحياء يجب ان يكونوا غلماناً صغاراً وان يكونوا ثلاثة فيجعل
يقول في نفسه :
لماذا لا يصح أن يكونوا فتياناً وان يكونوا اثنين بدلاً من ثلاثة ألا يمكن
ان يكون الكتاب غلطاً ؟
وفوق ذلك فقد ارجعت ذاكرتهم الى سن الحداثة وعشت بها كما اشاء
مثل ما فعلت بلورانس .
ثم مشى اليهم وهم مقيدون على الكراسي فسأل برايسكال قائلاً :

قل لي كم لك من العمر واحذر ان تكذب .
فاصططكت اسنان برايسكايل من الرعب وقال :
اربعة عشر عاماً .

فقال لبرانسكايل : وانت ؟
- خمسة عشر .

وقال لبرانسكايل ، وانت ؟
- ستة عشر .

قال : انهم لا يزالون احدائاً وما زالوا قد عادوا بكل ما هم الى دور
الحدائفة فلماذا لا تعود دماؤهم ايضاً .

وقد تركهم وانصرف ثم عاد اليهم قبل انتصاف الليل بنصف ساعة
وجعل يفحصهم ويقول :

من منهم يجب ان يكون الفلام الميت دون ارافقة دماغه .

وبعد ان فحصهم بلاء الانتباه دعا من برانسكايل ووضع اصبعه على جبهته .
فصاح برانسكايل صيحة رعب وهو مع ذلك لا يفهم لماذا خصه ساتان
بهذا التشريف ولكنه كان موقناً انه ما اختصه دون رفيقه إلا لأمر هائل
وجعل الاثنان ينظران دون ان يفوها بكلفة ولكن عيونها كانت تتقدان .
أما ساتان فقد قال :

حسناً فسنبدأ عند انتصاف الليل .

فجعل الثلاثة يصيحون ويرتحفون على كراسيهم وهم عاجزون عن الدفاع .
وعند ذلك فتح الباب ودخلت منه امرأة فقالت لساتان .

ألا تسمع انهم يقرعون الباب الخارجي ؟
فارتعد ساتان وقال للثلاثة بلهجة التواعد .

اسكتوا او ابدأ منذ الآن .

فسكتوا ولم يعد يسمع غير صوت قرع الباب .

فقال ساتان : من الذي يقرع الباب ألعلم كثيرون ؟

فقلت جيروود : لا فانه لا يوجد غير رجل واحد ولكنه يتخذ حساماً .
- أنت واثقة انه وحده ومن عسى ان يكون ومن يحسر على الهيمه
الى منزل ساتان عند انتصاف الليل ؟

وقد اجتاز القاعات الثلاث مسرعاً وذهب الى الباب الذي يقرعونه من
الخارج وفتح نافذة صغيرة من ذلك الباب وقال للطارق :
من انت .. اذهب في سبيلك .

- كلا لا اذهب فاني قادم اليك فافتح .

فارتعش ساتان لهذا الصوت وقال :

ألا تعلم اي باب تطرق وان الليل قد انتصف وان الاحياء لا يدخلون
في مثل هذه الساعة الى منزل ساتان ؟

- لا بد لي من ان ادخل ميثاً او حياً فقد تلاقينا من قبل وهذه هي
المره الثالثه التي يدخل فيها هردي دي ياسافان الى هذا المنزل .
- هردي دي ياسافان ؟

فضحك هردي وقال :

نعم انا هو ويظهر ان اسمي سحري يفتح الأبواب .

ولكنه لو علم بما كان يحول تلك الساعة في ضمير ساتان لامتنع عن الضحك
بالرغم عن بسالته .

وفتح ساتان الباب ودخل هردي وهو يضحك وكذلك ساتان فانه كان
يضحك ايضاً ويقول في نفسه :

لا شك ان القدرة الخفية التي تريد نجاح مشروعي قد ارسلت إلي هذا
الرجل والحق لي أأسف عليه فاني كنت اود ان اعدده للانتقام من الدوق
دي بوجونيسا ولكنه ليس هردي دي ياسافان الذي حضر بل هو الميت
الذي عاد الى محله ذلك الميت الذي ينتظره الاحياء الثلاثة .

ودخل الاثنان الى القاعة الأولى وكانت جيروود قد وضعت فيها مصباحاً
بيئاً كان ساتان يحكم اقفال الباب الخارجي فقال له هردي :

انك عارف بأسرار جهنم فهل الذين يقضي عليهم بالعذاب فيها يضطرون حين يدخلون الى الانتظار كما انتظرت وهل يحكم رصيفك رئيس الأبالسة افعال بايها كما تحكم انت افعال بابك ؟

- دون شك ايها الشفاليه إذ يجب علينا حماية انفسنا .

- وماذا عمالك تخشى أملك تخاف اللصوص ؟

- كلا ولكنني اخشى الأموات الذين يريدون الدخول الى منزلي بالرغم عني .

- اذن لماذا تخافني أنت من الاحياء ؟

- من يعلم .

فارتعش هردي ولكنه تغلب على ضعفه العارض وقال له :

كفى فاني اريد ان اسالك عن اكذوبة كذبتها .

فانحنى ساتان امامه وقال وهو يبتمس .

اذن تفضل بالجلوس منيبة إلى ان أعود اليك فقد وضعت قدراً على النار

اريد انزهاها .

فجلس هردي وانصرف ساتان فدخل إلى القاعة التي كان فيها الثلاثة فأخرج زجاجة من خزانة وأخذ مندبلاً فصب فوقه بضع نقط منها وهو يحبس أنفاسه كي لا يشمها ثم خبأ ذلك المندبيل تحت رداؤه وعاد الى هردي وعيناه تتقدان فقال له هردي :

اذن انت من السحرة كما يقولون ؟

هو ذاك ايها الشفاليه . .

- اذا كان ما تقول فلا بد لك ان تعرف السبب الذي دفعني الى زيارتك .

- ليس ذلك بصعب فانك قادم من قصر الدوق دي اورليان وقد قلت

انك تريد ان تسألني عن اكذوبة كذبتها وذلك واضح لدي فانك علمت هناك بأن روزالي لم تتخذها الملكة كما لوهمتك بل الدوقة فالتين وقد علمت

ايضا ان روزالي لا تزال في قيد الحياة أليس كذلك ؟

فقطب هردي حاجبيه وقال له :

اذن لماذا كذبتني ؟

- لانه كان لي فائدة يومئذ بالكذب عليك لاعتقادي انك كنت من الأحياء وانك متمسك بالحياة .

فارتعش هردي وقال :

انك كذبت علي* في تلك الساعة لاعتقادك اني من الأحياء واما هذه الالية فلماذا لا تكذب لنفس السبب ؟

- ذلك لاني اري من انت ايا الشفاليه .

- ماذا ترى ومن انا ؟

- انك الميت الذي ينتظره الأحياء الثلاثة .

فتبين الغضب في وجه هردي ونهض عن كرسيه فدنا من ساتان وقال :
اني اغفر لك كونك أردت قتلي على مائدة الرخام واما تلك الأكذوبية فسأعاقبك عليها شر عقاب .

وكان ساتان يراقب حركات هردي أتم المراقبة فقال له :

لا انكر اني خطيء وانه يجب معاقبتي ولكن كيف ذلك ؟

- انه كان يجب ان افلتك كما تستحق ولكن بقيني الآن من حياة روزالي غير قصدي فانا اغفر عن قتلك واكتفي بقطع اذنك .

وقد مشى اليه وهو يريد تنفيذ وعيده لا بحالة ولكن ساتان وثب اليه وثبة منكورة وقبض على عنقه .

فضحك هردي وقال: اني أفضل ان ارى منك هذا الدفاع كي لا يقرعني ضميري .

ثم قبض على وسطه بذراعيه القويتين وضغط عليه ضغطاً عنيفاً .

ولكن ساتان بدأ يشعر ان هذا الضغط أخذ بالضعف ورأى هيبته قد غارتا والعرق يسيل من جبهته وذلك ان ساتان لم يدافع أقل دفاع بل تركه يضغط عليه واكتفى بوضع ذلك المنديل على انفه .

فلم يمر بضع ثوان حتى سقط على الارض لا يمي فالتفتت عينا سافان
ببارق من الرجاء ونادى جبرود فقال لها : اسرعي وساعديني على نقله
إلى مائدة الرخام .

وبعد هنية كان هردي يمدأ على تلك المائدة لا يمي وسافان يقول :
انه لا يستفيق قبل ساعة وهي كافية لانقاذ مهمتي فيه وقتله دون ان
أريق دمه .

وقد رأى الفتيان الثلاثة ما جرى وعرفوا لغورم الشفاليه فجمدت الدماء
في عروقهم وصاحوا صيحات منكورة .

فقال لهم سافان : اسكنوا ايها البلهاء واعطوا انه يجب ان تكونوا
راضين فهذا هو الميت قد عاد اليكم .
وقد أخذ عند ذلك يكشف الملابس عن صدر هردي .

٤٧

ولتعد الآن إلى قصر سانت بول فانه بينا كان الكلب ماجور قد اطلق
سراحه وهرب إلى اورديت يلعبها وهو لا يعلم السبب في سجنه .

وبينا كانت اورديت مطرقة مفكرة مبهومة تنتظر من حين إلى حين إلى
ذلك الكلب الهائل وتقول له في نفسها : انك لو كنت حاضراً لما قتلوا
الشيخين .

كانت ايزابو جالسة في غرفتها الهاذية لغرفة النمرة وهي تفكر في امر
هائل لا يحظر في بال .

وفيا هي على ذلك دخل اليها ريدون فقال :
سيدتي لقد جاء الخادم بطعام النمرة .

فالتفتت عينا النمرة ببارق من نار كأنها قد فهمت معنى لفظة الطعام .
غير ان ايزابو أجابت ريدون قائلة :

ارجعوا الطعام إلى موضعه .

فدنا منها مروض الوحوش وقال :

ولكن التمرة اذا لم تأكل يا مولائي تهيج ويستحيل بعد ذلك الدنو منها .

فنظرت اليه نظرة وحشية وقالت :

يظهر انك بئست من الحياة وتريد ان اشتك .

فتراجع الرجل مندعراً ثم انحنى بلىء الاحترام وانصرف وهو يقول

في نفسه :

لا شك انها في حاجة الى استخدام براثن النمرة في اغراضها الهائلة .

فلما اصيبت ايزابو وحدها جعلت تخاطب النمرة ضاحكة وتقول :

نعم ، انك ستجوعين ولكنك ستأكلين شيئاً خيراً من اللحم الذي تأكلينه .

ثم جعلت تجلدها بالوسط ، وتدفعها الى غرفتها الخاصة بها حتى اذا دخلت اليها ، اقفلت عليها الباب ، فكان القصر يضطرب كل ذلك اليوم

بزيورها .

ففي الليل ، وفي نفس الساعة التي دخل فيها هاردي الى باريس ،

قادت ايزابو رئيس حراسها ويدون ، فجاء اليها وهو مصفر الوجه مضطرب

الأعضاء .

فنظرت اليه محذقة وهي تعلم سبب اضطرابه وقالت له :

أفعلت ما أمرتك بفعله ؟

قال : نعم ، فان الطريق باتت خالصة الى غرفة أوديت .

- ولكنني أراك مضطرب ، يا ريدون فقل الحقيقة هل أنت خائف ؟

- الحق ، يا سيدي ، اني اشعر بخوف لم أشعر به طول حياتي .

فابتسمت وقالت : أعلل خوفك من النمرة لجوعها ؟

- كلا ، فانها لو مزقتني بأنيابها امامك ، لما خفت ، لاني لا أخاف

الموت .

- إذن ، بما تخاف قل الحقيقة واعلم يقيناً اني اغفر لك .

فنظر إليها محمداً كأنه يريد ان يستوثق من صدقها وقال لها :
اني اخاف ، يا سيدتي ، مما صنعه فإنه هائل فظيع .
فسكتت الملكة هنيئة كأن ريذون يضطرب في خلالها اضطراب الريشة
في الهواء ، ثم قالت :

حسناً ، فاذهب .

قال : سيدتي .

قالت : قلت لك اذهب فاني اطردك ما زلت تخاف ولا اريد بعد الآن
ان أراك .

وأنت ترى اني صفحت عنك ، ولم اقبض عليك ، ولم اطرحك في سجن
هيدرون ولم اتفك من باريس ، بل اني اطردك فقط فاذهب .

وكانت تتكلم دون غضب فكان هذا الذي يخيف ريذون على انه لم يركع
كما كان يفعل عادة حين يلتصق بالفيران ، بل لبث مطرقاً واجماً يضطرب
ولا يعلم ما يقول .

فقالت له برفق :

إذهب يا ريذون ما زلت تخاف ؟

فحلت عقدة لسانه وقال لها :

اقتليني ، يا سيدتي ، فاني أؤثر الموت على فراقك .. أنا اذهب ولا
اعود ارى جلالتك .. ولكن أيكن ذلك ان يكون .. ومن أنا ، يا سيدتي ،
في هذا الوجود اني كنت رجلاً من التبلد حين تدانيت ونظرت الي في
شامبانيا وبعد ذلك اصبحت كلبك الأمين لا اعيش إلا بقدر ما تسمحين لي
ان اعيش واموت حين تريدن ان اموت . سيدتي ، انك تستطيعين قتل كلبك
حين تريدن ولكنك لا تستطيعين طرده

فنظرت اليه ايزابو نظرة تشف عن ملء الرضى وهي تقول في نفسها :

لا شك في صدق ما يقوله فهو أوفى من الكلب ، ثم قالت له :

حسناً فابق .

فتنه ريدون قنهد المتفرج بعد ضيق وقالت له ابراهيم :

نعم ، لقد رضيت ان تبقى ولكني اشترط عليك ان لا يصفر وجهك
ولا يضطرب قلبك ولا ترنجف اعضاءك ، فما عيبك إلا الطاعة والامتثال ،
وإذا ماتت تموت معي ، أليس كذلك ؟
- دون شك .

- إذن ، فاعلم اني اموت لا محالة اذا بقيت هذه الفتاة في قيد الحياة
أفهمت ؟

واني لا اريد ان تكون اسيرة الدوق دي بورجونيا لاني أنا احب هذا
الدوق أفهمت ؟

قال : سيدتي ، اذا لم يكن القصد إلا قتل هذه الفتاة ، كان الأمر
سهلاً .

- هو ما تقول ولكنها اذا قتلت قتلاً علم جميع الناس في اليوم التالي ان
الملكة الشريرة قتلت ملاك القصر .

كلا ، يا ريدون اني لم استقل بعد استقلالاً ظاهراً فاستطيع ان اصدر
الأمر بالاعدام ولكنها اذا ماتت لحادث عارض لا يستطيع ان يتهمني أحد
وان الحيوان المفرس قد يتفق له ان يهرب من قفصه ويدخل الى البيوت فان
ذلك قد حدث مراراً .

واطرفت الملكة مفكرة ، ثم قالت :

أعلنت بالتدقيق ماذا يصنع الملك ؟

قال : ان الملك لا يخرج هذه اليلة من قاعاته لأن الدوق دي بورجونيا
ارسل اليه طبيبان يلازمانه .

- من هما هذان الطبيبان ؟ أما هما الناسكان بطرس توزانت ومرتين
لنسلوت ؟

- هو ذاك فاتها سيمملان كل هذه الية لإخراج الشيطان من صدر الملك
وهذا كل ما اعرفه بهذا الشأن .

- وهذا يكفي فأذهب الآن وتأهب للحضور الى حين ما ادعوك وانتني
مدججاً بالسلاح .

فالتحق ريدون وانصرف وبقيت الملكة وحدها تصفي الى زئير النمرة
وتفكر في حين واحد بذلك الفارس الذي انقذها من الغابات من عصابة
المردة وحال بين البورجويين وبين أوديت فتستخدم غيظاً وتقول :

آه لو كان هذا الرجل لي إذن لكان ينتقم لي من الدوق ومن الملك ومن
أوديت ولكن هيهات ان اظفر به .

ثم هزئت رأسها وقالت : لقد دنت ساعة العمل ، وثادت ريدون
فقالته له :

يجب ان تهد السبيل للنمرة فلا تلقي أحداً من الأحياء في طريقها .
فذهب ريدون ، وعاد بعد هنيهة ، وقال : لقد قضي الأمر وخلصت
الطريق .

- حسناً فأذهب الآن ومنى رأيتني خرجت مع النمرة فاتبعني على مسافة
قصيرة وكن متأهباً لكل طارئ .

- ولكن ، سيدتي ، أتذهبين وحدك ؟
- قلت لك اذهب وكن متأهباً لا لمقاومة النمرة فاني اکتفي لصدها بل
لمقاومة من تلقاهم من الرجال اذ اتفق لنا لقاء أحد .

فنظر ريدون نظرة رعب وإعجاب الى الملكة وانصرف .
فاسرعت ايزابو الى إحدى غرفها فلبست ثوباً يشبه ملابس القتال وأخذت
حربة من الفولاذ وفتحت باب غرفة النمرة فوثبت الى القاعدة وثبة الحيوان
الجائع فاستقبلتها ايزابو الحربية فردتها الى إحدى زوايا الغرفة .

وهناك وقفت النمرة حائرة غضبي وقد دنت تلك الساعة المائتة ، التي
انما تفوز فيها ايزابو باخضاع النمرة أو تقتل .

وقد ربضت تلك النمرة ، ونظرت الى ايزابو نظرة دموية ، وتحفزت للوثوب .

ورأت ايزابو انها ستنب عليها فبدأتها الهجوم وأذنت تلك الحربة من رأسها وجعلت تضربها بالسوط وكلما حاولت ان تثب تشمر بوخزة الحربة وبوقع السوط .

وقد دام ذلك بضع دقائق الى ان اقلت ايزابو السوط من يدها ووضعت الحربة على مائدة ذلك ان النمرة قد خضعت أتم الخضوع .

وعند ذلك أخذت طوقاً من الجلد فوضعته في عنقها وربطت به سلسلة طويلة من الحديد ، ثم اخذت حربتها وسوطها وامسكت بالسلسلة وقالت للنمرة : سيروي الآن .

فامتثلت خاضعة وخرجت من الغرفة الى الرواق وايزابو في اثرها تطاردها بوخز الحربة وجلد السوط ويريدون ورائهما ينظر الى تلك المرأة الناعمة الحسناء في اثر النمرة فاشبهها بهرقل حين كان يخرج الى الاسود .

وجعلت تدخل بها من رواق الى رواق فتجد جميع الأبواب مفتحة ولا ترى أحداً من الحراس الى ان وصلت الى القاعة التي تقع أوديت فيها وكانت أبوابها مفتوحة ايضاً فان يريدون كان قد اغرى الجميع حتى حراس أوديت وخادمتها .

وعند ذلك فكث ايزابو قيد النمرة فاندفعت الى ذلك الباب المفتوح .

ولتعد الآن الى أوديت فقد كانت في ذلك اليوم متأهبه لاستقبال الملك حسب عاداتها في كل يوم .

ولكنه لم يحضر اليها فرأت ان تذهب اليه .
فلما وصلت الى قاعاته استقبلها رئيس الحجاب وقال لها :

ان الملك لا يدخل اليه أحد اليوم ، حتى الملكة نفسها ، فإنه غتل مع طبيبه .

فرجعت أوديت الى غرفتها وهناك جاءت امرأة فقالت : ان الملك قد ارسلها اليها لتكون في حراستها وخدمتها كما كانت مرجنتين التي قتلها رجال الدوقة فقبلتها أوديت شاكرة ودلتها على الغرفة التي يجب ان تقع فيها وأمرتها ان لا تؤذن لخادمة من خادماتها بالدخول اليها فانها تحب ان تكون وحدها .

وقد كان قلقها شديداً فجملت تقول في نفسها :

تري لماذا لا يؤذنون لي ان اري الملك ؟ .. ولماذا لا يأتي الملك اليّ وما هذان الصبيان ، فلا بد ان يكون هناك أمر خطير ، ولكن ما عسى ان يكون ؟

وبقيت على ذلك الى الليل فطلبت ان تأتيها إحدى خادماتها التي كانت لتثق بها فجاءت بدها الخادمة الجديدة فأعدت لها كل ما محتاج اليه كأنها كانت تخدم عندها منذ عهد بعيد .

غير ان اوديت طلبت تلك الخادمة التي تأتمنها فخرجت الخادمة الجديدة كي تأتي بها ومضت ساعة دون ان تعود .

وكانت اوديت في خلال ذلك جالسة على كرسيها وهي فائقة في مهامه التفكير وقلبها ماجور يذهب ويحيء امامها ثم يجلس عند قدميها وينظر اليها نظرات حنو .

إلى ان دقت الساعة التاسعة فانتبهت اوديت من غفلة تأملاتها وذكرت انها طلبت خادمتها فلم تحضر فدقت جرساً ودخلت اليها الخادمة الجديدة وهي تبسم .

وقد نظرت اوديت اليها نظرة المؤنب وقالت لها : ادعي لي جميع خادماتي فرفعت يدها الى السماء وقالت :

رباه العلي اخطأت فهم كلامك فقد قلت لي يا سيدتي انك تريدن ان تكوني وحدك فأطلقت سراح جميع الخدم .

فاصفر وجه اوديت ولم تفر بكلمة ولكنها اسرعت إلى تلك القاعة الخاصة بالحراس فرأت انه لا يوجد احد منهم وان الأبواب مغلقة من الخارج بحيث لو ارادت الخروج منها لما استطاعت .

فلم تشعر عند ذلك بماطفة خوف بل بنفرة واشتمزاز فعادت الى الخادمة الجديدة وقالت لها :

ابن حرامي ؟

- ان جلالة الملك يا سيدتي اصدر امره بأن يحشد جميع الحراس في هذه الليلة حول قاعاته لسبب لم يعلمه أحد .

فنظرت عند ذلك إلى تلك الخادمة نظرة منكورة وقد ايقنت انها من صنائع الملكة فقالت لها :

ان جلالة الملكة حاولت منذ لبثين ان تقبض عليّ فأناذني انه منها باعجوبة وبرجل لا أعبده الآن هنا لانهم قتلوه دون شك كي لا يعسود الى انقاضي .

وم يحاولون ان يصنعوا لي هذه الليلة ما صنعوه في ذلك .

اذن لقد تقرر قتلي لأن سيدتك لا تحب ان تراني في قيد الحياة ؟

فتمتمت الخادمة قائلة : سيدتي !

- نعم سيدتك الملكة .

فعضت الخادمة زندها واخنتق صوتها بالبكاء وزجر الكلب فقالت اوديت :

انك لم تأتيي إلا لخيانتي .. اسكتي واقتصري على سماع ما اقوله واعطي اني لا انظر الى عواطفك ، فلو كان لك قلب لما رضيت بهذه المهمة الشائنة ، ولكني انظر الى قائدتك فانك دون شك محبة للعال رضيت خيانتني ، غير

انك كما خنتني للعالم فانك تستطيعين خيانة الملكة ايضاً بالمسال دون ان تعرضي نفسك لشيء من الخطر .

- سيدتي ما هذه التهم الجارحة ؟

- اني اقول الحقيقة وهي جارحة في اغلب الأحيان ولقد قلت انك تستطيعين انفاذي دون خطر وان لا اريد ان تخرجيني من هنا ولو كان في بقائي الموت ولكنك تستطيعين ان تصلي إلى الملك وتخبريه بما سيجري الآن . فبكت الخادمة وقالت : ما هذه التهم الجارحة يا سيدتي ؟

فلم تجيبها اوديت وذهبت إلى علبة فجماعت بها وافرغت امام الخادمة ما كان فيها من أساور وسلاسل وخواتم وعقود الى غير ذلك من الحلى التي تدهش الأبصار .

فدهشت الخادمة لهذه الجواهر البراقة وكانت اوديت تراقبها فضامر قلبها في البدء شيء من الرجاء ولكن هذا الرجاء ما لبث ان انطفأ بانطفاء شعاع الطمع الذي كان يتقد في عيني الجارية .

وقد ايقنت انها قضى عليها بالموت ، فدنث من الجاسوسة وقالت لها برفق ..

اريد ان اعلم على الأقل كيف يكون قتلي ؟

فارتعشت الخادمة عند ذلك ارتعاشاً ظاهراً وانقطعت عن الكلام وتأوتت من الاعانة ، فان الحائتين يسوهم ان يقال لهم خونة .

وعادت اوديت الى سؤالها فقالت :

كيف يريدون قتلي ، اخبريني بذلك على الأقل وما زلت تعلمين .

- كلا يا سيدتي اني لا اعلم .

فأطرقت مفكرة ، فلما رفعت رأسها وجدت ان الخادمة قد توارت عن الأنظار ..

فمادت الى الكرسي وجعلت تذرِف الدموع السخينة وتبكي شهاها الناصر إذ لم يبق لديها شك بأنها سمعت .

وقد ذكرت عند ذلك ساعة دخلت ال سجن هيدرون ورأت هاردي
بيكي فقالت له :

« لا تبك فقد انتهت ايام شقائك » .

فشمرت انها لا تبكي شيابها ، بل انها تبكي هاردي ، إذ لم يكن يتمثل لها
سواء في تلك الساعة الرهيبه التي كانت تنتظر فيها الموت كل لحظة وهي لا
تعلم كيف تموت .

وكان الكلب ماجور يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً فيهدر ويبحر وينبح
وهي غير مكترفة له .

الى ان سمعت حركة ارتجفت لها هولاً فوقفت وقد كبرت عيناهما من
الرعب وحدثت بذلك الذي رآته وهي تحسب انها مصابة بكايوس وحاولت
ان تهرب فشمرت ان رجلها قد حمرت بالأرض .

وخطر لها في تلك اللحظة بسرعة التصور ان تذهب الى المائدة فتأخذ
خبزيراً وتطمئن نفسها به ، وقد خيل لها انها فعلت ، ولكنها لبثت في
مكانها .

ذلك انها رأت النمره امباريا قد دخلت من الباب ووقفت تنظر اليها
نظرات ذرية وهي تضرب الهواء بذنبها .

ولم يكن بينها غير خمس خطوات وقد فتحت النمره شديها وبلغت
انفاسها الحارة الى وجعها .

فصاحت اوديت صيحة هائلة وسقطت على كرسياها واهية القوى ، ثم
أغمضت عينها فلم تعد ترى .

ولكنها ما لبثت ان فتحتها حين سمعت زئير ذلك الوحش المفترس
فرأت النمره تتحفز للوثوب ولكنها رأت ايضاً ان كلبها ماجور قد حال
بينها وبين النمره .

وقد رفع ذلك الكلب الأمين عينيه الى اوديت ونظر اليها نظرة حنو
كأنه يقول لها :

لا تخشى فسأفديك بنفسى .

ثم وقف بجانبها وقد نقش ذنبه واحمرت عيناه وكثر عن أنيابه وجعل ينبع وهو في مكانه كأنه ينتظر ان تكون النمرة البادئة بالمدوان .
والغريب ان اوديت على ضعفها النسائي وعلى هول هذا الموقف لم يفشَ عليها .

اما النمرة فجعلت تسير بسطء الى الكلب فلم يتحرك الكلب ولم يبرح موضعه ولكنه كان يرتجف ، ولبت ينظر الى النمرة .
وقد ضربت النمرة مائدة بذنبها فقلبتها الى الأرض وتبعثر ما عليها ، وزارت زئيراً خفيفاً وتقدمت فرأت اوديت عند ذلك مسا لا يراه الناس في الاحلام وبذلت جهداً عنيفاً كي لا ترى هول ذلك المنظر .
فان الكلب كان قد وثب الى النمرة وعضها باذنها واقتلع تلك الأذن .
وكذلك النمرة فانها نشبت مخالبها في عنقه فجرحه جرحاً بالفاً فسالت الدماء منها على الارض .

وقد لبثت تلك المعركة نحو نصف دقيقة .

ثم ارتد الاثنان ووقف كل منهما في موقفه يحدد قواه وينظر الى خصمه نظرة الفاحص فيوازن بين القوتين .

اما امباريا فقد تبين الغضب في عينيها ووقف ماجور بجانب اوديت وقد كثر عن انيابه وتأهب للقتال .

فان المعركة الاولى لم تكن إلا مناوشة مع ان امباريا اصبحت بلا اذن ويات ماجور كأنه بلا عنق .

الى ان كان الهجوم الثاني فكانت امباريا البادئة فيه وبعد هنيهة كان قم الكلب ومخالب النمرة قد صبغا بالدماء .

وقد دامت هذه المعركة الثانية عشرين ثانية فابتعد كل منهما عن خصمه خمس خطوات هذه المرة وقد اصبح الكلب لا يعرف لكثرة جراحه وكذلك النمرة ..

وكان الكلب ينتفض كأنه في حالة الجزع ، ومع ذلك فقد كان ينظر الى النمرة نظرات تدل على انه غير خائف ولا وجل وانه ينتظر إعادة الكرة ..

وأما النمرة فقد تحول زئيرها الى انين ، فان الكلب كان قد انتزع اذنها الثانية .

وأصابها بسنة جروح في مواضع مختلفة . فجلست على السجادة وبسطت مخالبها امامها وأقامت تسريح . وكان ماجور واثقاً ان هذه الهدنة لا بد ان ينقضي زمنها فلبث واقفاً يتأهب للقتال الأخير .

ولبث تلك الهدنة دقيقتين الى ان وقفت امباريا وعاد الحصان الى القتال ..

وكان قتالاً هائلاً تشيب له الشعور رعباً أظهر فيسه الحصان منتهى ما يمكن إظهاره من العنف .

وكان كلامها قد انتهكت قواه ولبثا يتقاتلان ، غير ان النمرة لم تعد تشب وقرباً بل كانت تشي ببطء اضعفها ولما توف من دماها .

وكذلك ماجور فانه لم يعد يهجم بل صار ينتظر ، وقد رفعت امباريا يدها وحاولت ان تسحق بها رأس ماجور ولكنها رفعتها ببطء وأزلتها دون قوة فلم تجرح الكلب بل خدشته .

وكذلك الكلب فانه أدار رأسه ببطء ايضاً وعض عنق النمرة ففتح فيه مجرى جديداً للدماء .

وحاولت النمرة ان تنتقم وتعيد الكرة ولكنها لم تستطع رفع يدها ، فانتحمت بنظراتها الدعوية .

وبينما هم على ذلك ينظر كل منهما الى الآخر ولا يستطيع ان يقاوم اضعف قواه سمع الكلب تنهد اوديت فثارت به قوة جديدة وهجم على النمرة هجوماً المستعيت بفرس انيابه في عنقها .

وكان هذا ختام هذه المعركة العجيبة التي استتب فيها النصر لهذا
الكلب الكبير على النمرة الهائلة فتراجعت خائفة والكلب في اثرها وكلاهما
يسيران سيراً يشبه الزحف حتى خرجت من قاعات اوديت ودخلت الى
الرواق فاركة وراها اثرأ طويلاً من الدماء وهي تشن من جروحها .

ووقف الكلب في الباب ينظر اليها وهي منهزمة حتى اذا توارت عن
انظاره عاد الى اوديت فانطرح عند قدميها وجعل ينظر اليها كأنه يبسم لها
بتلك النظرات .

ولنعد الآن الى ايزابو ، فانها حين رأت النمرة عائدة اليها وهي تشبه
الاموات حدثها قلبها بأن مساعها قد اخفقت وان اوديت قد نجت منها .
فأسرعت الى مناداة ريدون وأمرته ان يكشف لها الخبر .

فانطلق مسرعاً وأقامت هي تعالج جراح النمرة وتبكي إشفافاً على ما
أصابها وقد نسيت الدوق والملك وأوديت ولم تعد تفكر إلا بذلك الوحش
المفترس .

وبعد هنية عاد ريدون وأخبرها ان النمرة التقت بالكلب وانه حدثت
بينها معركة هائلة .

ثم عقب على ذلك فقال :

انك لو أذنت لي بقلبك في تلك الليلة لما ..

فقاطعته قائلة :

وهي ؟

- انها سليمة وهذا الذي كنت التوقه فان هذا الكلب مأجور واشد مني ..

فتميزت الملكة غيظاً وقالت :

ولكن ماذا تعمل ؟

- لا أدري ، يا سيدي ، اذ يستحيل الدنو منها .. فان الملك ..

- تكلم أيها الأبى .. ماذا حدث ؟

- ان الملك الآن عند أوديت ، فقد تخلص من ذبلك الناسكين ، ولا أدري من الذي اخبره ، فقد جاء اليها يصحبه خمسة عشر من رجاله ورئيس حراسه .

فسكتت ايزابو وارتمدت وقد اصفر رجبها وعضت يدها من اليأس كي لا تفوه بكلمة .

وقد رأت انه لا بد لها من قتل أوديت ، في هذه الليلة ، ولكن كيف السبيل الى قتلها والى من تلتجيه ؟

ذلك ما كانت تفكر به حين تاب اليها رشدها .
وقد افتركت ملياً ، ثم ظهر ابتسامة فجائية على شفطيهما المرتهقين فاثسحت برداء متسع وقالت لريدون : هلم بنا .

فقال لها : الى أين تريدن الذهاب ، يا سيدتي ؟
- الى منزل سافان .

خرجت الملكة من قصر سانت بول في نفس الساعة التي دخل فيها هاردي الى منزل سافان ليعاقبه على كذبه .

وقد عرف القراء كيف ان سافان قد تغلب على هاردي بالحيلة ونومه بذلك المتدبيل الذي كان مبتلاً بالسائل الحذر .

فلما سقط هاردي دون حراك حمل مع جيروود الى تلك المائدة في القاعة التي كان فيها الفتيان الثلاثة مربوطين الى الكراسي وهم يصيحون .
وقد بدأ سافان يكشف الملابس عن صدر هاردي .

وكانت حركاته تدل على السكينة ولكن عينيه كانتا تقدحان باراً وهو يقول في نفسه :

يجب قتله دون ان أرتق دمه ولكن ذلك سهل فاني سأقتل هذا الشفاليه

بنفس الطريقة التي كنت عازماً على ان أقتل فيها برانكايل ، أي بأن اضح نقطة واحدة على طرف لسانه تفعل به فعل الساعة .
وعزائي اني سأقتل هذا الشاب التكوود دون ان ادغه يتأم لأنه لا يستحق العذاب .

وعند ذلك شعر ان بدأ قد لمست كنفه فانتبه كما يتنبه النائم من رقاده والتفت فرأى جيروود فقال لها :

لا حاجة بي اليك الآن فانهي .

- لم اجيء اليك لحاجتك الي ، ولكن ألا تسمع انها تطرق الباب ؟
- من هذا الذي يطرق الباب ، اتسلطت الشياطين على مغزلي في هذه الليلة .. دعيمهم يقرعون قدر ما يشاؤون الى ان يملوا فينصرفوا.. إذهي فاني اريد ان اكون وحدي .

فأجابته جيروود بلهجة المتهمك قائلة :

هو ذلك غير ان هذا للشيطان الذي يقرع بابك الآن لا يمكنك التفاوض عنه أو طرده لأنه يستطيع ان يشوبك على النار .
- ماذا تعنين ؟

- اعني انك اذا لم تفتح بلغ أمرك غداً الى المحاكم فحكمت بشنقك أو إحراقك واذا كان لا بد لي من الشنق معك فساذهب وافتح الباب .

فجرد خنجره وحاول ان يطعنها به لياسه .

ولكنها لم تهرب ولم تخف بل اجابته بسكينة قائلة :

ان الملكة ايزابو تفرع الباب ألا تريد ان تفتح للملكة ؟

- الملكة .. ماذا تريد مني في هذه الساعة ؟

- سوف تعلم فاني سأفتح لها لأنني لا اريد ان يحكم عليّ بالشنق .

فأطرق ساكن رأسه وجعل يقول في نفسه :

الملكة عندي .. ولماذا انت الليلة وفي هذه الساعة ؟

وبعد هنيهة اقبلت الملكة يتقدمها ريدون فقال لساكن بلهجة المقضب .

يا ابن الأبالسة ورسول جهنم أهكذا تستقبل أمثالنا ؟

فأخفى أمام الملكة دون ان يفوه بكلمة .

وكان كل ما به يدل على القنوط فإنه لم يستطع منع الملكة عن الدخول إلى منزله إذ كان بوسعها ان تهلكه بلحظة ويكفي ان تتغاضي عنه فيحاطم كساحر ويعدم شقاً او إحراقاً دون ان تقبل شفاعته فيه .

وكان قد استقبلها في القاعة الأولى وقدم لها كرسيّاً كي تجلس عليه .

ولكن الملكة هزت رأسها وقالت :

ادخل بنا إلى غير هذه القاعة فإني أريد ان احادثك ملياً .

فتنهت ودخل بها إلى القاعة الثانية وقال :

تفضلي يا سيدتي بالجلوس فلا يسمع حديثنا هنا غير الله .

فقالت بلهجة الانذهال .

الله والشيطان .

فرسم ريدون علامة الصليب على وجهه وكانت الملكة صادقة بانذهالها

إذ كانت تعتقد ان لسانان اتصالاً بالأبالسة فمنجبت كيف يحسر على ذكر الله .

وقد دعاها إلى الجلوس ولكنها أبت وقالت :

اني أتيت اليك ايها الساحر استعين بعلمك الشيطاني فان العلم الانساني

لم يقدني وقد افسدت الصدق كل ما فعلته ومهدته بالعقل والحساب ولذلك

أتيت أسألك اصلاح ما افسدته الصدفة .

ولكني أريد قبل كل شيء ان اعلم كيف تتكلم عن الله وانت لا يحق

لك ان تتكلم إلا عن الشياطين .

— انك تتكلمين ، يا سيأتي ، عن الله وعن الشيطان فاستدل من لهجتك

أنك تريدان بالأول سلطان الخير وبالثاني سلطان الشر .

ولكني أسألك اين يبتدىء الخير ، واين يبتدىء الشر ، وما هي الحدود

الديقية الفاصلة بينهما .

ولا أريد الخير والشر تلك التواعد التي وضعا للناس فلمل بعضهم بعضاً

بها معاني الإساءة والإحسان ، بل أريد ما يحول في ضمير كل واحد منا ،
ذلك الضمير الخفي ، الذي لا يدرك مرآته غير صاحبه ، وكيف يحدد هذا
الضمير الخير والشر .

ان تلك المبادئ ، التي يتعلمها الناس تقول ان القتل من اعمال الشر .

والآن أسألك : اي رجل لم يكن له ، ولو مرة في حياته ، عدو يكرهه
ويتمنى له الموت ، فهو كانت إرادة الضمير تقتل ، اما كانت كل إنسان
قائلاً ؟

وهنا انقطع فجأة عن الحديث ونظر نظرة قلقة الى القاعة الثالثة وهو
يقول في نفسه :

لقد حان الوقت الذي يستيق فيه هاردي ومع ذلك يجب ان اوقف هذه
المرأة هنا .

اما الملكة فكانت تصفي إليه اثم الإساءة وقد سمعت مقدمته الغريبة ،
فقال :

اني لا أسألك عن الخير والشر ، بل عن الله والشيطان .

فاندفع هذا الجنون ببيانات ميادته الكفرية التي نذكر منها بعضها
ملخصاً لبيان مبادئ اولئك الكفرية الذين كانوا يحسبون من العلماء في ذلك
العصر ، فقال .

ان الناس ، يا سيدتي ، يثنون الله بالخير والشيطان بالشر .

ونعم انه يوجد غير شر ، كما يوجد جمال وقبح وغير ذلك من الاضداد
لكن أين هما ؟ وما هي حدودهما ؟

ان الله موجود ، والشيطان موجود وليس من يستطيع إنكارهما ولكن
إجمعي اصل الحكاية ، يا سيدتي :

فقد كان الله والشيطان منذ الأزل يحكان هذه المملكة العظيمة الجلية
التي يدعونها الوجود ، فجرت بينها معركة عظيمة اتخذ فيها الشيطان

وارتد الى الظلمات ، واستتب فيها النصر ههنا فساد على الوجود وكل ما حينا
معرفة هو ان نعلم ما يريدان منا .

وهنا جعل بضحكك وريدون يصلي وعاد الى الحديث فقال :

انك سمعجين لكلامي لأنه سيخالف المؤلف فان المعروف عندكم معاشر
المؤمنين ان الله يريد الخير واما عندنا فان الشيطان الذي يريد الخير وأما الله
فانه متكبر لا يريد الخير إلا لنفسه .

فدعرو وريدون وحاول ان ينقض عليه لكفره ولكن الملكة أوقفته بإشارة
ومضى سائبان في حديثه فقال :

ولا تعجبي ، يا سيدتي ، فان كل تلك الملاهي واسباب السرور والسعادة
والتنعم بالملاذ والشهوات انما يوحىها اليها الشيطان فنتنعم بها في حين ان الله
ينعنا عن كل ذلك فكأنه ينعنا من ان نفرح ونسر وتنتعم ويندرد بالعقاب
الشديد .

فإلى أيها نيسل ، يا سيدتي ، فإلى الذي يندردا ويعذبنا وبأمرنا ان
نشقى ، أم الى ذلك الذي يبكي في جهنم ويشفق على شقائنا ويفتكر مثلنا
ويحب حينا .

أما أنا فقد اخترت الشيطان ولا اعبد غير الشيطان وكفى انه لا يأمرني
إلا بأن أتعم والتذ فليختر غيري ما يشاء .

وكانت ايزابو ترجو ان تسمع كلاماً صالحاً ولكنها علمت ان جنون العلم
قد أدركه فأوحى اليه هذه المبادئ الفاسدة .

غير انها كانت أشد منه تهوراً إذ قالت له :

اني لا اريد ان أكون مرؤوسة لأحد منها فما خلقت إلا للرفاسة .

على إنني ما أتيت لمثل هذه الابعاث .

— سيدتي اني رهين امرك فمري بما تشائين .

— هو ذاك ولكن توغل بنا ايضاً واندخل الى غير هذه القاعة .

وقد قالت هذا القول ومشت إلى القاعة الثالثة ولكن ساتان اسرع
وحال بينها وبين الباب فانتهرته قائلة :
ابعد .

فلم يسه غير الامتناع ففتحت باب تلك القاعة المائلة وبعد هنيهة
كانت واقفة عند المائدة الرخامية تعن بوجه هردي دي ياسافان .
اما ريديون فقد دخل مع الملكة ووضع يده على خنجره فلولا وجود
الملكة لكانت تلك الساعة آخر ساعات ساتان .

وأما الفتيان الثلاثة فقد برقت عيونهم ببارق من الرجاء .
ولبثت الملكة تتمعن في وجه هردي إلى ان نظرت الى ساتان فقالت له :
ماذا فعلت به الآن ؟

قال : اني نويته يا سيدتي .
وماذا تريد ان تصنع به الآن ؟
فركع ساتان امامها وقال لها :
ان جلالتك تذكرين بأنك انت وهبتي إياه فيما مضى واذكري يا سيدتي
ان ريديون جاءني به مرة ممولاً على كتفه .
ولا شك ان القدرة الحفية تريد انقام مشروعى فافه عاد إلي من تلقاء
نفسه .

فصاح الفتيان الثلاثة وكانوا يسمعون الحديث .
الينا يا أهل النجدة .. الينا يا أهل المروءة .
فقال ساتان :

انك تعدين يا سيدتي منذ اثني عشر عاماً بمساعدتي وقد دعا يوم التجربة
الكبرى فقد كنت محتاجاً إلى الأحياء الثلاثة وهم الآن عندي كما ترى .
واشدت صباح الثلاثة ولكن ساتان لم يصغ اليهم ومضى في حديثه فقال :
و كنت محتاجاً الى ميت وها هو عندي جاءني دون ان ادعوه وجلس

في المكان الذي عينته له القدرة الخفية ولذلك التمس منك ان تفي بتلك الوعود السابقة.

- ماذا يجب ان اعمل ؟

- لا أحب ان تعلمي شيئاً بل التمس منك ان تدعيني اعمل .

- وماذا تريد ان تصنع ؟

- أم أوضح لك مائة مرة .. سيدتي اشفقي علي وانصرتي فاني أراه يرتعش واخشى ان يستفيق وعند ذلك ..

فضحكت وقالت : وعند ذلك ماذا يكون ؟

- يكون انك تقتليني يا سيدتي أي انك تقتلين الرجلين الذي سيكشف

سر الوجود .

وقد جعل عند ذلك يبكي فلم تحفل الملكة ببيكانه وجعلت تنظر إلى هردي ينازعها هاملان عامل الحقد الذي يدعوها إلى قتله وعامل آخر لم تستطع هي نفسها ادراكه كان يقضي عليها بانتقاه .

وجعل ساتان يشتمها بسره اقبح شتم ويقول :

الويل لي ولشروعني فقد بحت بسره لامرأة فاسدة الاخلاق لا يهمها في هذا الوجود غير شهوات نفسها فهي تبسح الخلود بنظرة من رجل يروق لها وتبسح العلم واهله بإبتسامة من فم تهاه .

وعند ذلك تنهدت الملكة تنهداً عميقاً وحولت نظرها عن هردي .

وقد تغلب عليها عامل الحقد واسلمت هردي الى ساتان .

فقال لها ساتان وقد رأى منها ذلك التغيير .

ماذا تقولين يا سيدتي ؟

قالت : اقول انه اذا كان لا بد لك من قتله لانام مشروعك فافعل .

ففرح ساتان فرحاً لا يوصف ووثب الى خزانة كي يحضر ذلك الشراب

النوم فيجدهد تنويم هردي ثم يقتله دون ان يريق دمه .

ولكنه لم يكذبصل اليها حتى سمع قهقهة من ورائه فالتفت منذعراً

فرأى هردي جالساً على مائدة الرخام ينظر اليه ويضحك .

ثروة باساقان

فلث ساتان جالساً في مكانه وقد اصفر وجهه وكاد المتديل يسقط
من يده .
فقال له هردي : دع هذا المتديل فقد نومتني به مرة علي غرة أما الآن
قلم يعد يفيدك .
فاضطرب ساتان وسقط المتديل من يده .
ولث هردي يضحك ضحكاً طيبياً دون تهكم او استهزاء .
وقد كان سروره وضحكه لسببين اولهما انه شعر بأنه نجحاً من موت
رهيب .
وثانيهما انه كان يأخذ الأمور بطواهرها وقد رأى من حياة ساتان ما
دفعه الى الضحك .
أما ساتان فانه كان خائفاً من ضحكه اكثر مما يخاف من وعيده .
واما الفتيان الثلاثة فانهم حين رأوا هردي يضحك جعلوا يضحكون
ايضاً لوثوقهم من النجاة .
وكذلك يريدون فانه رأى رعب ساتان ورأى الجميع يضحكون فجعل
يضحك ايضاً بحيث تحولت تلك الرواية الممزقة الى رواية مضحكة ولم يعد
يسمع في تلك القاعة غير الضحك .
وعند ذلك جرد هردي خنجره واسرع الى الفتيان الثلاثة فقطع قيودهم
وأخذوا يقولون اقوالاً لا تفهم فلا ندري أكانت شكراً لهردي ام شتماً
لساقان .

وأما سائقان فقد لبث جامداً لا يتحرك ولو كان الفكر يقتل لكانت
الملكة سقطت صريعة .

وقد احتاط الثلاثة بهاردي ودنت الملكة منه وهو لا يراها فقالت له :
أتريد أيا الشفاليه ان تخفرتني الى قصر سانت بول ؟

فتمتم هاردي قائلاً .. الملكة .. ثم انحنى امامها وقال وهو يبتسم :
اندعوني جلالة الملكة الى قصرها ؟

- هذه هي المرة الثانية التي ارجوك فيها هذا الرجاء .

فابتسم ابتسام المتكلم وقال :

ان الملكة لا ترجو ولكنها تأمر

- وانك تعصي هذا الأمر إذن فاعلم ان ما أمرتك به في غرفة أوديت

دي شامديفر أمرك به الآن ، فهل تطيع ؟

مريني ان اقتل نفسي وسأرى اذا كان يجب عليّ الا اطيع ؟

- اذن انت تخشى ان تقتل عندي .

- هو ذاك يا سيدتي فاعذريني لهذا التصريح فاني عشت قليلاً حتى بت

شديد التمسك بجمل الحياة لأرى اذا كان يوجد في هذا العالم غير ما رأيته
من الكذب والنفاق والشر .

فابتسمت ايزابو ودنت من مائدة الرخام فليستها بيدها وقالت :

انك كنت ممدداً على هذه المائدة منذ هنيهة فلم كنت اريد لك الموت

لما احتجت لاصدار الأمر بقتلك بل تفاضيت عنك وبذلك اكون قد انقذتك
من الموت .

ولكني أراك غير مقيد معي بشيء حتى ولا بذلك الأدب الفرنسي

الذي ملأتم الدنيا افتخاراً به .

ولا أراك تفعل ذلك إلا لأنك انقذتني مرة في الغابة فاذا انقذتك اليوم

فواحدة بواحدة .

ولكنني انكرت على الفارس الفرنسي ان تسأله امرأة الاعتقاد على حسامه
فبرفض .

استودعك الله ايها الشفاليه وانت يا ريدون فاتبعيني

وعلى اثر هذا القول تأثر تأثيراً عظيماً على هاردي ، فاصفر وجهه وقال
في نفسه :

نعم هي التي أنقذتني ويستحيل ان يكون الأمر قد جرى على غير ذلك
ثم امرع اليها وقال :

تفضلني يا سيدتي بالعفو عني ، فاني رهين امرك ، وسأذهب معك الى
القصر ..

ثم قال لسافان : ايها الساحر افتح الابواب .

فغضب ريدون حين رأى الملكة قد انتكأت على ذراع هاردي ولكن
الملكة صغفته بنظرها .

وفتح سافان الباب الخارجي فخرجت الملكة وهاردي وتلاهما ريدون ،
وخرج بدم برانكايل وبرانكايل ، فأشار اليهم وسأل الملكة قائلاً :
أعمل هؤلاء الثلاثة من حراس جلالة الملكة ايضاً ؟

فقال هاردي : بل هم من حراسي .

وبعد هنيهة كانوا في شارع الجزيرة ، فأقبل سافان الباب بيده وهو يريد
لو ابتلعته الأرض ليأسه .

وسارت الملكة مع هاردي وريدون ينظر اليه نظرة الخائف ويقول في
نفسه :

من يعلم ، فقد يخلفني في رئاسة حراستها .

والفتيان الثلاثة يمس بعضهم في آذان بعضهم والفرخ ملء قلوبهم :

أنحن حراس الشفاليه دي ياسافان ؟

حتى وصلوا الى القصر فطرق ريدون الباب وقال كلمة السر ففتح الباب .

وعند ذلك قالت الملكة هاردي :

إذا كنت قد خفت فأرجع .

فكان جواب هاردي ان تقدمها ودخل ومشى بقدم ثابتة الى قصر الملكة وهو يشده نفسه ، فانه لم يكن يأمن هذه الملكة بمد ان عرف حقيقة امرها .

وأقفل الباب من ورائه وقد حاول الفتيان ان يدخلوا ايضاً ولكن ريدون منعهم عن الدخول .

فوقفوا في منعطف الطريق وجمعوا يتشاورون ، فقال برايسكايل .

انا من غير مأوى ولا درهم لدينا وقد انهك قوانا الجوع وقيود الساحر ،

فمن جياح عطاش ، فما نرون ان نصنع ؟

فقال برانكايل : أرى ان نذهب الى كنيسة سانت جاك فنبيت فيها

ليلتنا ..

وقال براكايل : بل نذهب الى خبارة فتأكل ونشرب فيها حتى يبلغ منا

السكر حده ، وعند الصباح نغافل الحمار ونهرب .

فقال برايسكايل : أما انا فاني أرى غير ما ترياه .

قالا : ماذا :

أرى ان نعود الى مولانا القدم الدوق دي بوجونيا .

فأجفل الاثنان وقالا :

ويحك ، انعود الى الدوق وهو الذي دفعنا الى الساحر ؟

قال : نعم فهو شجاع محتال يحب اهل البسالة والحيلة ، ومتى اوهمناه

اننا نجونا من الساحر بفضل شجاعتنا وصبرنا ودهانتنا اعجب بنا وصفح عنا

وهو يحتاج في كل حين الينا .

وقال برانكايل : انه يشفقنا لا محالة فلا نذهب .

وقال برانكايل : ليس هذا الرأي رأي عاقلين ، وخير ما أراه ان

نذهب الى امرأة الى بها اتصال فنييت عندها القبة ، وصزى غداً ما يكون ..

فوافقه الاثنان على رأيه وساروا جميعهم الى تلك المرأة .
اما هاردي فقد دخل الى قصر الملكة وهو يعتقد يقيناً ان جب الأسود أقل خطراً من هذا القصر .

وكان يسير وهو يصفي ، إذ خيل له انه يسمع همساً وان الكامنين سيقبضون عليه
ولكنه كان مطمئن حين يذكر ان ايزابو قد أنقذه من الموت ، ويقول في نفسه :

انها لو ارادت قتلي لتخلت عني فقتلني ذلك الساحر .
وقد دخل مع الملكة الى غرفة التمره فرأى الملكة قد أكبت عليها وجعلت تلاطفها

وهناك رجل كانت قد عهدت اليه ان يغير ضماد جراحها فسألته عنها فأكد لها انها لا تموت .

وقد دهش هاردي دهشاً عظيماً حين رأى الملكة تبكي .
ولا تدري اكانت دموعها دموع فرح ام دموع قهر لما اصابها في هذه القبة ..

ولكن هذه الدموع أثرت على هاردي وأضعفت حزمه للملكة ، فان أكثر اهل القلوب الكريمة تؤثر عليهم الدموع ولا سيما دموع النساء .
وعند ذلك ادخلته الملكة الى قاعة فخمة الأثاث لم يسع هاردي إلا الإعجاب بها على كبريائه وقالت له : اجلس على هذا الكرسي امامي .
فامتثل هاردي وهو يقول في نفسه :

لرى ماذا تريد مني ولكن مهلاً فسوف نرى .

اما الملكة فانها اطرقت هنيئة ، ثم التفتت اليه وقالت له فجأة :

قل لي اياها الشفاليه أعرفت اولئك الذين هجموا على منزلك ايام حدائقك
واختطفوا تلك الفتاة الصغيرة التي كانت تدعى روزالي ؟

قال هاردي في نفسه : يجب ان اظهر لها لأول وهلة اني لا أخافها ، ثم
التفت اليها وقال

كلا يا سيدتي لم اعرفهم ولكنني عرفت ذلك الملاك الذي بسط جناحيه
علي تلك الطفلة كما اخبرتك وأتقدها .

— من هو هذا الملاك ؟

هو الفاضلة النبيلة السيدة دي اورليان .

فابتسمت الملكة وقالت :

اذن كيف قلت لي اني انا التي أنقذت الفتاة وانك من أجل ذلك نسفت
دمك في سييلي ، ألسنت انا التي أنقذتها ؟

— كلا يا سيدتي فقد كنت منقذها .

بسوءني ذلك ، فقد كنت أود ان أكون ملاكاً ولو مرة في العمر ،

فلنقطع المباحثة في هذا الشأن وقل لي ..

وهنا توقف عن الكلام ، فكانت تشبه النعرة حين تتحفز للوثوب ،

ثم قالت :

هل عرفت قاتل ابن عمنا الدوق دي اوليان ؟

فارتعد هاردي حينئذ وأدرك ذلك الخطأ العظيم الذي ارتكبه بدخوله الى

قصر سانت بول

ولكن وقت الندم كان قد فات ولم يبق لديه إلا ان يظهر بسالته لهذه

الملكة فقال ؟

ليس علي يا سيدتي ان اجد قاتل الدوق دي اورليان فان ذلك من

شؤون رجال الشرطة والقضاء

علي اني اعلم ما تريدون ان تعني بما تقولين وهو اني منهم يقتل هذا

الدوق المنكود وانهم اذا لم يجدوا القاتل الحقيقي كنت انا القاتل وعوقبت عقاب القتلة أي بالاعدام .

فليقبضوا علي* يا سيدي اذا اردت تسليمي ، ويحاكموني اذا اردت ان نسلي ضيفك الى المحاكمة ، وليحكوا علي بالاعدام اذا كنت قد أثبتت بي الى قصرك لهذا الغرض .

ولكن اقسم لك بشرفي ان القاتل الحقيقي سيعاقب ولو دفعني إلى يد القضاة .

فاتقدمت عينا الملكة وقالت :

اذن انت تعرف القاتل ؟

- نعم اعرفه .

- قل من هو .. قل الحقيقة .

- سيدي لقد قلت لك انه ليس من شأني ايجاد القاتل وما انا من اهل الوشاية ولكنه سيعاقب لأن ذلك امر خاص بيني وبينه .

اما الذين دفعوا القاتل إلى قتل الدوق المنكود فسيفقتلون ايضاً وأكون أنا ايضاً قاتلهم .

وكانت الملكة تسمع اقواله بانذهال ورعب مما فقد عجزت كيف انه يعرف القاتل وذعرت من تهديده الذين دفعوه الى القتل .

وساد السكوت هنيئة بينها فكانت الملكة يتنازعها عاملا الرفق والخوف .

أما الخوف فلانها أيقنت ان هذا الرجل يعرف اسرار هذا القتل .

وأما الرفق فلانها ذكرت انه انقذها من الموت وانها تحتاج الى مثل هذا الباسل .

ولذلك قالت في نفسها : أما يكون لي واما يموت .

وبعد ان أقرت هذا القرار قالت له :

أتعلم ايا الشفاليه انك قلت اقوالاً هائلة ؟

- هو ذاك يا سيدتي فان معرفتي قاتل الدوق اورليان وتصريحي بذلك
أشد خطراً من ان أكون القاتل نفسه .

على اني أعيد ما قلته وهو اني لست القاتل وانى اعرف الرجل الذي
دفعهم الى القتل .

- ولكنك قلت ايضاً انك تريد معاقبتهم .

- ذلك ما حتمته على نفسي ولا بد لي من قتلهم إلا اذا قتلوني .

- ألا تريد ان تذكر لي اسماء الفتنة ؟

- كلا يا سيدتي .

- اذن أنا اذكر لك اسماءم فاعلم انهم يدعون كين و ..

- ان كين قد قتل يا سيدتي .

فارتعشت ايزابو وخافت لحظة من هردي إذ خيل لها انه رسول تلك
القوة الخفية الهائلة التي لا سبيل إلى الدفاع معها .

وربما كان الخوف لديها في تلك الساعة أعظم من الإعجاب بحيث لو دخل
ريدون لأصدرت اليه امرها دون شك بقتله .

ولكنها ضبطت نفسها وقالت :

والآخرون يدعون غيليوم وكورتييز وتونفيل فهل قتل هؤلاء ايضاً ؟

- كلا يا سيدتي ولكن الذي قتل كين سوف يقتلهم لا محالة .

فوقفت ايزابو واقتدى بها هردي فوقف وقفة احترام فقالت له :

اجلس .. اني أمرك بالجلوس .

فامتثل هردي وجعلت الملكة تدير بيطي و ذهاباً وإياباً وجعل هردي

يقول في نفسه :

لقد قضى امري ومن يعلم ما تصنعه بي فهل تدفعني الى السجن او انها

تأمر بقتلي بخناجر رجالها .. لتفعل ما تشاء فانهم لا يقتلونني قبل ان اقتل
بعض منهم .

اما الملكة فانها رقت فجأة وقالت :

ان الذي دفع اوائك الأربعة إلى قتل الدوق دي اورليان يدعى الدوق دي بورجونيا .. اسكت وأصغ إليّ واجتهد ان تفهم ما سأقول لك لأنني لا أقوله غير مرة .

وقد اتفقت عيناها وارتجفت شفتاها فخبيل لهردي ان الشر بعينه قد قتل بشكل امرأة .

وفي تلك الساعة دخل ريدون غير ان الملكة لم تكثرت لدخوله إذ كانت تحسبه حيواناً ألوفاً يقع في القصر ومضت في حديثها فقالت :

ان هذا الرجل ، بل هذا الدوق الذي يدعونه جان الذي لا يخاف ، قد أحبيته أفهمت ؟

اريد ان أقول اني كنت مستعدة لمساعدته في كل ما يريد من خير وشر .

نعم اني احبيته وصرحت له بحبي ووعده ان اجعله سيد العالم ولكن هذا الذي يلقبونه بأنه لا يخاف قد خاف وخانني .

فقال هردي في نفسه :

رى أعلمها تريد ان تعهد إليّ بقتل الدوق دي بورجونيا كما عهدت إليّ بقتل دي اورليان .

ثم نهض وقال لها :

انتبهي يا سيدتي فانهم يسمعون ما تقولين .

— من هذا الذي يسمعي أهو ريدون ... انه يسمع ولكنه لا يفهم ما

أقول أليس كذلك يا ريدون ؟

قال : كلا يا سيدتي اني لم اصغ ولكني أتيت لأقول لك :

— أسكت فستقول لي ما تريد قوله بعد الآن وعادت الى مخاطبة

هردي فقالت :

ان الدوق دي بورجونيا أيا الشفاليه لم يعد لديّ شيئاً مذكوراً وسيان

عندي حياته ومماته إذ ليس هو الرجل الذي ابحت عنه .

واني أريد رجلاً يقدم على كل امر خطير لمجده ولمجدي فأكون له يحميني
ويكون يحميته لي .

وهذا الرجل أيما الشفاليه اقدم له ثروة لا يدركها بالأحلام ولا تخاطر له
بالأماني ولا احتاج منه إلا لسيفه وعقله .
ولكنني قد ادفعته إلى العرش وفي مقابل ذلك ينال حبي . حسب إزايو
فهمت ؟

انظر إليّ أنجد بين نساء البلاط بل نساء فرنسا امرأة اجمل مني ؟
فاذا أحبني هذا الرجل الذي ابحت عنه أيما الشفاليه حباً صادقاً تزيهاً
وضعت يده بيدي وارذقت به إلى اعلى قمة من قمم الجهد الانساني .
فاصغ إليّ فاني سأقول لك ما افعل .

فدمش هردي لاقوالها وعجب لهذه الوجود التي لم تخاطر في بال رجل
فقير مثله لا مال له ولا مأوى وكيف يخاطر له ان تحبه الملكة .

وقد رأعا تنظر اليه نظرات تشف عن غرام لا تحاول اخفائه ولكنه
كان يحفل لهذه النظرات ويبسح كل عروش الأرض بنظرة من التي يجلبها
وبعيشها .

ولذلك كان يسمع حديثها بأذنيه لا بقلبه وكانت الملكة تراقب وجهه
فلا ترى منه ما يدل على تأثره بأقوالها فغلا الحقد في قلبها وقالت :

أتعلم اذا كان يوجد رجل في الوجود مثل هذا الرجل الذي ابحت عنه ..
ان هذا الرجل يجب ان يلفمني وان يحبني بقلب لا يقم فيه مثال اوديت
دي شامديفر .

فوقف هردي وقد اصفر وجهه وايقن ان حياته متعلقة بكلمة بقولها :
ولكنه لم يقل شيئاً فقالت :

ما بالك لا تحبني . أحق انك تحب هذه الفتاة ؟

فقال هردي : تسأليني اذا كنت احبها ؟

قالت : ما بالك لا تحب ألا تجسر على الاعتراف بهذا الحب .

ولكنني أجيئك يا سيدتي وأنا أقسم بالله اني احب ..
وعند ذلك سمع الاثنان صوتاً رناناً يقول :
احذر ايها الشفاليه بما ستقوله .

فالتفت الاثنان إلى مصدر هذا الصوت فرأيا ساتان قد دخل وهو مرند
بذلك الثوب الذي كان يلبسه يوم الحفلة الراقصة في قصر سانت بول .
فألت الملكة يريدون بالنظر .

ولكن يريدون هز كتفه إشارة إلى انه غير مسؤول فانه دخل اليهسا
لينفرها ولكنها أبت ان تسمع كلامه .

فارتدت بنظرها إلى ساتان وجعلت تحديق به ويحديق بها فأدركت من
فطرائه انه لم يأت إلا لقتل هردي .

وكانت قد ابتعدت عن هردي حين دخل ساتان فعادت اليه وهي تحاول
ان تجرب التجربة الأخيرة ووضعت يدها على كتفه ونظرت اليه نظرة حب
كادت تضيع رشاهه وقالت :

أيها الشفاليه أتريد ان تكون هذه الغررة العظيمة وهذا المستقبل
الفضح لك ؟

لا تسرع باجابتي واصبر إلى رجائي .. أتريد ان تكون ضيف ملكة
فرنسا ثلاثة ايام فلا يسك احد بسوء حتى ان الدوق دي بورجونيا نفسه
لا يحسر على ان يدنو منك .

قل ايها الشفاليه أتريد ان تكون ضيفي ثلاثة ايام ثم تجيبني بعد ذلك
عما اقترحه عليك واذا اردت الابتعاد عني بعد ذلك خرجت من القصر
سالماً كما دخلت اليه قل أتريد ؟

فلم ينحن هردي ولم يظهر لها احتراماً كاذباً بل نظر اليهسا نظرة
اخلاص وقال لها :

سيدتي اسمحي لي ان التمس العفو جاثياً عند قدميك فاني اذا قبلت
هذه الضيافة كنت كمن يعود في الجواب الذي تريدونه .

فتراجعت منذرة وقالت :

وانت لا تتردد ؟

— كلا يا سيدتي فاني لست من الكاذبين وقد اقسمت واني اقسم الآن .

فقاطعه ساتان قائلاً : احذر بما تقول :

ثم نظر الى الملكة نظرة مفادها :

أتسلفيني اياه الآن ؟

فأجابته قائلة : نعم .

والتفت عند ذلك هردي الى ساتان وقال له :

لست انت الذي تستطيع منعي عن القسم بأني احب الالسة اوديت

دي شامديفر .

فقاطعه ساتان قائلاً : لقد كذبت .

فانتفض هردي غيظاً في البدء ثم ما لبث ان عاودته الكينة فابتسم

ابتسام الهازيء وقال :

انك مدين لي بأذنك ولكن أرى انه لا بد لي من قطع لسانك ايضاً .

فأجاب ساتان ضاحكاً :

لا حق لك بذلك فقد قلت انك كذبت وسأبرهن عن ذلك .

فهرب الابتسام عن شفهي هردي واحمر وجهه من الغضب فقال :

أنت تبرهن اني من الكاذبين !

قال : نعم فانك لا تحب اوديت دي شامديفر كما تتوهم بسبل انك تحب

روزالي فأقسم الآن اذا سكنت تجسر .

فترجع هردي منذراً وقد صبغ وجهه بعفورة الموت واطرق برأسه

الى الأرض وهو لا يدري ما يقول .

فقال له ساتان عند ذلك بلهجة المنتصر .

اينا الكاذب اياها الشفاليه فلما كانت اوديت هنا أتجسر على ان تنهبها .

قلبك وهذا القلب قد وهبته منذ حدثتك لفتاة لا يزال رسمها مطبوعاً في
صدرك الى اليوم .

فقال هاردي في نفسه ،

تباً لك من شيطان مرعب يقرأ ما في القلوب .

وقال له ساتان .

ما بالك لا تجيب ، ثم دنا منه وقال له بصوت منخفض :

أتريد ان تراها ؟ .. اني استطيع بعد ساعة ان اذهب بك الى روزالي .

فارتعش هاردي وشعر كأنما قلبه يشب في صدره وقبض على يد ساتان

وقد اتقدت عيناه ببارق من الرجاء .

فقال له الساحر :

أتريد ان تتبعني ؟

قال : نعم لغوري .

فنظر ساتان عند ذلك الى الملكة كأنه يسألها رأيا فأجابته بنظرة مثل

نظراته مفادها : لقد اسلمتك إياه .

ثم نظرت الى هاردي فتنهد وهرجت القاعة فتوارت عن الأنظار .

٤٩

في الظلمات

أما ساتان فانه قال لهاردي : تعال .

قال ؟ الى أين ؟

قال ؟ لتخرج في البدء من قصر سانت بول فاني لا أمان فيه على نفسي

ولا عليك .

فأزالت هذه الجملة كل ريب من نفس هاردي ، ولم يعد يفكر إلا بأن
الساحر يعرف أين هي روزالي وأنه لا يذهب به إليها إلا لأن ضميعة يربحه
عما كذب به عليه من قبل ، ولذلك كان اتفاقاً كل الرثوق بأنه سيجمعه
بروزالي .

وخرج الاثنان من قصر سانت بول دون ان يتعرض لها أحد .
وكان ساتان يسير بسرعة وهاردي يتبعه وهو لا يفكر بما حدث عند
الساحر ولا عند الملكة ، بل كان يفكر بروزالي وحدها .

أما ساتان فإنه بعد ان خرجت الملكة من منزله وبعد ان رأى الأحياء
الثلاثة والميت قد افلتوا منه كبر عليه ذلك حتى انه اغمى عليه .

فلما استفاق من إغمائه جعل يفكر بالملكة وهاردي ويقول :
لا بد لي ان انتقم من هاردي ، فقد أصبح من ألد اعدائي ، وكذلك
من تلك الملكة البليدة التي تضحي أهم الاكتشافات في سبيل شهواتها
الفاسدة فأطعنها بقلبها وأخلص من ذلك الرجل الذي يقتلني لا محالة اذا
لم أقتله .

ثم ضحك وقال : أيجوز قتل رجل مثلي يبحث عن اكسير الخلود ، كلاء ،
ان ذلك لا يكون اذا لا يمكن ان يكون .

وكان يخاطب نفسه بهذه الأقوال ، وهو يلبس ملابسه ، فلم يتفقد سلاحاً
ولكنه خياً تحت ملابسه ثلاثة مفاتيح وشمعة قصيرة ، وبعد انصراف الملكة
بربيع ساعة ذهب توأ الى قصر سانت بول .

وكان يعرف كلمة المرور ، لأن الملكة كانت تجهز له الدخول إليها
حين يشاء .

فذهب الى قصر الملكة ، ولقي ريدون ، فقال له بضع كلمات وقد رأينا
كيف ان ريدون دخل الى الملكة ليخبرها بأمره فلم تشأ ان تسمعه .

ولتعد الآن الى سياق الحديث فان ساتان كان يسير مسرعاً وهاردي يتبعه
فقال له :

أين هي مقبحة ؟

قال : في مكان قريب من دير كليتي ، فعدني انك لا تخاف مها كان هذا المكان الذي سأذهب بك اليه وان تثق بي .

قال : ويحك فمن كان لا يخاف مائدتك الرخامية ومزلك الصحري يخاف شيئاً في الوجود ؟

واما تثقي بك فان هذا الخنجر بضمنها لي قسر بي الى حيث تشاء .

قال : الحق انك غلبتني ، أيها الشفاليه ، وأنا اعترف بانك اشد مني جلدأ وثباتاً في الخطوب ، أعلم ان حكايتك معي من اعجب الأمور .

- أمي حكايتي ؟

- حكايتك اني ظفرت بالأحباء الثلاثة مرتين وقبضتهم بالكراسي ومددتك على مائدتي مرتين وأنا اعتقد انك من الأموات فكنت في المرتين تقوم من الموت وتنفذ الثلاثة ..

فقاطعه هاردي قائلاً :

لا تذكرني بهذه الأمور أو ينفد صبري .

- ليكن ما تريد وفوق ذلك فقد توصلنا .

فخفق قلب هاردي وقال : الى أين ألى المكان الذي تقع فيه روزالي ؟ - هو ذلك ؟

وقد وقف فوضع يده على كتف هاردي وقال :

ولكن هل تعرفها حين تراها ؟ انك فارقتها طقة ، وهي الآن في مقتبل

الشباب وكانت جميلة واما ان لا فان جمالها يدهش العقول فهي تشبه .. من .. حقاً انها تشبه الأنسة أوديت دي شامديفر .

فارتعش هاردي إرتعاشاً بيناً وقد مرت غمامة كثيفة على بصره ، فقال :

له : لشمسي .

قال : لشمسي .

وواصل الاثنان السير ، حتى اجتازا الجزيرة ، واقتربا من الدير ، فرقعه

ساتان ونظر هاردي فرأى الدير عن يمينه ، ورأى ساتان قد وقف عند بيت منخفض .

وفتح ساتان باب ذلك البيت بفتح كان معه ، ودخل فتبعه هاردي واقتل ساتان بسباب فأثار شمعه القصيرة ودخل هاردي الى قاعة كان في أرضها باب خشبي فرفعه فأنكشف عن سلم نزل عليه ، وتبعه هاردي دون تردد .

وبعد ان نزل عشرة درجات بلغا الى قبو رصت فيه براميل الحجر وفي آخره باب متين .

فذهب ساتان ترواً الى ذلك الباب وفتحه بفتح آخر كان معه أيضاً وهناك ظهر لها سلم كان ينزل الى عمق الأرض .

فقال هاردي : ما هذه الأحماق لعلنا نزلان في طريق جهنم ؟

وكان ساتان قد بدأ ينزل فوقف والتفت الى هاردي وقال :

ان الوقت لا يزال قسيحاً ، أيها الشغاليه ، فإذا شئت ان ترجع فلتفرق .

قال : ولكن ما هذه الطريق وأين روزالي .

قال : اننا سائران اليها .

- ألا يوجد طريق آخر ؟

- لا يوجد غير هذا الطريق لك .

فتردد هاردي هنيئاً ، واستمر ساتان في نزوله ولكن هذا التردد لم يطل فكان ساتان يقول في نفسه .

انه اذا خاف لجا وكان هاردي يقول في نفسه :

ما هذه الطريق الغريبة ، ولكني لو كنت واثقاً انها طريق الموت فلا بد

لي من سلوكها لأنها تؤدي الى روزالي .

وفوق ذلك لها اخاف فانه لو بدر اقل يادرة من هذا الساحر تحملني

على الرب به قتله دون إشفاق .

وعند ذلك تبع ساتان مسرعاً فانتبها من السلم الى رواق طويل تحت الأرض خرجا منه الى منعطفات وأروقة مختلفة .

وكان هاردي يسير وهو يهيج من هذه الطريق العجيبة ويظن الظنون الى ان خطر له ان روزالي تقع خصيصاً في هذا المكان السري ولكن لماذا .. ومن اقامها فيه ؟

وقد التفت الى ورائه فلم يجد اثر الرواق الذي دخل منه فداخله الرعب ووضع يده على كتف ساتان فقال :

قل لي أين نحن الآن ؟

- ولكنك ترى اننا تحت باريس .

- تحت باريس ؟

- دون شك فان باريس مدينة عظمى فيها ما لا يعد من القصور والفنادق والكنائس والبنائات على اختلافها فمن أين أتوا بجسارة هذه البنائات إلا من جوف الأرض ومن مثل هذه المقاور ، أهملت الآن ؟

- نعم ، ولكن الى أين تؤدي هذه الدهاليز المظلمة في جوف الأرض ؟ فضحك ساتان ضحك الهازي . وقال :

انها لا تؤدي الى مكان فانها مسدودة ، أيها الشفاليه ، ما خلا ثلاثة منها لا يعرف مناقذها غير أفراد قلائل وأنا منهم .

ان هذه الدهاليز عروق ذلك الجسم الضخم الذي يدعونه باريس ولكن عروقها لا دم فيها .

- أيها الساحر أرجو ان لا تكون عامداً الى خيائتي ؟

- أنا أخوك .. ولماذا ؟

فجرد هاردي خنجره وقال له : ان حياتك متصلة بحياتي فسر الآن كما نشاء .

- ليكن ما تريد ، ولكنك سأنتني عن هذه الدهاليز ، أيها الشفاليه ، الياسل ، ولا بد ان تعرف أمرها انظر الى هذا الدهليز الذي ظهر عن يمينك ،

فليس من يعرف أين ينتهي ، ثم ان هذه الدهاليز والاروقة كلها يتصل بعضها ببعض بحيث لو سار المرء فيها عاماً عرف مداخلها وخارجها وكان كحجر الطحن يدور على محور ، ثم ضحك وقال :

انك لو كنت وحدك ، أيها الشفاليه ، لمت موتاً هائلاً بعد نزاع ألم طويل يدوم بضعة أيام .

نعم ، انك توت هنا عطشاً وجوعاً ، هذا اذا لم تبت من الرعب فانك تسير كالجبانين ، من مكان الى مكان ، دون ان تهتدي الى طريق تخرج منها .

ولكنك معي لحسن الحظ وأنا اعرف هذه المنافذ فقد اجتزتها نحو مائة مرة على الأقل.

فقبض هاردي على ذراعه وقال له : متى نصل ؟

- قريباً

وكانا قد وصلا الى قاعة مئسمة لها نحو عشرة منافذ ، فقال ساتان : اني طالما اضطررت الى الاختباء في هذه القاعة حتى بت استطيع الخروج من هذه الدهاليز دون نور لملائم خاصة وضعتها في الجدران فكنت اعتدي بها .

اما أنت فانك لا تستطيع الإهنداء ، ولو كان لديك نور تستضيء به فتموت من الجوع والعطش والرعب .

- كفى واسرع بالمسير كي نصل .

- ولكننا وصلنا ، أيها الشفاليه .

وعند ذلك أطفأ الشمعة فذعر هاردي ومد يده الى ساتان كي يلتقطه فلم يعثر به ولم يجد أمامه غير الظلمات .

فجعل يركض ركضاً عنيفاً بغية إدراكه الى ان وقف وقد هلع قلبه من الرعب ، وأيقن ان ساتان قد ابتعد عنه في تلك الظلمات ، ولا سبيل الى إدراكه .

وقد وقف بصفي على يسمع وقع خطواته ، وبقي له رجاء وهو انت
الساحر لا بد له ان يكلمه قبل انصرافه فيسمع شتمه او ضحكه وهزئه به .
ولكنه لم يسمع شيئاً من ذلك ولم ير شيئاً غير تلك الظلمات الكثيفة
التي كانت تحديق به من كل جانب .

وقد بلغ الرعب منه مبلغاً عظيماً فبذل جهداً عنيفاً كي يخفف هذا
الرعب على يهتدي الى طريقة للنجاة .

فجلس على الأرض وعاد الى الإصغاء وقد عادوه الرجاء بأن يهتدي على
أثر ساقان .

ولكنه لم يسمع شيئاً فان ساقان لم يكن من اولئك الذين يريدون الانتقام
للبهاة بل كان يريد لهجرد الانتقام .

وكان يوسعه ان جزأ بهاردي دون ان يمكنه من الوصول اليه ، ولكنه
حين انطفأت الشمعة عما إسم هاردي واعتبره كأنه لم يكن وجعل يفكر
بمساءه ..

وقد عاد بتلك الطرق التي يعرفها وبلغ السلم وخرج الى سطح باريس
وهاردي لا يزال ينتظر ان يهتدي اليه بصوته او بوقع خطواته .

فلما وثق انه لم يبق له رجاء به قال في نفسه :

ان هذا الشيطان المريد قد اخترع طريقة لقتلي لا يهتدي اليها الأبالسة ،
ولكن الويل له إذا قدر لي الخروج من هذه الظلمات .

فلأدع التفكير به الآن ولأفكر في طريقة الخروج من هذا القبر المتسع ،
فلم يخطر له إلا أبسط الطرق وهي ان يسير في احد الدعايز دون ان يعرج
إذ لا بد ان ينتهي الى منفذ .

وقد نهض عن الأرض وجعل يسير مهتدياً بيديه حتى انتهى الى احد
جدران القاعة وبلغ منه احد تلك الدعايز التي رآها قبل انطفاء الشمعة ،
وسار به سيراً شاقاً لا يدركه إلا من يجر به بالسير مائة خطوة معصوب
العينين في طريق يعرفها .

وكان يلتطم كل خطوة بجوانب ذلك الدهليز الضيق وبداء منبسطتان
أمامه كالعميان

فسار بضع ساعات وهو مشغول عن طول الوقت بما هو فيه الى ان
بدأ يعجب من طول هذا الدهليز ويحسب انه ليس له آخر ، وأخذ يوسع
خطواته .

وفيا هو يسير عرف فجأة كيف انه لا ينتهي من هذا الدهليز ، وذلك
انه التطم الى جهة اليسار يجدار النظام اقوى من النظام السابق فترجع
خطوتين .

ثم خطر له ان يعلم بأي شيء التطم فتقدم خطوتين الى الجهة نفسها
وبسط يديه لما اصابتا غير الحلاء فعلم انه دخل في دهليز آخر وان الجدار
الذي التطم به كان منعطف ذلك الدهليز .

فجلس على الارض خائر القوى وقد ملأ اليأس قلبه وجعل العرق ينصب
من جبينه وتمكن منه الرعب أشد تمكن إذ خبل له انه يسمع صوتاً متصلاً
ولكنه علم ان هذا الصوت لم يكون إلا صوت رعبه .
وعند ذلك خجل من نفسه وقال بصوت مرتفع .

ترى بما اخاف فان الموت لا يرجيني ... وكيف أخاف عذاب العطش
والجوع وانا استطيع الانتحار حين أشاء ما زال خنجري معي .

وكان قد اطمأن لهذا الحاطر فتهدت تهد ارتياح وواصل سيره .
غير انه لم يسر بضع خطوات حتى عاوده ذلك الرعب ونسي انه له عزاء
الانتحار ..

ذلك انه شعر ان الارض قد تحذبت تحت قدميه بعهد انبساطها وان
الأخاديد والحفر قد تكاثرت وانه لم يعد يسير على ارض مسطحة بل كان
كأنه يهبط الى واد فيات يتوقع في كل لحظة ان يسقط في هاوية وليس له
مرشد غير يديه وهما لا تقيانه العثار .

فرأى ان خير واقر بقيه ذلك العنار ان يزحف زحفاً كالأفاعي او يمشي على الأربع كالحيوان .

وقد جعل ثارة يزحف وثارة يدب وهو يواصل السير إذ لم يكن له رجاء إلا به حتى انتهكت قواه وطال به الزمن فعوضه الجوع واشتد به العطش وهو لا يجد منفذاً بل يخرج من دهليز الى دهليز ومن ظلام الى ظلام . الى ان شعر بان ركبتيه لا تحملانه وان الدوار اصاب رأسه ، ولكنه مع ذلك واصل السير لأنه كان آخر برهان لديه بانه لا يزال من ابتناء الحياة . وكان قد أحس بالعطش فجأة فحجف حلقه والتهب صدره وشعر ان الظمأ أشد عذابات الارض ، ثم اشتد به الظمأ فعميقه حتى ولدت هذياناً ، فكان يصيح ملتصماً الماء إذ خيل له انه يسمع صوت نبع يسيل ولكنه كان يخال له انه كل ما اقترب من النبع هرب منه .

ثم مثلت له الحمى انه مقع في فندق ليتبود فجعل ينادي صاحب الحماره قائلاً : يا ليتبود : أشرح الكؤوس ... إملأ القناني ... أسقنا ... واسقِر الرفاق ..

وأخذ يشرب ولكنه كان يشعر ان هذه الكؤوس تزيد ظمأ على ظمأ وانها ناراً محرقة الى جوفه فيصيح مستنجداً بأعلى صوته فلا يجيب نداه غير صدى تلك الدهاليز .

وبقي على هذيانه نحو ساعتين الى ان زالت الحمى وذهب الهذيان ، ونظر في حاله فأيقن انه يبع في تلك الظلمات وان هذه الدهاليز لا اول لها ولا آخر ، وذكر اقوال سافان فأيقن انه سيموت في جوف الأرحس ، فانبطح على الرمال يترقب الموت وقد خارت قواه ، فلم يعد يخطر له الانتعاش . وكان على أشد حالة من الاضطراب بحيث انه لم يكن يستطيع التفكير بما هو فيه ..

ولكنه كان واثقاً من انه سيموت ، فبذل جهداً عنيفاً كي يستطيع ان يقول كلمة فلم يستطع ان يلفظ إلا إسم روزالي .

وكان يتنفس ببطء وقد انحلت قواه وبات عاجزاً عن كل حركة ، فلم يكن بينه وبين أهل الفزع شيء من الفرق .

على انه يموت من الموت الى الحياة فجأة ، فان هذا الرجل الذي انهكه التعب وهد حيله الجوع وقتل عزيمته الرعب حتى انه لم يستطيع التنفس نهض فجأة عن الارض وقد رجعت اليه قواه وذهب جوعه واشتد حيله ذلك انه سمع عن بعد اصواتاً إنسانية كانت تبلغ الى مسامع كالمهوس . وهذا الذي رد اليه قوله بل رد اليه الحياة ، فان في مثل هذه الظلمات يكون السمع آخر ما يموت في الانسان .

وقد مسح وجهه وبذل كل قواه الفكرية كي يتمكن من السكينة ، فلما وثق من ضبط اضطرابه اغمض عينيه وجعل يصفي والرجاء ملء قلبه ، فانه كان يشبه مع هذه الاصوات رجلاً تتقاذفه امواج المحيط وهو على وشك الفرق فيرى سفينة قادمة اليه من بعيد

وعدت ذلك جعل يسير الى جهة هذه الاصوات وهو خائف القلب يخشى كل لحظة ان تنقطع الأصوات او يتقلب عليه الضعف فيفتش عليه ، ولذلك كان يسير بلاء الخذر ويداء منبسطتان امامه .

وإنما كان يسير الى الحياة ، فاذا ضل الطريق او تاه عن مصادر هذه الأصوات عاد الى ما كان فيه من الفزع ولم يبق له رجاء بالحياة .

ولكن هذه الاصوات لم تبعد بل زادت وضوحاً ، وقد رأى في وسط تلك الظلمات المتكاثفة نوراً بضيء فكان هذا النور من أدق ما ينزل به الشعراء ..

نعم انه كان ضعيفاً يشبه نور النجم البعيد ولكنسه كان نوراً مزق حجاب الرعب الذي كان مستولياً على هاردي وأزال عطشه كأنه قد شرب من افخر خور ليتبود وشعر ان قواه قد تجددت كأنه تاهض عن المائدة فمشى دون حذر الى ذلك النور لوثوقه الآن من انه يصل الى الغاية . وكان كل ما تقدم يزيد الأصوات وضوحاً والنور اتساعاً الى ان تألفت

تلك الانوار ورأى هاردي عن بعد نحو مائة إنسان يستنيرون بأنوار المشاعل
فعجب لأمرهم وقال في نفسه : ترى من هؤلاء الناس وما يصنعون في
هذه الدعايز ؟

حتى اذا صار على قيد مائة خطوة منهم لم يمسد بشي شيئاً بل جعل
يركض ركضاً وهو واثق من انهم سينفذونه مها يكن من أمرهم .
وقد عرف من هذه الاصوات صوتاً كان يقول :
هذه هي أوامر مولاي يا كابرش ابلغتك إيها .
وكان هذا الصوت صوت تونفيل .

فنظر هاردي الى ذلك العدو الهائل فرأى بجانبه كورتيز وغيلبيوم
وكثيرين من البورجونيون .

وأما الآخرون فقد كانوا من فريق العامة ولم يكن يعرف احداً منهم ،
ولكنه كان واعقاً من ان جميع اولئك البورجونيون كانوا يريدون له الموت
وعلى ذلك فقد كان واقفاً بين خطرين ، فانه إذا رجع الى الوراء لقي
الظلمات والعطش والجوع والرعب ، واذا تقدم الى الأمام لقي أعداء ألداء
يتهبون جسمه بخناجرهم وسيوفهم .

وقد وقف هنيئة ورفقة الحائر المضطرب ، ثم قال في نفسه :
اني أوتر الف مرة ان يقتلني البورجونيون على ان تقتلني هذه الظلمات ،
فاني اذا ألفت أعدائي قتلتني بلحظة ، فارتاح من النزاع الألم .

وعند ذلك تقدم بضع خطوات ولكنه عاد الى الوقوف وقد ثقلت له
الحياة بأجل ممانيتها فولدت في نفسه الحكمة وأراد قبل مجومه على البورجونيين
ان يبحث عن يجد طريقة يتمكن بها من الصعود الى سطح الأرض .

كيف اعدوا الحرب المدنية

وقد تقدم بضع خطوات ولاحظ أمرين خطيرين أحدهما ان أولئك الناس كانوا مقبطين في قاعة متسعة ، وانه يوجد في آخر هذه القاعة سلم نزل منه البورجونيون دون شك .

وانه لا يوجد دهليز متصل بهذه القاعة غير الدهليز الذين هو فيه بحيث انه لا خوف عليه الآن من ان يضل السبيل .

والثاني انه بات واثقاً من الصمود الى سطح الارض ، فانه متى صعّد ذلك السلم ينتهي الى باب ومهما كان الباب متيناً فانه يتمكن بالصبر والقوة والحيلة من فتحه .

وعلى ذلك فقد رسم لنفسه خطة النجاة .

وكان هؤلاء الناس منهمكين في شؤونهم بحيث كان يمكن لهاردي ان يدنو منهم دون ان يفتبهوا اليه .

واذا أمس ان يخاطر هذا الخطر فانه يستطيع ان يصبر الى ان تنتهي جلستهم فيخرج كما خرجوا اذ عرف الطريق .

وكان كابوش يمثل عشرين الفاً من رجال الشعب ، كما ان تونفيل كان يمثل الدون دي بورجونيا .

فقال له تونفيل :

اني سأبسط لك ولرجالك نيات مولاي الدوق دي بورجونيا .

فأجابته كابوش :

ان مولاي الدوق وعدنا ان يحضر بنفسه لمناقشتنا بشأن الحرب المدنية . ولا شك ان هذا المكان الذي اخترناه للباحثة مظلم كاستقبلتنا ، منقبض

كنفوسنا ولكنه ليس لدينا قلاع يحفظها الجند فاضطرونا الى اختيار هذا المكان لوثوقنا بان لا يرانا احد فيه .

وهذه هي قلاعنا التي نلجأ اليها ، فهل خاف مولاك ان يحضر الى هنا المكان ؟

قال : ان مولاي يدعى جان الذي لا يخاف .

إذن ، لماذا لم يحضر ألعبد يحتقرنا اذا كان لا يخاف فقد ذهبت أنا مراراً الى قصره فلماذا لا يريد ان يزورنا وقد شربنا بكمؤوسه الذهبية فلماذا لا يشرب بكمؤوسنا فاعلم يا ترنجيل اننا لا نحب ان نعرف منك مقاصد الدوق بل نريد ان نعرفها منه .

فأجابته صوت قائلاً :

هو ذا أنا .

فالتفت الجميع الى مصدر الصوت والتفت هاردي أيضاً فأرأوا الدوق دي بورجونيا فتزل السلام ببطء .

حق اذا وصل الى القاعات كشف الجميع قبعاتهم إحتراماً ودنا كابوش منه فقال له :

السلام على الدوق دي بورجونيا .

أما الدوق فإنه مشى الى مائدة كان عليها أقذاح الخمر ، فتناول كأساً ، وقال :

انك ، يا كابوش شربت عندي نخب مجدي وأنا أشرب عندك نخب نجاج أمانيك .

ثم قرع كأسه بكأس كابوش فصاح البورجونيون قائلين :

ليمت الأرمانيكيون (حزب الكونت دي أرمانيك) .

وصاح رجال كابوش قائلين :

ليمت الظلم والظالمون .

وصاح كابوش قائلاً :

لتحسين الحرية .

فلما انقطع هذا الصباح التفت الدوق الى كابوش ورجاله فقال لهم :
اني تأخرت قليلاً عن الوصول ، ولم يكن ذلك عن خوف ولا عن
احتقار ، كما توهم كابوش ، ولكنني تأخرت لأني أحببت ان اعلم حقيقة ما
يفعله أعداؤنا جميعاً ، أي الأرمنانيكيون وقد عرفت الآن ما يصنمون وأنا
خبركم به .

فساء السكوت على الجميع ، وعرف كابوش من هيئة الدوق انه قادم
بانباء خطيرة فقال في نفسه :

ان هذا الدوق اذا كان موجوداً بيننا فذلك يدل على انه بات يخداف
الأرمنانيكيين أكثر مما يخداف الشعب فلا أبيعهم محالفتنا بالثمن البض ومن
يعلم فقد ننال حريتنا بهذه المقابلة .

وعاد الدوق الى الحديث فقال :

أيا السادة اصفوا اليّ ولنتفق في البدء ليس على الحرب التي سنثراها بل
على الأسلاب التي سنغنمها من هذه الحرب اذا أتيج لنا النصر فيها اذ لا يجب
ان يفين احد منا .

فوافقت هذه الأقوال أفكار كابوش ، لأنه لم يكن يريد الحرب لجرد
مساعدة البورجونيون على الأرمنانيكيين ، بل كان يريد الفائدة الكبرى
لشعب

اذا كنت مخلصاً ، يا مولاي ، فيا تقول فاني أضمن لك النصر منذ الآن .
واسمح لي ان اشكرك اذ هذه هي المرة الأولى التي عرفت فيها قدرنا
وعاملتنا معاملة الحليف للحليف ، وعلت ان كل أمر لا يستقيم إلا بموافقة
الشعب .

إذن ، انتحالف محالفة إخلاص ونحن نبذل آخر درهم من أموالنا ونسفك
آخر نقطة من دماتنا .

ولكن دعني اكون الباديء بالكلام ما زلت قد ذكرت اقتسام الغنائم

فإنك تقدر حصتنا حتى قدرها دون شك ومن أجل ذلك يجب ان تعرف قوتنا وتقدر أعمالنا فاصم الي .

ثم نادى قائلاً : الجزيرة .

فتقدم أحد رجاله وقال :

هو ذا أنا .

قال : كم لديك من الرجال ؟ وكم عندك من المال ؟

قال : مائتا رجل وثلاثة آلاف دينار .

فدهش الدوق وقال :

ألم يه من المال هذا القدر الكثير ومن الرجال هذا العدد اليسير ؟

فابتسم كابوش وقال :

هذا في شارع الجزيرة وحده ، يا مولاي ، وهو شارع تجار الذهب ،

فاسمع .

ثم نادى قائلاً :

شارع البحرية .

فابتدى رجل نحيف البنية وقال :

لدي اربعة آلاف مقاتل لا يهابون الموت .

فقال الدوق : اني افضل هذا .

ونادى كابوش قائلاً :

شارع الهيكل .

فتقدم رجل وقال :

ستائة رجل ولف دينار .

فنادى قائلاً :

شارع الجامعة .

فأقبل رجل وقال :

لدي أربعائة رجل لا يعوزهم غير السلاح .

فقال الدوق : سنعطيهم كل ما يشاؤون .

وجعل كابوش ينادي كل فرد من رجاله باسم الشارح الذي يمثله فيجيبه ويخبره بما لديه من المال والرجال حتى بلغ المجموع ثمانية عشر مقاتل وخمسين الف دينار .

لقد رأيت ، يا مولاي ، اننا نستطيع بهذا العدد ان نقاوم جيش الملك ، بل نقاوم جيشك أيضاً .

وفوق ما لدينا من المال والرجال فان لدينا تلك الارادة الثابتة التي لا تتزعزع فاننا نريد الحرية أو الموت .

أما وقد عرفت ، يا مولاي ، مدتنا فقد بقي ان تعلم ما تريد . وكان الدوق يصغي بملء الاذنان الى هذا الرجل الخامل الذي يكلمه بلهجة المستكبر الجسور لأنه يمثل تلك القدرة الخفية ، أي قوة الشعب الذي اذا غضب كان كالتيار الجارف .

وبعد أن اطبق هنيئة قال له :

اني اقدر هذا التحالف الذي تقترحه عليّ حتى قدره ولكي قبل ان اعلم ما تريد احب ان تعلم ما اريد .

- لا فائدة من ذلك ، يا مولاي .

فقطب الدوق حاجبيه وقال :

ابلع من كبرياء الشعب انه لم يعد يستطيع ان يعلم إرادتنا .

وعند ذلك كثرت الصخب بين الجمهور وانقسموا الى قسمين فوقف فريق من النبلاء بجانب الدوق ، وأحاطت العامة بكابوش الى ان رفع كابوش يده فسكت الجميع وقال :

أيها الدوق ، وأيها النبلاء ، أننا نعلم ما الذي تريدونه ولذلك قلت لك يا مولاي ، ان لا فائدة مما ستقوله فانك تريد العرش ونحن مستعدون لحملك على اكتافنا الى قصر سانت بول وهذا كل تريده كما اظن .

فارتعش الدوق وقد امتزج في نفسه الرعب والغضب والرضى والرجاء .

ولكنه كان معجباً كيف ان هذا الرجل الفقير قد تولى رئاسة هذا المؤتمر
وانه واثقاً من إحراز النصر الاكيد يمثل هذا الخليف ، فنظر نظرة سريعة
الى النبلاء المحيطين به مفادها :

« دعوه يفعل ومتى ادر كنا مرادنا نعرف كيف نلتهم من هذا الخليف
الجسور الوقح » .

وعاد كابوش الى الحديث فقال :

ان الملك شارل مجنون والدوق دي أورليان قتيل والدوق دي بيري خبيث
لا نشق به وليس لدينا غير الدوق دي بوربون الذي يستطيع ان يساعدنا
دون ان يسألنا جزاء ولكنه ملقّم الحياض .

وعلى ذلك قد اتسع المجال للملكة في ملك رقبانا وبات أولئك النبلاء
يطوفون بيننا بلباس الذهب استقطروه من دماننا ولذلك بقنا في حاجة الى
رجل نضعه على العرش بشرط ان يضمن لنا حياتنا فان من يعمل الليل
والنهار لإسعادكم ، أيها النبلاء ، لا يحسب من اهل الحياة .
وقد انتفضت عروق صدغيه واحمرت عيناه وارتمد النبلاء لجرأته ، وقال
في نفسه :

نعم ، ساعدونا في البدء على تطهير قصر سانت بول من الظالمين وبمسد
ذلك نخلص منكم جميعاً ، أيها الأوغاد ، فلا فالوا ولا بورجون ولا بوربون
بل الحرية .

وقال الشفاليه هاردي ، وكان يسمع الحديث :

واهد لو اعطي الملك باستحقاق لما استحقه افضل من هذا الرجل .
وعاد كابوش الى الحديث فقال .

أما الآن فانكم معنا يا معشر البورجونيين وبسر كم كما اسمع من اقوالكم
ان ينال الشعب حقه خلافاً للارمانيكيين فانهم يقولون :

لقد آن لنا ان نخضع الشعب .

ولذلك ترون ان الحكمة تقضي علينا بأن ننضم اليكم ونعمل معكم بدأ
واحدة .

وعند ذلك اشرق وجه الدوق بنور البشر ونسى البلاء المحيطين به ان
هذا الرجل الذي يخالفهم من الفقراء قلدوا اليه أيديهم وصاحوا بصوت واحد
قائلين :

ليمت الأرمانونكيون .

ليمت أرمانياك .

ولكن يجب بعد موته ان نعال حصتنا ، فهل انتم عازمون على اعطائنا
كثيراً ؟

فرفع الدوق يده وقال :

اقسم بالله اني حين ارقعي الى عرش فرنسا أتي بجميع الشروط التي
تقترحها علي .

قال كابوش مخاطباً النبلاء :

وأنتم أيها السادة ؟

فأجابوه قائلين :

اننا نوافق على ما قاله مولانا الدوق .

— هل بينكم من يعرف القراءة ؟

فقبه الجميع ضاحكين وقال الدوق :

أذا اكتب بيدي الشروط التي تطلبها .

فارتعش كابوش سروراً ليس لاعتقاده ان الاتفاق اذا كان معقوداً بالكتابة
يكون ابلغ نفوذاً ولكنه سر لاعتقاده ان إكراه الدوق على كتابة الشروط
دليل على إذلال النبلاء وخضوعهم للشعب .

وعند ذلك جلس الدوق على مائدة في المغارة كانت معدة للكتابة عليها
فجعل كابوش يملئ عليه شروط الشعب .

وهي شروط كنا نود ان نذكرها بحملتها إظهاراً لحالة الشعب وحكامه في

ذلك العصر ولكنها لا تخرج في معناها عن شروط الشعوب المظلومة فاضربنا عنها خوف اللئيل مكثفين بالاشارة اليها وان الدوق أجاب كابوش الى كل ما طلب وكل منها يخدع الآخر .

فان الدوق كان يرجو ان يعيث بهذه الشروط من تعين ملكاً وانما رضي بقبول شروط الشعب تماماً لمساعدته .

وكذلك كابوش فانه لم يكن يخطر في بال ان يساعد الدوق على إرتقاء العرش ولكنه اراد ان يتذرع به الى كبح جماح المستبدين .

حق اذا تم الدوق الكتابة قال له :

أهذا كل ما تريده ؟

قال : نعم ، يا مولاي ، فلم يبق غير التوقيع .

فلما وقع الدوق على الشروط ، التفت كابوش الى النبلاء ، فقال لهم :

أتريدون أنتم منحنا هذه الشروط ؟

قالوا : اننا نوافق على ما امضاء الدوق .

فقال كابوش للدوق :

انك ، يا مولاي ، منذ الآن زعيمنا الاكبر ونحن نقسم لك بين الطاعة

الى ان نبيد اعداءنا وستجدنا متأهبين عند أول الاشارة .

قال : حسناً فسيأتيك أحد رجالي بتلك الاشارة .

قال : أجم ؟

قال : هذا .

وأشار الى كورتيز .

ثم التفت الى رجال كابوش وقال لهم :

اني معتمد عليكم ، فاعتمدوا علي .

وعند ذلك انتهت الجلسة .

فتنهدهاردي ، وقال :

لقد فرغوا والحسد لله من هذه المناقشات العقيمة فاني أكاد اموت جوعاً

وعطشاً وما كان اخلق بهذا الرجل الذي اقترح شروطه على الحكومة الجديدة ان يقترح ايضاً نصب موائد الطعام والشراب على قارعات الطرق حتى إذا جاع من كان لا درهم لديه مثلي يجد ما يأكله .
ولكن هؤلاء الناس يخرجون فلأنتبه .

وكان الدوق اول الخارجين فتمعه رجاله وجعلوا يصعدون السلم الواحد قلو الآخر .

وقد افق ان كورتييز كان في آخرهم ، فبينما هو يصعد السلم سمع صوتاً يناديه .

فالتفت فرأى رجلاً لم يتبين وجهه ولكنه رأى انه يتقلد حزاماً ، فأيقن انه من رفاق رجال الدوق لأن عامة الشعب لا يتقلدون السيوف ، وقال له :

ماذا تريد مني ؟

قال : لي كلمة اقولها لك ولا أحب ان يسمعا رفاقنا فانزل معي الى الدهليز نتحدث دقيقتين

فأيقن كورتييز انه عدو يريد قتله وجعل يبهت بسرعة عن اسماء اعدائه ولكنهم كانوا كثيرين ، فرجع عن عدمه وقال لهاردي :

اريد ان بكلمني انا شخصياً ؟

قال : نعم أنت .

فناداه غليوم من اعلى السلم قائلاً :

ما بالك لا تأتي يا كورتييز ؟

قال : اسبقوني فاني قادم اليكم ، ثم قال لهاردي :

ارأيت يا سيدي ، انهم ينتظرونني ، فاسرع وقل ما تريد .

وكان قد وصل الى الدهليز وأشعة المشاعل نافذة اليه فكشف هاردي

الرداء عن وجهه فرآه كورتييز وقال بلهجة شفت عن الرعب :

الشفاليه دي باسافان ؟

ثم نظر إلى أعلى السلم كأنه يلتصق بالنجدة .
فقال له هاردي : لقد قتلت كين وسأقتلك واقتل رفيقك ورئيسك .
ثم وثب فحبال بينه وبين السلم ، فقال له كورتييز : إذن انت تريد قتلي؟
قال : نعم كما قتلت كين .

- ولكن لماذا تريد قتلي ؟ فاني أحب ان أعلم سبب حقدك علي كني
أذهب مطمئن البال للقاء صديقي في العالم الأخير الذي يفضل هذا العالم دون
شك لأنك لم تذهب إليه بعد .

فابتسم هاردي ابتسام المتهم وقال :

ثق اني حين أذهب الى هذا العالم الأخير لا تكون انت الذي يهديني الى
الطريق وثق اني إذا لقيتك فيه قتلتك أيضاً لأن الحقد قد يبقى في قلوب
الأموات .

إذن فاعلم اني سأكرهك في الآخرة كما اكرهك في هذه الدنيا لأنك
قتلت غدراً وخيانة مع اخوانك رجلاً لا ذنب له غير المروءة .
وانكم حين قتلتم الدوق دي اورليان أقسمت ان انتقم له منكم لأنه انقضى
من الموت .

وكنت اود قتلك في كل حين أما الآن فاني اقتلبك بسرور عظيم لأنني
أرجو ان تعرض كل نقطة من دمك كل دمعة من دمعة أرملة الدوق التي
رأيتها تبكي .

ولم يكده هاردي يتم كلامه حتى عاجله كورتييز بطعنة غدر كاد يقضي
عليه بها .

فقال له هاردي : يسرني ان أراك على ما اهداه فيك من القدر ، فاني
اقتلك دون إشفاق على الأقل .

ثم انفض عليه ، فلم تكن غير هنيئة حتى سقط كورتييز صريعاً .
وعند ذلك سمع هاردي صوت تونغيل يقول من أعلى السلم :
ابن أنت يا كورتييز وما بالك لا تأتي ؟

إني موافيك

قال : إنا ذاهبون ، فوافنا الى قصر الدوق .

قال اني قادم

وأسرع لغوره الى قبعة كورتيز فلبسها ثم أخذ رداءه فانشح به وصعد السلم
ببطء حتى اذا وصل الى آخره وجد نفسه في قبو واقفي هناك رجلاً دله على سلم
آخر وقال له :

اسرع فان رفاقك ملوا الانتظار فذهبوا وهم الآن في الطريق .

قال : ان الاجتماع في قصر الدوق دي بورجونيا ، أليس كذلك ؟

قال : نعم .

وصعد هاردي السلم الآخر وانتهى منه الى غرفة كان فيها امرأة عجوز .

فحياتها مبتسماً وقال لها : في أي يوم نحن من الاسبوع ؟

فمجبت العجوز سؤاله وقالت له : في يوم الجمعة .

فارتعش هاردي إذ دخل الى تلك الدهاليز في يوم الثلاثاء فيكون قد أقام

فيها ثلاثة أيام .

وقد عجب كيف انه يستطيع ان يقيم ثلاثة أيام دون طعام وشراب إذ لم

يكن يعلم ما يعله سابقان وهو ان نزاع الموت من العطش والجوع قد يدوم

عشرة أيام وأكثر

فقلت للعجوز : هل انت محتاج الى شيء يا سيدي ؟

فظهرت على هاردي علائم الحجل مما سيقول وقال :

نعم اني محتاج الى كأس ماء .

قالت : بل زجاجة خمر يا سيدي ، فان من كان مثلك لا يشرب الماء .

قال : بل شربة ماء ولكن أسرعي .. أسرعي بالله .

وقد شعر عندئذ بعطش أشد من عطشه حين كان في الدهليز ، فجهده

العجوز بكأس ماء فشربها جرعة واحدة وقال : هاتي ايضاً ، فجهده

بالتانية والثالثة حتى شرب خمس كؤوس وهي تعجب كيف ان النبلاء
يمطشون هذا العطش وكيف يقتصرون على شرب الماء القراح .

وبعد ان روى ظمأه شعره بارتياح عظيم فابتسم للعجوز وشكرها ، ثم
خرج من عندها الى الشارع فرأى ضوء النهار ورأى الناس يذهبون
ويجيئون ، ولكن توفيل ورفاقه كانوا قد ابتعدوا في الشارع وتواروا عن
الانظار .

٥١

اطياء الملك

كانت غاية الدوق واضحة جليلة ، فان هذا الرجل الطامع الجسور حين
رأى البلاد باتت فوضى بعد جنون الملك وان كثيرين من عظماها يطمعون
في التاج ويعملون على نيله بالسرق ، ورأى انه أشد اولئك المعظماء قوة
كان بالطبع أشدهم طمعاً بنيل ذلك التاج وأخذ يعمل على إزالة كل مسا
يعترض سبيله .

وقد رأى ان اقرب الناس الى العرش واحقهم به شقيق الملك للدوق دي اورليان
فقتله كما تقدم .

ورأى ان ايزابو أشد المقربين هولاً فعمل على اغتنامها بالغرام الكاذب
والعود الكاذبة

ونظر نظرة الى غيرها من الطامعين كالدوق دي بيرى والدوق ذي
بوربون فرأى انه لا يخافها بعد ان اشتد أزره بحالفة ايزابو .

ولذلك لم يبق عليه من اهل القوة والبأس غير الكونت ارمانياك ، فقد
كان من اهل الشجاعة والبأس وكان يمثل فريقاً عظيماً من النبلاء ، فرأى ان
يستعين عليه بحيثه وبالشعب .

ولذلك حالف كابوش في الدهليز حتى اذا ارتاح باله ووثق من احراز النصر
بدأ بتنفيذ خطته
وكانت غطته منحصرة في ما يأتي:
وهو ان يقتل الملك كما قتل أخاه ، أي دون ان يظهر ان له
يداً في هذا القتل حذر الناس ، فان الملوك كانوا مقدسين عندهم في
ذلك العهد .

وحين برده غير قتله يصدر إشارته الى كابوش وبزحف الى قصر
سانت بول فلا يجد فيه غير الحلفاء من امثال ايزابو ورجالها ويكون جيشه
والشعب خارجاً لمقاومة رجال ارمانياك .
أما حليفاه ايزابو وكابوش فلا يقدم وسيلة لتخلص منها متى استتب
له النصر واستولى على أريكة الملك .

وقد تقدم لنا القول في غير هذا المقام ان الحرافات كانت كثيرة الشيوع في
ذلك العهد لا سيما ما تعلق منها بالأبالسة والأرواح ، فكانوا يعتقدون ان من
اصيب بالجنون فقد اصيب بس من الشيطان ولذلك كانوا يعالجون الجنانين
بأهل الزهد والعبادة ، فيعالجونهم بالصلاة كي يطردوا بها الأرواح الشريرة
من نفوسهم ..

وبهذا ومثله كانوا يعالجون الملك ، غير ان جنون الملك لو كان من
شيطان غير منظور لشفاه منه أهل النسك ، ولكن جنونه كان من شيطان
منظور أي من امرأته كما صرح به مرة أمام هاردي .

ومع ذلك فقد كان يرضى بعلاج الزهاد والنساك على اعتقاده ان
شيطانه غير مقع في صدره بل في قصره .

وكان أهل النبل والمقربون يتسابقون الى إحضار من اشتهروا من
أهل النسك باخراج الشياطين ، فاغتم الدوق دي بورجونيا هذه الفرصة
وجاء بناسكين من رجاله وقدمها له مبيئاً بذلك صدق إخلاصه لولاه
الملك ..

فلم يسع الملك إلا قبولها وإظهار رضاه من غيرة الدوق وإخلاقه .
فلزم الناسكان الملك لا يفارقانه ، وكان الدوق قد أصدر اليها اوامره
الخاصة وأقام في قصره ينتظر على أحر من الجمر ان يعودا اليه بغير موت
الملك فيصدر الإشارة المتفق عليها مع كابوش وبزحف الى قصر
سانت بول .

وفيا هو ينتظر دخل اليه ذاك الناسكين وقد بدت عليها علائم
الاضطراب ، فما شكك الدوق انها قتلا الملك وصاح بها قائلاً :
أقضي الأمر ؟

فتمتم أحدهما بكلام لا يفهم وعقد لسان الآخر ، فثنى الدوق إلى واحد
منها فهز كتفه هزاً عنيفاً وقال له :
ويحك قل أقضي الأمر ؟

قال : كلا يا مولاي ، فقد فشلنا في آخر لحظة بعد ان بلغنا آخر
درجات الفوز .

فسال العرق من جبين الدوق وقال :

كيف ذلك ؟

قال : ان الملك بعد ان أخذ الكأس من يده ووضعها على فمه دخلت
الشيطانة .

فارتطمش الدوق وقال : أية شيطانة ؟

قال : رسولة جهنم .

وقال الآخر : حليفة بعزبول ، فقد أرسلها خصيصاً لتسع شفاه الملك .
- ولكن من هي ؟

- هي المدموازيل دي صامديفر .

فاضطرب الدوق وقال : يا للهول .

وذلك ان الغضب والحب قد ازدحما في قلبه ، فهو يلعننا الآن ، ولكنها
لم تثبت له لسقط على قدميها .

ومضى الناسك في حديثه فقال :

إنها دخلت والكأس بيد الملك وقد أدناه من فيه ليشرب فانتزعتها من يده بعنف وكبت ما فيه .

فنظر الملك إليها دون أن يغضب بل كان يبتسم لها يا مولاي بحيث بت موقناً انه لا يمكن إخراج الشيطان من صدر الملك إلا بعد إخراج هذا الشيطان من قصره .

فانتهره الدوق قائلاً :

كفى ، فلا تسيء إليها بكلمة إذا كنت تحب الحياة .

فجعل كل من الناسكين ينظر الى رفيقه ويقول في نفسه :

أرى ان مولانا الدوق أحق بالمعالجة من الملك ، فان هذه الشيطانة حاكمة على الاثنين .

وسكن غضب الدوق فقال :

امض في حديثك .

قال : بعد ان افترغت تلك الإناسة الكأس مشت الينا وقالت لنا بصوت منخفض :

انكا أقدمنا على أمر هائل .

قلنا: كيف؟

- اسكتنا وأحدا الله الذي جعلني من اهل الخير فلا اكشف امركا كي لا يقضى عليكما بالموت ، ولكن إحذرا ان تعودا الى هنا .

فلبئنا حائران لا نعلم ما نقول وذهبت هي الى الملك وقالت له :

أسألك يا مولاي ان تطرد هذين الرجلين من القصر .

- ليكن ما تريد يا ابنتي .

ثم نادى رئيس حراسه وأمره بإخراجنا من القصر ، وهكذا عدنا اليك يا مولاي واليأس ملء قلبنا .

فأطرق الدوق مفكراً ثم جعل يسير في قاعة السلاح ذهاباً وإياباً يتحدث
نفسه فيقول :

هوذا الأقدار قد حالت بيني وبين قصدي فقد كاد يقضي الأمر ولم يبق
عليّ إلا أن أشير إشارتي التي كابوش فتثور المدينة وبينما يكون القتال ناشياً
بين رجال كابوش ورجال أرمانيك ، أكون أنا في قصر سانت بول ، حيث
لا يوجد ملك فيه سواي .

ولكن كل ذلك كان من قبيل الأحلام ويجب الآن أن اتوقف .

وبعد فمن يعلم فقد يعلمون غداً ، بل قد يعلمون الليلة اني أنا قاتل الدوق
هي أورليان وعند ذلك ..

وقد ارتجف رعباً لهذا الخاطر الذي خطر له فإنه على جراته ونفوذه
وقوة جيشه كان يخشى أن يعملوا بحيلة أمره فيقبضون عليه ويدفعون به
إلى الجلاد فجعل يقول في نفسه :

أوديت ، أوديت انك لم تقتصري على حركتك وتسلطك على قلبي ، بل
أصبحت حائلاً عظيماً بيني وبين العرش .

ثم التفت إلى الناسكين وقال لها :

اقبلا ضيافتي لقصري إلى الغد وغداً نعودان إلى مقرنا .

فانحى الرجلان شاكرين ، ونادى الدوق مدير بيته ورئيس حراسه فقال
لها : إكرما هذين الناسكين وأعدا لهما خير مكان في القصر عليهما بنديان فيه
ضيافتهما في قصر سانت بول .

فسار الناسكان مع المدير وتقدم رئيس الحراس من الدوق فقال له :

على الباب ، يا مولاي ، ثلاثة من الناسك يلتمسون مقابلةك .

فدخل الدوق وقال : ثلاثة نساك !؟

تنسك برايسكايل وشركاه

ثم اصدر امره بادخالهم اليه فدخلوا وهم يمزقوا الملابس منبوشوا الشعور
شان لئساك في ذلك العهد .

فلما تمن الدوق في وجوههم بيت وقال :
برايسكايل ؟

فاجابه برايسكايل قائلاً :

نعم ، يا مولاي ، فليس النسيب ذنبى اذ لم امت .
فقال برايسكايل :

نعم ، يا مولاي ، ، بعثت بعد الموت .
فقال برايسكايل .

نعم ، يا مولاي ، فقد اشتد بي الظمأ الى البحر وعند ذلك ..
فقاطعه الدوق قائلاً لرئيس حراسه :

أنظر كيف جسر هؤلاء على الدخول الى قصر دي بورجسونيا بهذه
الملابس .

والحقيقة ان الدوق كان يجهم لما كان يراه من حسن طاعتهم في خدمته
فلما سلمهم الى سافان وعلم بانهم سيموتون نسيهم ولم يعد يفكر بهم فلما رآهم
الآن امامه عاد الى ميده اللقدح الليم واحسب ان يخدمهم فقال لهم :

اخبروني الآن كيف نجوتم من سجن قصري ؟

فدهش برايسكايل لجرأة مولاه ، وقال : أنجونا من السجن ؟

قال: نعم، فقد كنتم في سجنى فلم يعلم أحد كيف خرجتم منه فقد هريتم
دون شك .

وأطرق برايسكايل ولم يعلم ما يجيب وأوجس برايكاييل شراً اما برانكايل فأجابه قائلاً :

هو ذاك ، يا مولاي ، فقد هربنا .

قال : ولكن كيف ؟

قال : بالنوم .

فحسب الدوق انه يتهم في حين انه قال ما قاله بله الاخلاص فقال له :

حسناً ، فاخبروني الآن ماذا جرى لكم واحذروا ان تكذبوا .

وهنا رأى برايسكايل انه دعا وقت تداخه لأنه كان رئيس العصابة وخطيبها في مثل هذه المواقف فنظر الى رفيقه نظرة يوصيها بها بالسكون والحكمة وقال :

لا بد لي ، يا مولاي ، ان ارجع الى بدء الحكاية ، اذا أردت ان تعلم الحقيقة .

قال : حسناً ، ولكن احذر ان تسب في القول كالفساك .

- الفسك ؟

فقال رئيس الحراس ضاحكاً :

نعم ، الفسك ألتهم من الفسك أيضاً ؟

فقال الدوق : نعم ، فقد تكونون فسكاً فامض في حديثك يا برايسكايل واحذر الاسهاب .

قال : ان ما أقوله يستحيل تصديقه ، مولاي ، فان هذا الرجل الذي

عهدت لنا به يموت حين يريد ، ويعيش حين يريد ، وهذا الذي دعا الى غضبك علينا .

فرسم رئيس الحراس علامة الصليب على وجهه وقال :

الحق اني رأيت هاردي دي باساقان ميتاً في الكيس .

فقال برايسكايل : ان برانكايل قتله بضربة واحدة على رأسه .

فكشف برانكايل عن ساعديه وقال :

إذا كنت لا تصدقنا فانظر الى يدي فهي خير برهان .
فنظر الدوق الى ساعده نظرة اعجاب وقال لبرايكايل :
امض في حديثك .

قال بعد ان سرنا بالرجل وهو في داخل الكيس الى النهر حسب الاوامر
التي تلقيناها وضمنا حجراً في مقدم الكيس وحجراً في مؤخره ووضعناه في
قارب ومن هنا بينديء كذبنا ، يا مولاي .

وقد ركع عند ذلك امام الدوق ، وجعل يقرع صدره ، ويلتمس العفو
ويبكي .

فأدرك براكايل قصده ، واما برانكايل فجعل يقول في نفسه :
تري من أين جاء هذا الحزن وقد كنا نضحك منذ ساعة ؟
اما للدوق فانه اتهم برايكايل قائلاً : كفى .

فنهض برايكايل وكف عن التوسل وقال بصوته الطبيعي :
اننا لم نلق الجنة الى المياه ، يا مولاي ، ولكن كان لنا في ذلك عذر
فاننا حينما حاول برانكايل وبركايل القاء الكيس في النهر وجدنا ان الجنة
قد وقفت من تلقاء نفسها . نعم ، يا مولاي ، انها وقفت داخل الكيس ،
واقسم بالله ، يا مولانا ، اني لا اخاف أن ارى المشنقة ، كما اخاف ان ارى
هذا الكيس الذي أوشك ان يقتلنا رعباً .

فقال له قائد الحراس : إذن لقد خفتم ؟

قال : نعم ، يا سيدي ، وانك أنت على بسائك لأضطربت خوفاً لو
رأيت ما رأيناه من هذا الكيس .
ثم خاطب الدوق قائلاً :

لا أدري ما كنت تصنع ، يا مولاي ، لو كنت مكاتباً ، أما نحن فاننا
القينا انفسنا في النهر دون رشاد حتى اذا بلغنا الى الشاطئ نظرتنا فرأينا
القارب والجنة والكيس قد اختفوا عن الأنظار وهذا هو سبب سجننا .

ولما دخلنا الى السجن فلما نوما حيقاً ، فلما استفتنا وجدنا أنفسنا مقيدتين الى الكراسي في منزل سائن .

ثم رأينا الميت على مائدة الرخام ، ولا أدري ما كان يريد ان يصنع به ذلك الشيطان .

ولكنه حين اراد ان يعمل ..

- ماذا اراد ان يعمل ؟

- لا أدري ، ولكنه حين اراد ان يعمل رأينا ذلك الميت قد صار حياً وهو الشغالييه هاردي دي باسافان الذي انقذنا من الساحر .

غير انه انقذنا من الموت فلم نجد من ينقذنا من الجوع .

فقال برانكايل : ومن العطش .

وقال برايسكايل :

مر بقلتنا ، يا مولاي ، فاننا نؤثر الموت على ان نهم كالذئاب فنشبه الاموات ونحن من أهل الحياة .

قال : بل انكم من أهل الخداع والتفاهق ، اينذهبوا بهم الى ما وراء

السجن .

وعند ذلك همس الدوق بضع كلمات في اذن رئيس حراسه فهلعت قلوب الثلاثة من الخوف اذ كانوا يعلمون ان ما وراء السجن غير المشتقة ، وجعل كل ينظر الى رفيقه نظرات تحمل على الاشفاق اذ علم كل منهم ان حبل حياته قد انقطع .

حتى اذا خرج الدوق جعل برايسكايل يبكي وبرانكايل يتنهد ، أما برانكايل فقد كان أوفرهم عقلاً فانه ذهب الى المائدة التي كان الدوق جالساً عليها .

وهناك زجاجة من الخمر وكأس من الذهب فصب في تلك الكأس وشربها

جرعة واحدة ، وقال وهو يلحس شفثيه :

هـ ما أطيب هذه الحمر فاني ارضى ان يشفقوني في كل يوم بشرط ان يسقوني كل مرة من هذه الحمر .

وبعد هنية دخل الحراس وساروا بالثلاثة الى ساحة الاعدام فوجدوا هناك ثلاث مشائق منصوبة وقد وقف امامها الدوق ورتيس حراسه والجلاد فالتفت الدوق الى الجلاد وقال له :

اسرع باعداد المعدات فقد منحتم مدة خمس دقائق ليعترفوا بخطاياهم قبل الموت .

وكان الناسكان موجودين هناك فدنا أحدهم من برانكايل فابتعد عنه وهو يقول :

ليس لي ما اعترف به .

اما براكايل وبرايكايل فقد رضيا ان يعترفا فان الاول كان يمتدح بوجوب الاعتراف ، والثاني كان يرجو بذلك إطالة الوقت ، فانه كان يمتدح انه ما زال المرء يستطيع ان يفتح عينيه ، فلا بد له من الرجاء .

فلما انقضت المدة قال الدوق :

كفى فضعوا الحبال في رقابهم .

فاعترضه برايكايل قائلاً .

ولكني لم أبدأ اعترافي بعد ، ولي اقوال كثيرة احب ان اعترف بها لهذا الرجل الصالح .

فد له الدوق الأجل خمس دقائق ايضاً ، ثم سيقوا الى المشائق ووضعت الحبال في اعناقهم ، فأمر الدوق ان يشدوا الحبال .

فضنطت الحبال على أعناقهم حتى لم يبق بينهم وبين الموت غير لحظة : وعند ذلك صاح الدوق بالجلاد قائلاً :

قف .

ونظر الى الثلاثة فقال لهم :

هل تتوبون اذا عفوت عنكم ؟

فلم يستطيعوا الكلام لما قولاهم من الرعب ولكن عيونهم كانت تتكلم
عن توبتهم وإخلاصهم بأفصح لسان .

فقال لهم الدوق :

نعم ، اني اعفو عنكم ، ولكن بشرط واحد وهو ان تصيروا من
النسك .

فقال براساكايل :

أنا نصير نسكاً وكهنة وأساقفة وكل ما تريد ، يا مولاي .

وبعد هنيهة كان للثلاثة في مطبخ القصر ، فان الدوق كان قد أمر ان
يطعموهم ويلبسوهم ويربحوهم بالتوم الى الغد .

وفي اليوم التالي صحوا من رقابهم اشداء مرتاحين ولكنهم رأوا عندهم
حلابس الرهبان .

فقال براساكايل : إذن لم يكن الدوق هازلاً في قوله ولكن لماذا يريد ان
يجعلنا من النسك ؟

فأجابه برانكايل : ولماذا تريد ان تعلم السبب ألا يرضيك ان تكون
من الرهبان وأي عيش يفضل عيشهم المهني ؟

واخذوا يلبسون تلك الملابس الجديدة ، فقال براساكايل :

اني اجد في الثياب خنجراً .

فقال برانكايل : وأنا أيضاً .

وقال براساكايل : وأنا كذلك وهذا يدل على انه لا يريد ان يجعلنا من
النسك إلا بالظاهر .

فسر الثلاثة وجعلوا يضحكون .

وعند ذلك دخل عليهم النساكان .

فقال لها براساكايل : أعلما آتيان لسماح اعترافنا ؟

فقال له أحدهما : كلا ، بل اننا آتيان لتعليمكما المهنة .

- المهنة .. وأية مهنة تفضل مهنتنا ؟

- مهنة النساك، فإنا نريد ان نعلمكم طرد الشياطين من النفوس .

فوضع برانكايل يده على خنجره وقال :

- ان هذا الخنجر يكفي لقتل جميع الشياطين .

- ولكننا نريد تعليمكم إخراج الشياطين بالكلام لا بالخنجر .

فحاول الثلاثة عيّن ان يتنموا عن تعلم هذه المهنة ولكن الناسكان

إكراههم على تعلم الامثولة الاولى .

وبعد ان قضوا ذلك اليوم بهذا التعلم ، ذهب الناسكان الى الدوق ،

فسألها قائلاً :

هل أصبحوا يعرفون المهنة ؟

قالا : انهم باتوا يعرفونها كما نعرفها .

- أيستطيعون الآن إخراج الشياطين ؟

- دون شك ، فانهم يعرفون جميع الأشائر والكلام المقدس .

فاتقدت عينا الدوق وقال :

أتعرفونها كلها ؟

فقال برانكايل : نعم يا مولاي، وإذا لم نستطع إخراج الشيطان بكلامنا

وأشائرنا أخرجناه بخنجره بحيث لم يبق علينا إلا اسم المراد إخراج الشيطان

من صدره ..

- ستعرفوه فهلوا معي .

وخرج الدوق يخفّره حراسه ، فكانوا يسرون مبتعدين عنه وهو يسير

مع الفتيان الثلاثة جنباً الى جنب ويلقي عليهم الأوامر حتى وصل الى قصر

سانت بول فدخل ودخلوا معه .

قصر سانت بول

وهناك سأل براسكايل الدوق قائلا :
إذن ان هذا الرجل الذي يريد ان يخرج الشيطان منه مقيم في قصر
الملك ؟ .

قال : بلى هو الملك نفسه .
فاضطرب الثلاثة اضطراباً عظيماً أجفل منه الدوق وخاف ان يحملهم
الحرف على الحيانة فقال لهم :

اذكروا ان المشائق لا تزال منصوبة واختاروا .
فقال له براسكايل بالإصالة عن نفسه وبالنيابة عن شريكه :
لقد اخترنا يا مولاي ان نخرج الشيطان من الملك ومن الملكة ومن جميع
سكان القصر اذا أردت ، فاننا عندك نشق في الحال وأما هنا فلا نشق إلا
بعد بضعة أيام ومن يدري ما يحدث في خلالها .

- لقد فهمت ؟

- كما ينبغي

- عند أي قول وعند أية إشارة يجب ان تعملوا ؟

- نعم فانك منحتنا الحياة وأكرمتنا على المحاطرة بها وقد رضينا فلنذهب

الى حيث نشاء .

- إذن تعال معي واذكر الثروة التي سئلتها .

وسار الدوق يتبعه براسكايل وشركاه حتى وصلوا الى حديقة وهناك
التقى الدوق بأمرأة يخفها وجلان .

فكلمت المرأة مع الدوق هنيئة ثم انصرفت ، فقال الدوق لبراسكايل
ورفيقيه :

اتبعوا هذين الرجلين .

ثم تركهم وانصرف الى قصر الملكة ولو تمن براسكايل بوجه هذه المرأة لعلم
انها الملكة ايزابو .

وكان الرجلين قد تلقيا الأوامر منذ النهار ، فقال احدهما للثلاثة :
هلوا بنا .

فامتثلوا لها ، وساروا بهم الى قاعات الملك فكان الحراس ينحنون
احتراماً للفتيان الثلاثة لاعتقادهم انهم رجال الله حتى وصلوا الى القاعة التي
كان فيها الملك

وكان الملك عالماً بقدمهم وهو ينتظرم فأدخلوا الثلاثة اليه .

وكانت القاعة غاصة بالقبلاء على اختلافهم ، فقال الملك وهو يتسم :
انصرفوا ايها السادة ودعوا المكان لرجال الله .

فأحدقت الأنظار بالثلاثة ، ثم تفرق الجميع امتثالاً لأمر الملك فلم يبق في
القاعة غير جاكين المصور وأوديت .

فقال براسكايل في نفسه :

هذه هي الفتاة التي أمرت ان أحقر منها وان اقول لها ..

وقد منعه عن تنمئة حديث نفسه قول الملك لهم : ادلوا عني ايها
المحترمون .

فامتثلوا طائعين ، وأوديت تنظر اليهم نظرات الارتياح ، وتقول في
نفسها :

ان ذنك الناسكين أرادا قتل الملك بالسم ، فهل يريد هؤلاء الثلاثة
قتله بالخنجر ؟

وكان جاكين يدور حولهم وقد حاول ان يكشف وشاحاتهم ليرى ما
يخبئون تحتها فقبض براسكايل على يده بعنف شديد بحيث ارتد جاكين
مذعراً متألماً .

أما الملك فإنه سأل أحدهم قائلاً : ماذا تدعي ؟
قال : اني ادعي الأخ براسكايل الشهير الذي اخرج حسين شيطاناً من
بطون خمسين رجلاً .

فضحك الملك وقال : انه إسم جميل وأنت ماذا تدعي ؟
قال : اني ادعي ، يا مولاي ، برانكايل العظيم الذي يقتل نور بضرية
ويشرب برميلاً يجلسه .

فقهقه الملك ضاحكاً وقال :
ان إسمك أجمل من إسمي رفيقك وكل إسماءكم جيدة تعين الشعراء على
القوافي ، فكيف تريدون ان تشفوني ؟
فقال براسكايل : اننا نشفيك ، يا مولاي ، بالأشائر .
وقال براكايل : وبالصلاة .

فقال برانكايل : بل بالشراب ، يا مولاي ، فهو خير دواء عرفته .
قال : لا حاجة اليّ بأشائركم وصلاتكم بل اشفوني بالضحك اذا استطعتم
وهذا كل ما أطلبه .

وكان جاكين المصور يراقب وجوههم كل هذه المدة ، وقد عرفهم حتى
العرفان حين عرف أسماءهم فدنا منهم وقال لهم :
أظن ، أيها المحترمون ، اني عرفتكم لأني رأيتكم قبل الآن .
فأجابيه براسكايل قائلاً :

أنت واهم فان دير تنسكنا بعيد جداً اذ هو قرب نورش .
قال : بل ان ديركم في فندق ليبيود .
فاسرعت أرديت ووقفت بينهم وبين الملك كأنها تريد ان تحميه وقطب
الملك حاجبيه ، فقال له جاكين :

مولاي ، ان هؤلاء النساك يتقلدون الحناجر تحت ملابسهم .

فاضطرب الملك وقال :

ليحضر رئيس حرامي .

وعند ذلك اسرع براسكابل رمس في اذن اوديت قائلاً :

ان الشفاليه هردي دي باسافان قد ارسلنا .

وكانت هذه الحيلة من خير ما استنبطته فريحة الدوق دي بورجونيا .

أما اوديت فقد ابقت ان هردي قد ارسل هؤلاء الثلاثة ليحموها ويحموا

الملك فدنبت من الملك وقالت له :

لقد عرفت يا مولاي السبب في تسلح هؤلاء الثلاثة واني أعلم ايضاً بأنهم

ما جاؤوا إلا لمحايتك وحمايتي فثق بهم نفس ثقني يا مولاي فاني مسؤولة

عنهم .

فترجع جاكعين مندهلا وقال الملك :

ان كل من تثقين بهم أثق بهم يا ابنتي ثم التفت الى رئيس الحراس الذي

كان قد دخل في تلك الساعة فقال له :

أريد ان تقع هؤلاء النساء في قصري وان يحترمهم الجميع وان لا يعوزهم

شيء من أسباب الراحة وان يكون طعامهم من مطبخي .

فبرقت عينا براسكابل بأشعة السرور وقال :

والحر يا مولاي ؟

فضحك الملك وقال :

اسقوم من افضل خوري ايضاً فان افواههم المقدسة لا يجب ان يدخل

اليها غير الحر المعتقة .

اما اوديت فانها أخذت بيد براسكابل وقالت له :

أعلمك رأيتي ؟

— ان برهان ذلك يا سيدي اني لا ازال ورفيقي في قيد الحياة فقد

انقذنا مراراً من الموت .

— اين هو الآن وماذا يصنع ؟

— انه برود دون شك حول قصر سانت بول .

- ابن رآكم وماذا قال لكم تكلم بجرية وجلاء فلا تكون من النادمين
لأنني أحب ان اعلم كل شيء .

وكانت اوديت ترجو ان يقول لها انه كلنا عنك .

ولكن براسكايل على غيبته لم يستطع ان يعلم ما يحول في فكرها ، وفوق
ذلك فقد كان شديد الاضطراب لخرج موقفه ، فانه اذا زل بكلمة قضى عليه
وعلى رفيفه وقد ثارت حرب عنيفة في نفسه ، فانه كان يود ان يفسدي
هردي بنفسه ولكنه إذا لم يطع الدوق دي بورجونيا بات مشوقاً لا محالة .
ولذلك أجاب اوديت قائلاً :

اننا رأينا الشفالييه منذ بضعة ايام وكنا على وشك الموت فأنقذنا من
موت رهيب ، وكفى لوصفه ان تعلمي ما هي المائدة الرخامية وما هي
الكراسي التي كنا مشدودين اليها ولكننا نجونا .

أهو الذي أنقذكم ؟

- نعم يا سيدتي وقد قال لنا عند ذلك .

انكم اذا أردتم مكافئتي فما عليكم إلا ان تجدوا حيلة للاقامة في قصر
سانت بول وهناك ترون الملك وترون المدموازيل دي شامديفر فتفعلون كل
ما تأمركم بفعله وتكونون مدججين بالسلاح إذ قد تضطرون الى إثارة معركة .
- هو ذاك ، فقد تضطرون الى القتال دفاعاً عن الملك المسكين وعني ،

فانهم يريدون قتله وقتلي .

فقال براسكايل في نفسه :

لقد أمرنا بان نقتل الملك حين تصدر الينا الإشارة ونفعل ، وأما هاردي
واوديت فالويل لمن يسا بسوء ، فان حياتها مقدسة عندها .

ثم أجابها قائلاً :

وعلى ذلك يا سيدتي فقد جعلنا نبحت عن طريقة تساعدنا على الدخول

الى القصر فعملنا بعد البحث ان الناسكان الذين كانوا هنا قد طردوا وقد خطر لنا ان نتولى مكانها .

وكننا فيما مضى من ادوار حياتنا قد تنسكنا التماس الرزق ، فقد قدر علينا يا سيدتي ان نشقى في التماس .

ولمّا أقول ثقينا بمهنة التنسك لأنني وجدت ان مهنة السرقة أخف عناء وعلى ذلك فقد كنا نعرف الألفاظ والأشائر .
- ما هي هذه الأشائر ؟

- هي الأشائر التي يخرجون بها الشياطين .
وقد وثقت اوديت ان هاردي أرسل اليها هؤلاء الثلاثة فلم تعد تبالي ببقية الحكاية وعولت على ان لا تعترضهم في محاولة شفاء الملك ما زالوا يعرفون طريقة إخراج الشياطين .

وكان براكايل وبرانسكايل قد بدأ بإخراج الشيطان من الملك فأسرع برانسكايل بالانضمام اليها تخلصاً من اوديت وأسئلتها إذ خشي ان يزل وحذراً من ان يفلط رفيقاه غلطة تقضح أمرهم .

اما جاكين فإنه كان ينظر الى ما يجري نظرات تشف عن الفلق والارتباب.

٥٤

مفاجأة ليتبود

أما وقد اطعمت الخواطر الآن على هؤلاء النساك فلتننظر نظرة الى غيوم من اعضاء هذه الرواية ولا سيما ليتبود صاحب ذلك الفندق الشهير فقد كان في تلك الليلة التي تردى فيها برانسكايل وشركاه برداء التنسك

مقيماً في فندقه وهو مهمت حسب عادته بكل ما يؤدي الى نجاح ذلك الفندق
وقد كان حسب عادته كل ما أصدر امرأ شرب كأساً حتى اذا شرب
بضع كؤوس فرشت له الاماني بسطها وجعل يحمد الله ويقول لحُدمه :
لم يعد يعوزني شيء من أسباب السعادة بفضل الله بعد ما تخلصت من
هذا الشقي باسافان فانه خربني وكاد يجلب الموت الى فندقي .
وقد ارتعش حين ذكر تلك المعركة التي اختبأ في خلالها بالصندوق
فشرب كأساً ومضى في حديثه فقال :

انكم تعلمون ان هذا الشفاليه باسافان لم يكن في الحقيقة غير نص هائل
فهو الذي قتل مولانا الدوق دي لورليان المحبوب .
ولا انسى حين مشيت في طليعة خمسين رجلا من البورجونيين كانوا
يريدون القبض عليه ولكنهم كانوا يسرون بجذر وخوف ففتحت باب غرفته
ورأني اللص فمرف مقاصدي فقلت له :
سلم نفسك ومشيت اليه .
فتراجع منذعراً مني وفي تلك الساعة ..
وعند ذلك دعا احد الخدم منه وقال له :
لقد رأيت يا سيدي فارساً من الأسياد ترجل عن جواده عند باب
الفندق .

- اذهب خزاك الله ألا تدعني أتم حكايتي ؟
- ولكن هذا السيد يكاد يكسر الأبواب وهو نحيف .
- حسناً فاني ذاهب اليه وسوف ترى .
وذهب إلى الباب ففتحه فرأى فارساً جميلاً يصخب ويلعن الفندق واهله
فلما ظهر له ليتبود شتمه اقبض شتم وقال له :
ويحك أتريد ان ينتظر جوادي اوامرك كي يذهبوا به الى الاصطبل ألا
ترى انه اجتاز ست مراحل ام تريد ان اقطع اذنيك ألا تعرفني ايها الرجل ؟
فانحنى بجله الاحترام وقال له :

من لا يعرفك يا سيدي فأنت المسيو دي شاتليت الذي كان من أخص
اعوان الدوق دي بورجونيا .

- اسكت .

- والذي كان الدوق ..

- قلت لك اسكت انها الوقح .

- قد اساء اليك بواسطة تونفيل ورفاقه .

ولم يكن يعلم ليتبود الى اين تبلغ حدة دي شاتليت لو لم يغير لبعته
وحديثه في الحال فقال :

لقد اعددت يا سيدي اليوم فطيرة خاصة لا يعدون مثلها في مطابخ
الملوك واني لم اجدعا دون شك لأولئك البورجونيين الاشقياء .

- اذن لمن اعددتها ؟

لقد اعددتها لك يا سيدي فقد كان قلبي يحدثني بانك ستشرف فندقي
اليوم .

وبينما كان ليتبود يمدح فطيره وضيفه كان شاتليت يخفف ملابسه حتى
اذا انتهى ليتبود من ثرثرته قال له دي شاتليت :

اجلس يجاني يا ليتبود .

- مولاي ما هذا التشريف ؟

- اجلس فاني اريد ان احديثك .

قامتثل ليتبود وعند ذلك دار الحديث بينها فقال دي شاتليت .

اذن انت لا تحب البورجونيين ؟

فتنظر ليتبود نظرة مضطربة إلى الباب وقال :

اني اكرههم للكره كله يا سيدي .

اذا كان ذلك فاني استطيع ان أتق بك فقد كان بوسعي أن افضل
عشرين فندقاً على فندقك ولكني قلت في نفسي ان ليتبود رجل وهو

لا يخونني وفوق ذلك فان طعامه خير طعام .

قال : كيف تخشى خيانتى يا سيدي أيمكن لمن يصنع مثل هذه الفطيرة
أن يخون ؟

فظهرت على دي شانتيت علامت الاطمئنان وقال : اصغر إلي يا ليتبود .
فقد بلغني ان اولئك الاشقياء البورجونيين يريدون الهجوم علي في
منزلي وأنا لم أكد اشفى من تلك الجراح التي اصابوني بها ولكنهم يريدون
قتلي الآن .

ثم صب خمرأ في كأسه وقال :

على اني اريد ان أعيش لسببين احدهما ان الحياة تروق لي وافضلها
على الموت والثاني اني اريد ان انتقم .

ولذلك عولت على ان لا انتظر البورجونيين في منزلي وان ..

- وان تخشيه .

- ان من كان مثلي لا يخشيه يا ليتبود ولكني اريد ان اكون في
فندقك بضعة أيام وهذه حيلة حربية .

- نعم نعم لقد سمعت بحيل الحروب فقل يا مولاي ما تريد .

- لا اريد غير غرفة صالحة اقم فيها ثمانية ايام وادفع اجرها سلفاً .

فأطرق ليتبود إذ كان موقفه يحتاج ال التفكير فقد سره ان يستأجر
هذا النبيل غرفة عنده ثمانية ايام لا سباً وانه سيدفع مقدماً .

ولكنه كان يخاف ان يعلم البورجونيون بأمره وهناك الخراب للسام
والموت الذريع غير انه طمع في المال وخاف أن يرفض طلب هذا الفارس
على ما يعلمه من بأسه فقال له :

أتمدني يا سيدي إن لا تخرج من غرفتك وان لا تدع أحداً يراك ؟

قال : ان ذلك من فائدتي وأنا أهدك أن لا يعلم احد بأمرى .

فنظر ليتبود الى الباب نظرة الفاحص وقال : إذن تعال معي .

وخرج به من القاعة الى سلم فصعد وابهاء وهو يقول :

لا تحسب يا سيدي اني ترددت لحوفي وقد أظهرت من البراهين ما ينبغي

عني وصحة الخوف مثال ذلك اني سأقبعك في تلك الغرفة التي كان يقع فيها ذلك اللص الشهير بأسافان ؟

- بأسافان ؟

- نعم ذلك الذي قتل الدوق دي اورليان وأنا قبضت عليه .

وكان يصعد السلم وهو يروي له حكاية بأسافان وقد ظهر على وجهه انه كان مسروراً بهذا الكذب .

ان هذا اللص الهائل التجأ الى هذه الغرفة التي ستقع فيها لانها افضل غرف الفندق .

وقد جاءت الجنود للقبض عليه وكانوا يلبقون نحواً من ٥٠ رجلاً غير ان شهرة بأسافان كانت قد ملأت مسامعهم فلم يحسروا على الصعود .

- أيبلى بآسافه الى هذا الحد ؟

- نعم لو هجم عليه عشرون رجلاً لما اكثر لهم ولما خافهم واني اقسم بالله انه ايسل رجل في باريس بعدك ياسيدي ولولا انه خريفي بافلاسه لاشقت عليه وفي الجملة فان الجنود لم يحسروا على الصعود اليه فأنتفت لجنبهم وأثرت اشارة الى صديقي جاكمين فتبمني وصعدت هذا السلم كما نصعدته الآن ألا تعرف جاكمين ياسيدي فانه لا يخاف شيئاً ؟

- نعم وهو قادر ايضاً على الشراب ولكنه لا يستطيع ان يحاريني فيه فقد تركته مرة صريع الكؤوس تحت مائدة .

- ولكنه مثلي لا يخاف ولا سباحين يشرب فلما رأى الجنود اننا تقدمناهم تبعوا حتى وصلنا الى هذا الباب الذي تراه وهو باب الغرفة التي كان يقع فيها بأسافان وقد عزمت على ان اقبض على اللص ولم يكن لدى من السلاح غير احدى سكاكين المطبخ وكان جاكمين واقفاً حيث انت واقف الآن وسيفه الى جنبه والجنود معسكرة ورائه وهم يحذرونني لاعتقادهم انه سيقتلني .

غير اني لم احفل بهم وقلت لجاكمن هل انت مستعد وقال : نعم
فدفعت عند ذلك الباب كما الآن ودخلت كما دخلت معك الآن وقلت :

ايها اللص سلم نفسك فلا فائدة من الدفاع .

وقد بقي فم ليتبود مفتوحاً وجمد الدم في عروقه وجحطت عيناه ذلك
انه سمع صوتاً يقول له حين فتح الباب : ماذا اصابك باليتبود أعلتك جنتت
فتوقظ النيام وهم مطمئنون اقفل هذا الباب .

أما ليتبود فقد اصفر وجهه حين سمع هذا الصوت وعقد الرعب لسانه
ثم اغلقت عقدة لسانه فقال الشفاليه دي ياسافان ! قال : اقفل الباب ألا
تشعر بهذا البرد ؟

- ولكني احلم ؟

- بل اني امنعك من ان تحلم فاذا لم تقفل الباب انفرتك بأن ابرح
فندفك الي فندق آخر .

- ما .. أهذا انت .. أهذا انت الذي اراه !

فضحك هردي ضحكاً عالياً وقال : إذن من تريد أن أكون وقد
اسند كوعه إلى الحدة واسند رأسه إلى يده وهو مضطجع بلبسه على
السري .

وعند ذلك اقفل دي شاتليت الباب وقال : لقد اصاب الشفاليه فان
برد قارس .

فوثب هردي من السري الي الجدار فأخذ حسامه وتقلده ثم قال لدي
شاتليت ، اهلا بك فقد شرفنتني بزيارتك غرفتي .

قال : بل هي غرفتي .

قال : اني اسألك ان تتفضل بالجلوس بالرغم من تلك الطريقة الغريبة
التي دخلت بها إلي .

قال : وانا وان اكن قد ذهلت لوجودك عندي فاني ادعوك الي الجلوس
دون كلفة والإقامة قدر ما تشاء .

أما ليتبود فإنه رفع يديه إلى السقف وقال :
رباه لا اعلم كيف ينتهي الأمر بينهما .

وجعل هردي يتسلم الى شاتليت وشاتليت بعض شواربه إلى ان التفت
الاثنان إلى ليتبود فقال له هردي .

أما أنا في غرفتي ؟

فأجابه قائلاً : دون شك .

فقال له دي شاتليت .

أما هي غرفتي يا ليتبود .

قال : ذلك لا ريب فيه .

قال : اذن لا اجد غير طريقة واحدة وهي انت ارجو هذا الرجل
بالخروج من الغرفة .

وقال هردي : وانا لا اجد غير طريقة واحدة وهي ان اقي هذا الرجل
من النافذة .

وعند ذلك جرد كل منهما حسامه إذ لم يبقَ بعد هذه الاقوال غير
القتال وانقض كل منهما على الآخر فلم تكن غير جولة حتى طار السيف من
يد شاتليت وسقط على الصندوق الذي كان اختبأ فيه ليتبود حين نشب
القتال ومنه إلى الارض .

فأسرع هردي إلى السيف ووضع رجليه عليه وقال لخصمه .

لقد غلبتك يا سيدي .

فأجابه شاتليت : هو ذاك فاني اعترف بالغلب .

- ولكنك شجاع فخذ سيفك ولتعد الى القتال .

فنظر شاتليت الى هردي نظرة اعجاب إذ كان يحق له حسب مصطلحات
ذلك العصر ان يقتله او يحمله على الخضوع لشروطه فرآه شجاعاً شريفاً
كريمياً فقال له :

ايها الفتى انك غلبت اشهر رجال السيف في باريس ثم اردت ان تفضل عليه بارجاع حسامه اليه وهو جميل لا انساء لك مدى الحياة واني احب صداقتك وان كنت من الاوص .

فذهل هردي وقال :

أنا من الاوص .. ولكن اسمح لي قبيل الاعتراض على قولك هذا ان أرى ما يجري في هذا الصندوق فقد خيل لي انه يشكلم .
ذلك ان غطاء الصندوق كان قد كشف وبرز منه رأس ليتبود فضحك الحصان وكان قد اصطلحا ضحكاً شديداً .

أما ليتبود فانه خرج من الصندوق وهو يقول :

ان هذا الصندوق فقد انقذني من الموت مرتين والآن فاسمعا لي ايها النبيلان ان اقترح عليكما اقتراحاً .

فقال هردي : تكلم فاننا مصفيان الى اقتراحك .

قال : اني وعدتكم يا سيدي دي شانليت هذه الغرفة وأنا لا اعلم ان سيدي الشفاليه قد شرفني بزيارتها دون ان يخبرني وعلى ذلك يكون لك الحق بالاقامة فيها لا سيما وقد عرضت ان تدفع لي اجرها مقدماً .

وقال هردي : اذن هذا هو السبب ..

وقال دي شانليت : وانا مستعد للدفع .

فقال ليتبود مخاطباً الشفاليه :

انك يا سيدي الشفاليه اردت اسعادي بزيادة نفقاتك عندي فانت الآن في قندقك .

قال : حسناً ولكن لا تباحثني في النفقات فقد تقرر لدينا ان لا نتباحث في هذا الموضوع إلا حين أصبح من اهل الثروة .

فأجابه قائلاً : ان ذلك لا يطول لدى امثالك والآن فأرجو ان تسمعا اقتراحي وهو ان رجال الدوق يطاردونكما وكلاكما محتاج الى الاختباء فلماذا لا تقيان معاً في هذه الغرفة راتياً الآن صديقان .

فنظر شائليت الى هردي وقال له : أوافقك هذا الاقتراح ؟

فأجابه هردي قائلاً :

ولكن أملك نسيت اني من الاصوص ؟

قال : سواء كنت شغاليه او من قطاع الطرق فاني أعددك من الاشراف
وإذ شئت محوت لفظة اللص من ذاكرتي فما ناديتك إلا بلقب شغاليه .

قال : دون شك فاني احب ان يعرف الانسان بهنته فلو كنت لصاً لما
اردت ان يدعوني شغاليه وان لقبوني بالأقاب الملوك وأنا شغاليه لما رخصت
هذه الألقاب اما وقد تقرر ذلك بيننا فاني موافق على اقتراح ليتبود وانت
ضعيفي .

قال : اذن لنفتتح التعارف بالشراب .

قال : كما تريد أسمعك يا ليتبود ؟

فأسرع ليتبود لاحضار الشراب وقال شائليت هردي :

اسمح لي ايها الصديق الجديد ان أسألك سؤالاً وهو هل انت تنتمي الى
البورجنيون او الى ارمانياك ؟

قال : لا الى هذا ولا ذاك فاني انتمي الى باسافان .

ولكن هل تميل الى الدوق دي بورجونيا ؟

- انه من ألد اعدائي .

- وكيف انت مع تونفيل ؟

- اني اريد له الموت .

- وغلبيوم .

- اقسمت على قتله .

- وكبرونيغز .

- قتلته .

- وكين .

- قذفت به إلى هرة الأبد .

اذن هلم إلى معانفتي ايها الصديق .

وبينما كان الاثنان يتعمانقان دخل ليتبود وهو يحمل بكل يد زجاجة فلما رآهما متعانقين جعل يضحك ويقول :

ما اغرب عقل الانسان فقد كانا منذ هنيهة يقتتلان وهما الآن يتعانقان ثم وضع الزجاجتين على المائدة وقال للشفاليه :

لي سؤال يا سيدي يفلقني وأرى إنني لا بد لي من سؤاله .

قال : قل وارجز المقال .

قال ما زلت انت .. البوق دي اورليان ..

— ماذا تريد ان تقول ايها الأبله .

— كلا لا استطيع .. كلا لا اريد ان اقول شيئاً .

فدنا هردي منه وقبض على اذنه فضغط عليها ضغطاً عنيفاً وقال :

اعترف بما تريد ان تقوله او اقطع اذنك .

فصاح ليتبود صيحة ألم وقال :

يقولون يا سيدي انك انت الذي قتلت البوق .

ففرحه هردي دون أن يجيبه وذهب الى شاتليت الذي كان مصفياً الى

الحديث كل الاصغاء فقال له :

اني اعرف قاتلي البوق وأنا الذي سيقتلهم .

فدنا شاتليت اليه يد المصافحة قائلاً :

— لا ريب عندي ايها الشفاليه بما تقول .

أما ليتبود فانه جعل يحمك اذنه فقال له هردي :

ألعلك لا تزال خائفاً على اذنك ؟

قال : كلا يا سيدي ولكن خطر لي ان اسألك سؤالاً ايضاً يفلقني .

قال : تريد ان تعرف كيف اتفق انك لغيتني في هذه الغرفة وانت تعتقد

انها خالية منذ ايام .

قال : لا شك انك ساحر يا مولاي .

قال ، كلا ولكنني عرفت احد السحرة فلنعمد الى قصتنا فكيف قلقت لوجودي ؟

قال ، ذلك لأنك دخلت دون ان اعلم قلو اتفق ذلك اسواك ايضاً لما تمث الليل ومع ذلك فان الأبواب مغلقة .

- هو ذاك ولكنني لم ادخل من الأبواب .

- اذن من اين دخلت ؟

- من حيث خرجت اي من النافذة وقد اصبح الدخول والخروج من النوافذ عادة عندي فان ذلك أقل عناء من الدخول من الأبواب .

ولا ندرني اذا كان هذا التعليل قد سر ليتبود ولكنه اظهر الرضى تاركاً ذنبك للصديقين يشربان .

٥٥

الشاهد

وقد ألح شائليت على هردي فحكى له جميع حوادثه ثم قال له : ان اغرب حكاياتي ما اتفق لي معك والتقائي بك فاني خرجت من تلك الدهاليز التي القاني فيها الساحر وأنا ضعيف منهزل جائع عطشان فمر بي يوم لم أجد اتمس منه .

ولما أظلم الليل جررت نفسي جراً الى هذا الفندق فرأيت النافذة مفتوحة فتسلقت اليها وتمت بلائسي الى ان ايقظني ليتبود وبفضل هذه الحادثة تعرفت بك وحننت مكاناً آوي اليه .

فقال له شائليت ، ولكنك نسيت اني مدين لك بالحياة .

ثم اخرج كيبه وافرغ ما فيه من الدنانير على المائدة وقال له ، هلم نقسم .

فأظهر هردي إشارة يريد بها دفع الذهب ولكن شاتليت قدم الكيس إليه ونظر إليه نظرة العائب المؤنب .

فقال له هردي ، إذن لنقتسم ثم ضحك وقال :

لو عرف ليتبود بفروتي الجديدة لما فارقتني ولكن ليحضر فاني ألقي على رأسه الأشياء اللامعة .

فضحك وقال ، لا تفعل أو تفقد احترامه .

وبمثل هذه الأحاديث قضيا ليلتهما وفي اليوم التالي نهض هردي وقد شفي ألم الشفاء من جوعه وعطشه فليس ملائمه وتأهب للذهاب فقال له شاتليت ، إلى أين أملكك ذاهب لقتل تونفيل وغيليوم فابق لي واحداً منهم على الأقل .

— كلا فاتها يستطيعان أن يناما الليلة مطمئنين ولكني ذاهب إلى رجل وعدته ان اقطع اذنيه ولسانه فقط .

— فقط .. انك رحيم دون شك وانك ذاهب إلى هذا الساحر الذي اخبرتني بأمره فدعني اذهب معك .

فهب هردي رأسه وظهر انه يؤمر ان يكون وحده .

فلم يعترضه شاتليت ولكنه حين خرج من الفندق خرج بعده وجعل ينفو الزه دون أن يدعه يراه وهو يقول في نفسه .

لم يكن لقلبي مثل هذا الحنو ولا اعلم سر تعلقي بهذا الشفاليه .

وبالاختصار فانه تبع هردي الى منزل الساحر وهناك وقف وفي عزمه أن يدخل المنزل عنوة اذا تأخر صديقه فيه .

اما هردي فانه طرق الباب وبعد هنيهة فتحت نافذة صغيرة فيه فقال

هردي ،

اني قادم من قبل الملكة .

ففتح الباب للحال واسرع هردي بالدخول فوجد أمامه جيروم خادمة

سائق .

فدهشت الخادمة دهشاً عظيماً حين رآته وذهبت به مكرهة الى القاعة الثانية حيث كان الساحر مكباً على عهد بحيث لم ينتبه لدخول هردي اليه .
أما هردي فإنه صرف الخادمة بإشارة وجلس على كرسي فجرد خنجره وجعل يعبت بشريط منطقتة .

وكان سافان يفحص سائلاً في زجاجة وقد ادنى الزجاجة من الصباح فتأمل اللون ملياً ثم وضع نقطة منها على يده وذاقها فتندم وقال اقوالاً لا تفهم والتفت في تلك الساعة فرأى هردي جالساً على ما وصفناه .

وقد ذعر ولكنه لم يظهر عليه شيء من الذعر ولبث جالساً على كرسيه وأما هردي فإنه نهض عند ذلك والخنجر بيده فتنهض سافان لنهوضه وقال له :
ارجو ان تصبر بضع دقائق قبل ان تقطع اذني ولساني .

- اني لست مستعجلاً بحيث اطيق الانتظار ساعة لا يضر دقائق ،
ولكن اعلم يقيناً انه لا بد من عقابك مها قلت فقل الآن ما تشاء فاني مصغ اليه .

فقال له بلهجة شفت عن الحزن :

ولكن تفضل بالجلوس .

فامتثل هردي ، وعاد كل منها الى مجلسه ، فتنهض سافان تهدأ عميقاً وقال :

- هل لك ان تخبرني كيف خرجت من الدعايز ؟

- ذلك بسيط فقد تركت رجلاً مكاني فيها وانصرفت .

- كيف ذلك ومن هذا الرجل ؟

- هو السيد كورتيز فقد التقيت به في أحد الاقبية فقتلته اذ كان

قد جاء ذوره بالقتل وخرجت بدلاً منه .

وهنا لا بدني ان اقول لك من ان كل ما اندرنتي به من الجوع والعطش

والرعب قد أصبت به ، فلماذا أردت تعذيبني هذا العذاب ؟

- ذلك لأنني أردت ان أتخلص منك ، اذ أصبحت عبثة في سبيل مشروع العظم ولم أجد غير هذه الطريقة .

- ولكنك حاولت قتلي ثلاث مرات قبل ذلك ؟

- بل مرة واحدة حين قدتلك الى الدهاليز .

- إذن ما كنت تريد مني حين كنت تعددني على مائدة الرخام ؟

- كنت أريد ان أحبيك .

- ماذا تقول ؟

- أقول اني كنت أريد ان أحبيك وهذا الذي كنت أريد ان أقوله لك

حين سألتك بضع دقائق وبعد ذلك تقتلني اذا أردت ان تقتل المشروع العظم فاصغ اليّ .

ما هذه الحياة القصيرة التي لا يكاد يشعر المرء انه من ابتائها بعد ما يلقاه من عذاباتها حتى يفاجئه الموت قائلاً :

لقد تعذبت كثيراً في هذا الوجود فاخرج منها الى العدم .

ان المرء قد حاول ان يدرك أسرار الحياة ، ولكنه لم يدرك منها شيئاً لقصرها فان كان سلج البنية يعيش سبعين عاماً يؤخذ عشرين عاماً الرقاد وعشرة للحدائث وعشرون للأعمال الشاقة والجهاد الدائم كي يضمن غذائه ، فما يبقى ليعيشه ، فقل لي أهذه هي الحياة ؟

فقال هاردي: اني لم اتصل بعد الى هذه الحسابات ولكن يجب ان تضيف اليّ السنين ، حتى تؤخذ من الحياة ، تلك السنين التي تقضى في سجن هيدرون .

فلم يحفل سائق بما سمعه من حديثه فقال :

لقد جهد المفكرون في سبيل إطالة الحياة ، فلما لم يمتثلوا بها في الحاضر ظفروا بها في المستقبل وقالوها بعد الحشر .

أما أنا فاني أريد الحاضر .. أريد الحياة كلها، أريد الخلود اذ أية فائدة

من هذه الأعوام القليلة التي تبقى لي ، وفي كل يوم أكون فيها عرضة لخاوف الموت .

كلا ، اني أريد تلك الحياة التي لا خوف فيها من الموت . اني أريد ان يعيش الانسان أجيالاً ومق عاش هذه القرون الطويلة انتظم فكره واصطلاح جسمه وعرف أبواب الهناء فدخلها ورأى ملاذ الحياة فتنعم بها .

ومق عرف المرء ان حياته لا حد لها أقدم على كل أمر خطير وهو موقن من الفوز ولا يخاف الطبيعة اذ يتغلب عليها بخلوده . ومن يعلم الى أي حد يصل باكتشافاته وأبحاثه فقد يتصل الى الطيران من عالم الى عالم ويفوز على الوجود ويتغلب بذكائه وخلوده على الطبيعة فيقول :

- يوجد إله وأنا هو ذاك الإله .

وعند ذلك أطرق ساتان رأسه وجعل يعض يديه ويقول :

ولكن ماذا استطيع ان أحمل هذا الوقت القصير ، وفي دماغ الانسان ما لا يدرك من التصورات ، أنقتصر على هذه الملاذ الخفيفة البسيطة التي يدعونها الحب والفرح ، وغيرها .. أهذه الحياة .. ان الانسان قد اكتشف كثيراً من الاسرار ولكنه لم يكتشف بعد سر نفسه أي لم يكتشف الانسان ولا يستطيع ذلك إلا بالعمر الطويل أي بالخلود .

وكان هاردي يسمع هذه الأقوال الغريبة يملء الاصفاء وهو يرتعد لها . ويظهر انها اثرت عليه تأثيراً غريباً فانه أحمد خنجره بلطف ، قبل ضغط ساتان على أفكاره ؟

كلا ، ولكن هاردي قال في نفسه ؟ انه مجنون لا بحالة وكيف استطيع الاسامة الى مجنون ؟

وقد رأى ساتان ذلك منه فقال له :

انك تعجبني ، يا ابني ، لأنني لم أر خيراً منك الى الآن بسلامة قلبك فلا تقتلني لأنك اذا قتلتني ، تقتل مشروعى العظيم ، ولا تشوه وجهي فان قلبك الحنون لا يحتمل هذا التعذيب ولا فائدة لك من تشويهي وتعذيبي .

قال : ولكن لماذا حاولت قتلي وأنا لا اعني بذلك حبي بالدليل ، بل
العاني على المائدة ؟

- لقد قلت اني كنت أريد إحياءك ، ألم تفهم .. إفهم إذن ، اني قادم
على إكتشاف أمر عظيم يجعل الانسان سيد الوجود .. ولكن اعلم اني
كنت أجرب التجربة الاخيرة .. ألا تعلم ؟

ثم قبض على ذراع هاردي وقال له :

ألا تعلم ما يستطيع الانسان عمله بتحويل الدم .. اني سرقت كتاب
فلاميل فصرت اصنع مثله الذهب والماس واحول الدماء من العرق .. ألا
تعلم ان الانسان يمكن إحياءه بعد الموت بصب دماء جديدة في عروقه ،
ألا تعلم ان هذه مقدمة المشروع العظيم مقدمة الخلود.. ألا تعلم انك كنت
ميتاً وانني تمكنت من إعادة النبض الى قلبك أليس ذلك برهاناً قاطعاً على
ان الانسان بقدر ان يحيي كما بقدر ان يميت .

نعم ، اني ركبت ذلك الاكسير الذي يحيي من الموت وجربته يجيشة
فرددت اليها الحياة .. نعم ، أنا ساتان احببت لورانس دي ايزم
من الموت .

فوقف هاردي عند ذلك مضطرباً وقال :

أها الساحر أقلت جثة لورانس دي ايزم ؟

قال : نعم ، جثته تلك المرأة التي كنت تدعوها باخنتك وأنا الذي انقذها
من الموت .

أتقول الحقيقة هذه المرة ، أها الساحر ؟

- دون شك فكل ما استطيع ان اقوله لك الآن لا يكون غدير حق
فقد وثقت ان القدرة الحقية تريد ان تعينك لتجربة مشروعني ، بل وثقت
ان القدرة الحقية قد عينتك للانتقام من الرجل الوحيد الذي عرفت به حقيقة
معنى الكره .

- من هو هذا الرجل ؟

- الدوق دي بورجونيا .

- وأنا أيضاً أكره هذا الرجل .

- ولكنك تجهل حقيقة الأسباب التي تدعوك الى بنفسه فانك تحب

لورانس دي ايزم كما تحب اخنك فاعلم إذن ان الدوق دي بورجونيا هو الذي

طعن لورانس بالخنجر .

- لماذا .. لماذا .. واية علاقة بينه وبينها ؟

فوقف سائلاً متردداً ثم قال :

اني اعلم ولكني لا استطيع ان أقول وربما قال لك ذلك غيري .

اما انا فلا استطيع ان أقول لك غير أمر واحد وهو ان الملكة ايزابو

قد جاءت الى هنا لتأخذ حياً تقتل به لورانس دي ايزم فأعطيتها بدلاً منه

الأكسير الذي أخبرتك عنه أي الأكسير الذي يجي من الموت ، فلما طعمها

الدوق بالخنجر لم تمت لأنها شربت ذلك الأكسير .

قال : كنت اشعر بنفور عظيم من هذه الملكة على اعتقادي انها محسنة

اليّ أما الآن فقد عرفت السبب في حقدى عليها وعلى الدوق فقل لي أين

روزالي فانك تعرف مكانها دون شك .

- نعم اعرف ولكني لا استطيع ان أقول .

- ويحك كيف لا تريد ؟

- نعم اني اريد ان تبقي في هذا الموقف الذي اوقفك فيه القدر ، أي

ان تبقي ذلك الشاهد .

- الشاهد ؟

- نعم ذلك الشاهد الذي رأى ما جرى في منزل باسافان في تلك الليلة

التي جيء بك محمولاً اليّ ووضعت على مائدة الرخام .. نعم انك ذلك الشاهد

الهائل الذي يستطيع بكلمة ان يقتل الدوق دي بورجونيا فاصغ اليّ .

اني اريد ان اعاند القدر وبعد من أنا .. ان أنا إلا رجل .. كلا ، بل

أنا العلم . اما أنت فقد أرسلك لكبح جماح دوق دي بورجونيا فإنه لا يقف في جرائته عند حد ولا أقول غير ذلك .
- بل تقول .

قرأى ساتان ان الحدة قد ابتدرت هاردي فلم يحبه على قوله الأخير ، بل اخذ بيد الشفالييه وسار به الى خزانة حديدية ففتحها وظهر انها ملأى بالفتاني وقال له :

اني لا أريد ان أقول لك على أي امر كنت شاهداً ولا اشبرك بما جرى للورانس دي ايزيم وروزالي التي تبعت عنها ، اذ يوجد قدر ، ولهذا القدر حساب .

اما أنا فلت رجلاً بل أنا العلم ولا يتسع لي الوقت ولا أريد ان امتزج بشؤون الرجال لأنني ابحت عن المشروع العظيم وهذا السبب في ما رأيت من أكاذبي .

وليس من شأنى ان اصلح خطأ الأقدار فاذا أرادت الأقدار ان تعلم ما تبحت عنه علمته لا محالة فلا تسألني مزيداً .

على ان كل ما استطيع قوله لك هو انك شاهد هائل على الدوق دي بورجونيا وان لورانس وروزالي في قيد الحياة .

وقد أشار عند ذلك بيده الى الطبقة العليا من الخزانة فقال :

هنا محل السموم فانظر الى هذه الزجاجية الصغيرة فاني اذا وضعت نقطة منها في فم رجل قتلته في الحال وانظر الى هذه فانها تطيب اللعز بحيث يستطيع القاتل ان يركن الى الفرار قبل افتضاح امره .

ولكن كل هذا من المواد البسيطة فانظر الى السائل الذي لا لون له كالماء فهو لا رائحة له ايضاً فاذا سقيت منه من برود قتله ثم انه يشرب الماء ولا يشعر بشيء من الألم وتفارقه وهو في أتم العافية .

فاذا سافرت ثلاثة اعوام وعدت تعلم ان هذا الرجل قد مات في غيابك وقبل عودتك بأسبوعين .

ثم حدثت بهاردي وقال له : ماذا تقول ؟
- اقول انه لو كان لي عدو أردت قتله لما استعنت على قتله بغير سيفي
وخنجرني .

- وإذا كان هذا العدو قادراً بحيث لا تستطيع الوصول إليه قبل ان
يصل اليك يد الجلاد ؟

- لا أهتم بشأنني ، فهذا يعني ويعني الجلاد .

- إذن لنذع السموم ولننظر في الأكسير الذي يبحث عنه أهل البلاط .
انظر إلى هذه القناني المرصوفة في الطبقة الثانية ، فان هذه الزجاجية
تحتوي على أكسير الحب ، فاذا أحببت فتاة وأردت ان يكون حبها معادلاً
لحبك فاسقها من هذا الأكسير تجد انها باتت أشوق اليك منك اليها ، فني
أردت ان تكون محبوباً ايها الشفاليه فتعال الي .

- إني حين أريد ان اكون محبوباً أقدم حياتي لني اختارها قلبي ، فاذا
أبت قبولها أبتعد عنها .

- ولكن أكسير الفرام والسموم من ألعاب الصبيان ، فانظر الى أكسيرني
الذي يمنح الحياة .. اني بهذا الأكسير أحببت لورنس دي ابزيم بعد الموت .
هذا أكسير احوال فيه الذاكرة من حال الى حال والنفس من طور إلى
طور فأجعل الجبان شجاعاً والشجاع جباناً ، فما تقول ؟

- اقول اني إذا أصبت بهذا التغيير فأرجو ان يبقى لي شيء من الجرأة
استعين بها على قتل نفسي .

وساد السكوت هنيهة بين الاثنين فكان سافان يقول في نفسه :
تري لماذا لا يكون هذا الرجل الشجاع من اعواني في مشروعني اما
كان يحميني فأتم مشروعني بسكينة وأمان .

ثم تهد وقال بصوت رقيق :

لقد وضعتك ايها الشفاليه على مائدة الرخام مرتين وحبتك في الدهاليز
لتموت فيها جوعاً وعطشاً ورعباً فنجوت وعدت الي لتنتقم مني .

وقد حسبتي منذ هنيئة مجنوناً فاعتمدت خنجرك وكرهت قتلي ، والآن
ألا تزال تحسبني من المهانين ؟
- كلا .

- إذا لماذا لا تقتلني ؟

- لأنني لم أعد حاقداً عليك ، فاني لم افهم شيئاً مما قلته لي ولم اعلم من
أنت ولم أعرف بالتدقيق ماذا تريد ولكنني عرفت انه ليس الحقد الذي يقودك
في اعمالك .

ومع ذلك فاني على علمك وجهلي سأقول لك امراً يظهر لك دون شك
انه حقير ، اما انا فاني أعده طبيعياً معقولاً .
- قل .

- انك كنت تريد قتل اولئك الثلاثة الذين كانوا مقيدين عندك بالكراسي
وهذا لا ريب فيه .

- نعم هذه هي الحقيقة ، فاني كنت محتاجاً الى دماهم .

- اذا كان ذلك فاية فائدة لبرنكايل وبرنكايل من ابجائك عن الحياة
الخالدة ولماذا تريد ان يموت رجل ليحيى سواء .
اني لو كنت في مكان برنكايل لقلت في نفسي .
اني لا اعلم لماذا يجب ان أموت ليحيى الآخرون ، فاني أعيد حياتي
افضل من حياة جميع اهل الارض ولو كانت خالدة .

هذا ما كنت افوله في نفسي لو قدر لي أن اكون مكان برنكايل بل
كنت ادافع عن نفسي أشد دفاع واعتبرك مجرماً بعملك مهما كانت غايته
عظيمة ..

فوضع ساقان يده على كتف هاردي وقال له وهو يبسم :

انك لا تزال غلاماً يا بني ولكنك غلام نبيل : فانك لا تعلم ان الحرب
والتنازع الدائم من شرائع الانسان الطبيعية إذ يجب على المرء ان يقتل
ليعيش .

ولا يوجد انسان في الوجود إلا يقرعه ضميره لجرائم ارتكبتها ولكنه لا يفكر بها بل يتجاهلها لأنه اذا كان مجرماً فانما كان ذلك لضمانة حياته . بل انك لا تعلم مقدار اضطرار الانسان الى الدفاع عن نفسه والناس مطالبه بما يسمونه بالنزاع .

على ان أقل الناس ذنباً اولئك الذين يقتلون بالخنجر .

فمش يا بني هنيئاً ولا تحاول ان تكشف سر تنازع الانسان ولا تذكر إلا امرأ واحداً وهو :
انك كنت تريد قتلي ولكنتك لم تقتلني .

ثم ذهب إلى صندوق حديدي آخر وفتحته فرأى هردي فيه اوراقاً مكسدة وصناديق صغيرة .

فأخذ سائناً صندوقاً صغيراً ووضع على مائدة الرخام في نفس الموضع الذي كان رأس هردي ملقياً عليه حين كان يمدد على المائدة . ثم أخذ من الصندوق ورقة قديمة مطوية منسخة .

وعند ذلك تجهم وجهه اذا اظلمت افكاره بخاطر جديد خطر له ولم يستطع رده .

أما هردي فانه جعل يتمن في وجهه المضطرب فمد يده فجسأة كما فعل الدوق دي بورجونيا من قبل وقال :

ماذا أرى .. ما هذا الذي علي وجهك .. ما هذا الاثر انه اثر يد
قال : انه اثر اليد الدامية .

فذهر هردي وقال :

أية يد وما هذا الظهور الفجائي .. انها قد احترت هوذا الدم يقطر
منها ! فهز سائناً كتفه وقال :

اني حاولت مراراً أن أتغلب على ضعفي الانساني فلم استطع وليت
كسائر الناس .

اما هذه اليد فهي يد رجل صفعي انا ساتان ملك العلم الذي سيجد دون شك اكسير الخلود .

نعم ان هذا الرجل قد صفعي على وجهي واضطرت إلى تحمل هذه الإهانة .

ولكن من هو هذا الرجل .. بل كيف بقي هذا الاثر .. لا شك ان ذلك سحر عظيم يرعبني .. هوذا الاثر قد احمى .

فابتسم ساتان وقال : انظر الى هذه اللقائني والارواح التي فيها فقد حضرتها بنفسي .

على اني قلت لك بأني صفعت بوجهي فأليت على نفسي ان لا انسى هذه الإهانة وقد تكنت بفضل هذه المقاقير ..

فقاطعه هردي قائلاً :

لقد احمى الاثر قاعاً .

فضحك ساتان وقال :

نعم لقد اخفى بالظاهر ولكنه لا يحمي في الحقيقة لا يوم تكون ..

- انا .. واي شأن لي مع هذه اليد ؟

فسكت ساتان هنيهة ثم أخذ تلك الأوراق المطوية بيده وقال :

لتقطع الحديث بشأني ولتحدث بشأنك فاصح إليّ بلاء حواسك واعلم

انه لا بد ان يحىء يوم تلقي فيه بالدوق دي بورجونيا .

- ذلك لا ريب فيه وسأسأله عما فعل برورالي وامها .

- هذا لا يعنيني إذ هو من شأن القدر كما قلت لك ولكن اعلم انه حين

تعتقد ان الساعة قد دنت لا تتردد لحظة وآت إليّ فاقزع باي وقل لي :

« اني اسألك الورقة التي كتبت عليها تلك الحوادث التي كنت

شاعدها » .

فطاش رأس هردي وقال له :

ما هذه الحوادث ولماذا تكفني بتلك الألغاز ؟

- انك الشاهد وهذا كل ما أقوله لك فمتى دنت الساعة فاطلب إليّ
هذه الورقة .

والآن فاذهب ولا تنسَ انك ذلك للشاهد .

أما أنا فلا انسى انك اغدبت خنجرك بمد ان كنت تريد قتلي .

وعند ذلك وضع ساتان الورقة في الصندوق الصغير ووضع ذلك الصندوق
في الخزانة الحديدية .

أما هردي فانه اتشح بردائه وهو يعجب لما سمعه وراه يعجب كيف
ان الحقد قد زال من قلبه على هذا الساحر وهو ما جاء إلا ليقتله ثم ذهب
إلى الباب الموصل إلى الشارع .

فأخذ ساتان صندوقاً صغيراً وشيعة إلى الباب حتى اذا اراد الانصراف
اعطاه ذلك الصندوق .

فقال له هردي : ما هذا ؟

- مهر روزالي .

ثم اقفل الباب وعاد إلى منزله .

فوقف هردي حائراً مبهوراً يردد قوله « مهر روزالي » .

الى ان هاج غضبه فجاءة فجعل يقرع الباب بعنف ويقول :

انك وعدتني ان تذهب بي الى روزالي فأين هي .. اذا كان في صدرك

قلب انسان كما اوعدتني الآن فقل أين هي روزالي ؟

وبعد هنيهة سمع هردي صوت ساتان يقول له من الداخل :

اذهب إلى قصر دي سانت بول وصل عن روزالي اوديت دي شامديفر .

فاهتز هردي اهتزازاً عنيفاً ولبث حيناً يرتعش فلم يفتبه إلا ليد وضعت

على كتفه .

فالتفت هردي وقال : من انت ؟

فأجابه صديقه شاتليت قائلاً :

أهكذا تنسى اسدقاءك ايها الشفاليه ؟

أهنا انت .. كيف أتيت ؟

- إني قفوت أترك ووقفت انتظر خروجك من هذا المنزل الجهنمي
وعممت ان اكسر الباب وادخل اليك لأنني استبطانك .

فصكت مردي إذ كان لا يزال متأثراً من جواب سافان .
فقال له صديقه :

هلم بنا فانك سلم بحمد الله .. ولكن ما هذا الصندوق الذي تحمله
بيدك ؟

فضحك مردي ضحكاً غير طبيعي وقال :

ان فيه مهر روزالي .

- روزالي ؟

- روزالي التي يجب ان اطلبها من اوديت دي شامديفر في قصر سانت
بول .

ففض شافليت شفته وشتم سافان شتماً قبيحاً .

أما مردي فانه جعل يحدق في باب سافان ويقول :

أأنا الشاهد .. ولكن علي ماذا ؟

فقال له شافليت ، انك ايها الصديق نهجت معي نهجاً شريعافاً حملني على
التمتع بصداقتك فهل تأذن لي ان اسديك نصيحة ؟
- بل اشترها منك .

فضحك شافليت وقال : كيف تشتريها مني ؟

- نعم فاني لا آخذ شيئاً مجاناً حتى الانصاح .

- انك غريب الأطوار ومع ذلك فما هي نصيحتي فخذها كما تشاء وهي :
احذر ان تذهب الى قصر سانت بول .

- هذا ما قالوه لي قبلك وهذا ما قلته لنفسي ولكني سأذهب مع ذلك
فان نصيحتك لا خير فيها ولكني اشكرك عليها إذ لم يوحها اليك غير
الاخلاص فهلم بنا .

وسار الاثنان ساكتين لا يتحدثان حتى اذا وصلا الى القندق وصعدا إلى
غرفتهما وضع هردي الصندوق على المائدة وجعل يقول :
مهروزي .

ثم أخذ يدور حول المائدة ساغطاً ساغباً وهو ينظر من حين إلى حين
إلى ذلك الصندوق .
فقال له شائليت :

لماذا لا تفتح هذا الصندوق وترى ما فيه ؟ فارتعش هردي وكان
الصندوق مغفلاً ومفتاحه مع سائان ففتحه شائليت بمنجبره ووقف الاثنان
منذهلين مبهورين لما رأياه في هذا الصندوق فإنه كان مملوءاً بحجارة
الاماس .

وكانت هذه الحجارة المضيئة مركبة كلها على خواتم وعلى أساور
وعقود فقال هردي :
أحقيقة ما نراه ؟
وقال شائليت :
ان ذلك لا يصدق .

ولم يجسر احد منهما على ان يمس هذه الحلى إلى ان مد هردي يده
فأخرج خاتماً وجعل يتمعن فيه .

فصاح به شائليت قائلاً :

احذر ايها الصديق .

- بما احذر ؟

- ان هذه الحلى آتية من عند الساحر وربما احرق الخاتم اصبعك .

- أتظن ذلك ؟

- بل لؤكده فقد رووا لي كثيراً من امثال هذه الحكايات فان هذه

الامامة التي تتمعن بها قد تنقلب إلى نار محرقة فتحرق يدك وتبمس ذراعك .

- إذن ، سأعيد هذا الخاتم الى الصندوق فقد كنت عازماً على إعادته
لك .

فاحمر وجه شانتيت وقال :

أتهديني هذه الماسة وهي تعادل ثروة ؟

ومد يده الى هاردي فأعطاه الخاتم وهو يقول :

أحذر من ان تحرق يدك وتيبس ذراعك.

- سوف نرى .

وتجدد عهد الصداقة بين الاتنين فاقسم شانتيت على ان يكون وفياً بعهده
عدي الحياة ، واقترح ان يصحبه الى قصر سانت بول ، ولو لقي حنقه ، ثم
قال له :

لقد اصبحت الآن من أهل الثروة ، فان الدوق دي بعري الذي سرق
مجوهرات شارل الخامس ليس له مثل هذه الحلي فدعني ، أيا الصديق ،
أسديك نصيحة .

- بشأن هذه الحلي ؟

- نعم ، فقد اتفق لي مرة انه كان عندي مثل هذه الجوهرة التي
اعطيتني إياها ، وقد نلتها من امرأة استحلقتني ان أبقيا عندي لذكراً منها
فأقسمت .

ولكني بعد ثلاثة أشهر اصبت بعسر شديد فذهبت الى افراييم أتعرف
افراييم ؟

- كلا ، ولكن امض في حديثك فانه مفيد .

- ان افراييم يهودي مقيم في الجزيرة وقد نهوه مرتين وكادوا يشنقونه
ثلاث مرات فهو كبير مثل متوشالاح وعنده في صندوقه الضخم موازين صغيرة
ذهبية وزنها الاماس .

فأخذ افراييم الماسة مني وبعد ان وزنها نقدني سبعين ديناراً وكان حجم
ماسي يبلغ نصف حجم ماستك هذه .

- ان الحديث مفيد ، أيا الصديق ، فقل النصيحة .
- هذه هي ، فن يضمن لك ، أيا الصديق ، ان هذه الحجارة الثمينة لا تستحيل الى أوراق جافة .
- إذن ، نلقبها في الهواء .
- وقد تستحيل الى سمك صغير ، كما قرأت في كثير من التواريخ القديمة
- إذن ، نأكلها فقل النصيحة .
- النصيحة هي ان تذهب الى افرايم ، بل اذهب وإياك وتأخذ معنا هذا الصندوق فليستبدل هذه الحجارة بدنانير ونأمن أخطارها .
- انها غير نصيحة ، وعلى ذلك فاذا إستحالت الى أسماك صغيرة أكلها افرايم .

٥٦

اخراج الشيطان

- وفي صباح اليوم التالي برح هاردي الفندق بصحبه شاتليت الى افرايم اليهودي كما اتفقا .
- فكان ليتبود ينظر اليها وقد تأبط كل منها ذراع الآخر وسارا فيعجب لجرأتها النادرة ويقول :
- اني لا ارى اعجب من هذين الرجلين فان احدهما يبعث عنه البورجونيون ليقتلوه ، والآخر يبعث عنه الجنود ليشنقوه ، ثم يسيران في الاسواق غير متنكرين فيما لغرور الشباب .
- وبيتا كان ليتبود بأسف عليها ، وبيتا كانا ذاهبين فرحين ضاحكين الى افرايم .

كانت تجري امور في قصر سانت بول تستلقت انظار القراء فانه في ذلك اليوم كان برايسكايل ورفيقاه ، أو النساك ، بالرغم عنهم قد دخلوا الى القصر .

فلندخل الآن الى قاعة الملك الخاصة حيث نجد فيها الملك وجاكين المصور ، والنساك الثلاثة فان أوديت كانت قد عادت الى عهدها بعد ان وثقت من برايسكايل ان هاردي قد ارسلهم .

وقد بدأ الثلاثة باخراج الشيطان من صدر الملك ، فدنا منه برايسكايل وقال له :

مولاي ، يجب ان نبدأ وان تكون البامىء بالصلاة .

فرسم الملك علامة الصليب على وجهه بخشوع وقال .

ولكني لؤثر ان يروي لي برايسكايل حكاياته ومع ذلك فلتبدأ .

- حسناً ، فليفضل مولاي بالجلوس على كرسيه وإسناد رأسه الى ظهر

الكرسي وان لا يتحرك .

فامتثل الملك طائعاً وقال : أهكذا ؟

- نعم ، انما يجب ايضاً ان تغمض عينيك وان تصلي صلاة أبانا والسلام

اثنى عشر مرة .

فقال جاكين : لا شك ان جلالته سيشفى فان الناسكين الذين كانا قبلكما

وصفا له هذه الصلاة ست مرات فقط .

فقال : الملك وفرق ذلك فانها لم يطلبها الي ان اغضض عيني .

قال جاكين : ولكن كن وانقأ ، يا مولاي ، انه ما زال برايسكايل

يتولى معالجتك فسيمرود اليك رشك .

قال : أعتقد يا جاكين اني حقيقة مجنون ؟

قال : ذلك يتعلق بالأيام ، يا مولاي ، اما اليوم فلا شك بمجنونك .

ففتح الملك عينيه ، وقد ظهرت عليه علامات الاضطراب شأنه في كل مرة

يحادثونه مجنونه .

ورأى جاكين ان التوبة ستفاجئه فغير حديثه فقال له :
مولاي ، ان هؤلاء الثلاثة المحترمين قد تعبوا في خدمة جلالتك فلا بد
من تقويتهم بالغذاء .

قال : حسناً ، فاذهب الى المطبخ وجثم بخير طعام .

فقال برانكايل : ولا تنسى الشراب .

فعاد الزهو الى الملك وقال :

- نعم ، ومن خير الشراب .

هذه كانت حالة ذلك الملك المتكود الذي مله خدمه ، ورجاله باتوا يحترقونه
بجيت بات عرضة للياس في كل حين فلم يكن عزاءه غير أوديت .

ولم يكن يخفف عذابه مثل الضحك فكان يرفح الى كل من يضحك
وهو يعلم ان نكته من مرضه ولذلك كان يقبل طائعا كل ما يعرض عليه
من انواع العلاج وطرق المعالجة ومن هذا القبيل رضاه عن العلاج باخراج
الشياطين من صدره وذلك تاريخي اكيد لا ريب فيه .

وقد جلس الملك كما تقدم على كرسيه واستند رأسه واضض عينيه وجعل
يتمتع تلك الصلاة .

اما براسكايل ورفيقاه فانهم داروا ثلاث مرات حول كرسي الملك
ببطء وهم يرتنون باللاتينية ما خلا برانكايل فانه كان يصلي صلاة خاصة
يرتجلها وهو ينظر كل لحظة الى الباب اذ كان ينتظر الطعام والشراب .

وبعد ان داروا دوراتهم الثلاث وقف براسكايل وشفق بيديه وقال
بصوت رهيب :

باسم الله العلي القدير الأمرك أيها الشيطان الرجيم ان تخرج من صدره .

فردد برانكايل هذا القول نفسه وب نفس ال لهجة .

اما برانكايل فانه صبر هنيهة ، ثم قال :

انه لم يخرج ، ووالله لو وصلت يدي اليه لأنقرعت قرنه .

فانتهره براسكايل قائلا : تبا لك من ابله .

وفتح الملك إحدى عينيه فقال :
لقد فرغت من تلاوة الصلاة اثنتي عشرة مرة .
فنظر كل من براسكايل وبراكاييل الى الآخر اذ لم يكونا يتوقعان هذه
الملاحظة فقال براسكايل :

لقد فرغ من الصلاة فما نعمل ؟

وقال براسكايل : والله لا ادري .

فقال برانكايل : ان الأمر بسيط ، ثم التفت الى الملك وقال :
لقد فرغت من صلاتك ، يا مولاي ، فأعد تلاوتها اثنتي عشرة أخرى .
ففرح الاثنان لهذا الحاضر .

اما الملك فانه كان يعتقد ان الصلاة التي تلاها كافية فنظر نظرة تأنيب
وعتب الى برانكايل ولكنه كان يرى انه لا بد له من الامتثال شأن كل مريض
يلتزم الشفاء فاطبق عينيه وبدأ الصلاة .

وعند ذلك وقف براسكايل وراء الكرسي ، ووضع يده على رأس
الملك .

ووقف براسكايل على شمال الملك ووضع يده اليمنى على رأسه ووقف
برانكايل في الوسط ، ولم يحدد موضعاً على رأس الملك ، فوضع يده
على كتفه .

ولما وقفوا جميعهم هذا الموقف بدأوا الغريريل فجعلوا ينشدون أناشيد
كنسية لم يكن يستطيع برانكايل ان يجاري رفيقيه فيها فجعل يمزج ذلك
الغريريل بفناء الحارات .

ولما انتهت هذه الحلقة أيقن برانكايل ان الشيطان متمرد لا يريد الخروج
فقال مضطرباً .

آه لو تمكنت من القبض على ذنبي لأخرجته بالرغم عنه ، فانه لا يريد
الامتثال .

فدار براسكايل حول كرسي الملك، ثم وقف أمامه وبدأ بمحاولة إخراج الشيطان بالإشارات .

فجعل يمد يده الى جهة صدر الملك ، ويردها الى صدره مرات متوالية بعنف كأنه يريد ان يجذب الشيطان بهذه الطريقة حتى تعب وسال العرق من وجهه .

فأزوى للاستراحة وحل براسكايل عنده ففعل فعله نحو مائة مرة حتى تعب ايضاً وأزوى .

وعند ذلك جاء برانكايل فجعل يدفع يده ويجذبها بعنف عظيم الى ان صاح قائلاً :

لقد أخرجته ، لقد فزت عليه .
ذلك انه قبض بهذه الحركة على ثوب الملك من صدره وجذبه فخيّل له انه جذب الشيطان .

أما الملك فإنه صاح صيحة ذعر وراجع الى الوراء .

فهمهم براسكايل على برانكايل وقال له :

لقد قبضت على الملك أيها الأبلة لا على الشيطان كما توهمت .

غير ان الملك لم يستاء لهذا الاتفاق ، ولكنه ارتأى أقفال هذه الجلسة ، فقال له :

أهد تعبتم أيها المحترمون فاذهبوا واستريحوا فسيرافقكم جاكين ولكن لا تحرموه من الشراب .

فقال برانكايل : طلب نفساً ، يا مولاي ، فسأقول أمره .

ويظهر انه اذا كان برانكايل قد تعهد بجاكين فإن جاكين قد تعهد بالثلاثة وذلك انه بقي معهم الى منتصف الليل .

فلما جاءوا في صباح اليوم التالي لإخراج الشيطان كانت لاستنهم معقودة من السكر ولكن ذلك لم يضعف شيئاً من ثقة الملك بهم .

نكبة ريدون

وبدا برسكايل وشركاه اعمالهم حسب العادة ، فلندعهم الآن مع الملك
على ان نعود اليهم ولنعد إلى الملكة ايزابو .
فانها كانت جالسة في إحدى قاعاتها تنتظر عودة ريدون بتقريره ، فلما
عاد اليها كان أول ما سأته قولها :

ماذا يصنع النساك ؟

قال : انهم يخرجون الشيطان .

فأطرقت هنيئة مفكرة ثم قالت :

أتعرف هؤلاء النساك يا ريدون ؟

فأظهر ريدون نفرة وقال :

اني لا اعرف مثل هؤلاء الناس يا سيدي .

قالت : ولكني اريد ان تعرفهم ، فانهم بواسل يأكلون جيداً ويشربون

جيداً ويقامرون بحيث انك لا تصجر من صحبتهم ، وفوق ذلك فانهم

سيخرجون الشيطان من صدر الملك .

فحك ريدون اذنه وقال في نفسه :

ما الذي يدعو الملكة اليوم الى السرور بشقاء الملك ؟

وعادت ايزابو إلى الحديث فقالت :

يجب ان تذهب إلى هؤلاء النساك فانهم ينتظرونك ويجب ان تساعدهم

على إخراج الشيطان من الملك إلا إذا أخرجته أنت وحدك .

فدهش ريدون وقال : انا ؟

- نعم انت فاصغ اليّ .

ان هؤلاء النساك أرسلهم الدوق دي بورجونيا كما انه أرسل الناسكين
الذين تقدمام .

على ان هؤلاء الثلاثة قد يحبطون كما حبط الاتسان وأنا اريد ان يشفى
الملك الشفاء التام .

ولكني لا أثق ، بعلم اولئك النساك ولذلك أردت ان تذهب انت لمساعدتهم
مع اتخاذ الاحتياطات الواجبة .

مثال ذلك انه لا يجب ان يراك احد فان رجالي سيذهبون بك الى إحدى
غرف الملك .

وهناك تنتظر يومين او ثلاثة او اكثر فلا يسومك ذلك فستردك اخباري
في كل صباح .

غير انه يجب ان تكون متاهياً في كل لحظة من الليل والنهار لإخراج
الشیطان من الملك

- أنا اخرج الشياطين ؟

- لا تتباله يا ريدن فانك ستراقب هؤلاء النساك وتساعدهم حين
الاقضاء ..

ولكن يجب ان تعتني عناية خاصة بالأنسة دي شامديفر .

- اوديت .. لقد بدأت ان افهم .

ان النساكين القديمان كلنا على وشك إخراج الشيطان من الملك ، وكنا
قد انتهينا الآن ، فان الملك كان قد أخذ الكأس وأدناها من فمه كي يشرب
الدواء المضمون .

ولكن اوديت دخلت في تلك اللحظة وخطفت الكأس من يد الملك
فألقته في المستوقد بحيث يجب ان نعود منذ البدء .

ثم ان رجال الدوق دي بورجونيا حاولوا إنقاذ الملك بالقبض على هذه

الماكرة الحادة وقتلوا شامديفر وحربيتها ولكن اوديت بقيت .
ثم اني استأنفت القتال فأطلقت نحرني على تلك الماكرة فعادت الي شبه
مينة لما أجهابها من جراح ذلك السكاب وبقيت اوديت .
ثم نهضت وقالت :

ان الفسك فشلوا ورجال الدوق خفقوا والنمرة خابت ولكن ريدون
لا يخيب .

فارتعش ريدون إذ أبقن الآن بانها تريد منه قتل اوديت ، ولكنه قال
في نفسه :

اني اؤثر ذلك ، فقد كنت أخشى ان تأمرني بقتل الملك .
أما الملكة فانها مشت ببطء إلى النافذة وأطلت منها تسرح النظر
بالأشجار التي كانت تغطيها الثلوج الي ان استقر نظرها على قصر الملك فعادت
الي ريدون وقالت :

اني لم أعد اطيع الصبر فاني اريد ان توت الماكرة .
فمسح ريدون العرق عن جبينه وقال : سموت .
- إذن برهن لي عن حبك هذا البرهان يا ريدون ، فاني أسألك إنقاذي
من هذه الماكرة التي تريد موتي . اذهب يا صديقي ويا عشيقتي وإنقذني ..
اذهب واضرب

وعند ذلك فتحت ذراعها وضمت الي صدرها فاعتز ريدون اهتزازاً
عنيفاً ولو سألته ان يقتل نفسه في هذه الساعة لفعل .
فقال له : إذن ستقتلها ... اقتل ولا تخف إذا هجم عليك رجال
القصر لأنني ..

فقاطمها ريدون وقد سكر بخمرة الغرام فقال :
إني سأطمنها طعنة واحدة تكون القاضية ، وأما الآخرون ..
وهنا ضحك ضحكة عصبية وجرده حسامه كأنه تمثل له انهم يقاتلون ،
فقال له :

تعال ايها الباسل وانفذ عشيقتك ، وأما بشأن الملك فأصغ .

فأخمد ريديون حسامه وقد اصفر وجهه وقال في نفسه .

الملك .. انه مقدس .. لتطلب الي كل ما تريده ما عدا قتل الملك .

فقالت ايزابو

ان النساك يدعون براسكايل وبرانكايل وهم سيخرجون الشيطان من

الملك ، فلا أدري أيكون ذلك بعد يوم او بعد اسبوع .

غير انك ستعلم ، والذي ينبغي عليك ان تكون متأهباً في كل

حين .. فمتى نادوك تسرح اليهم فتنتقل في البسه اودبت ، وإذا تردد

النساك ..

- اذا ترددوا ؟

- نعم اذا ترددوا تتوب عنهم وتقتل انت الملك .

وكانا في تلك الساعة واقفين عند سلم من الرخام عريض وهو نفس المكان

الذي كانت تنتظر فيه ايزابو الدوق دي بورجونيا .

غير انها كانت حين تنتظره تصدر اوامرهما فلا يأتي احد الي هذا

المكان ..

اما الآن فقد كانت الحادثة في رائحة النهار .

وقد رفعت الملكة عينها الي ريديون حين اصدرت امرها اليه بقتل الملك

فراآته مصفر الوجه وعلقت ما يجول في نفس ذلك الجندي الذي يعتبـر

الملك مقدساً وان يد الله على قلوب الملوك وان الملك نائبه على الارض .

فوضعت يدها على كتفه وقالت له ، اقسم بأنك تقتله .

فشعر ريديون انها قد التصقت به وشم رائحة شعرها العطرية فأسكرته

فتغلبت عليه الشهوات واتقدت عيناه وطاش رأسه فطوق خصرها بذراعيه

وقال لها .

اقسمي بان تكوني دائماً لي .

قالت : اقسم بأن أكون لك وحدك منذ الآن ولا أَدع مجالاً للغيرة في قلبك وأرفع مقامك فلا يجسر احد ان ينظر اليك فاقسم لي انت بدورك انك تقتلها في البدء ثم تقتل الملك .

فكاد يجن من الحب وقال :

الملك .. ملك فرنسا .. نعم اني سأقتله بطعنة واحدة في القلب .

فطوقت عند ذلك عنقه بذراعها وحلها بين يديه فرفعها اليه وجهات شفتاه تبحث شفتيها .

وعند ذلك سمعت صيحة منكزة في اسفل السلم .

لقد وعدنا القراء بالعودة إلى قاعة الملك حيث تركنا برسكايل ورفيقه يشتغلون بإخراج الشيطان من الملك .

ولم يفعلوا شيئاً جديداً يختلف عما فعلوه بالامس سوى ان الملك اوقفهم عن العمل قبل ان يفرغوا منه وقال لهم .

لقد تعبتم اليوم فاستريحوا وسامر لكم بمائدة فتاً كلون وتشربون اعمامى إذ يروق لي ان اراكم في مجلس شراب .

وقد امر بأعداد مائدة فجيء بها وبسط الطعام والشراب عليها فوضعت كؤوس الذهب وجلس الثلاثة حولها على الكرأسي الخشبية دون كلفة وجعلوا يأكلون ويشربون بينما كان الملك يسير ذهاباً وإياباً في القاعة وينظر اليهم من حين إلى حين .

إلى ان دنا منهم فأخذ زجاجة من الخمر فصب لهم في الكؤوس بيده ودعاهم إلى الشراب فلما فرغت تلك الكؤوس الذهبية اخذها الملك واعطى كلا منهم كأساً منها قائلاً :

ابقوها لديكم تذكاراً مني .

فدهش براكايل وقال :

كيف ذلك يا مولاي أهذه الكؤوس الجميلة لنا ؟

وقال برساكيل : يعز علينا يا مولاي ان يقيم الشيطان في صدر ملك كرمج مثلك .

وقال برنكايل : لقد خطر لي خاطر .

فقال الملك :

اني سأستقبل الآن النبلاء فانصرفوا واستعودون بعد انتهاء الاستقبال .

وكان الشراب قد اثر على برنكايل واطلق لسانه فقال :

ولكن الخاطر الذي خطر لي صالح واني موقناً بأن استطيع به اخراج الشيطان في الحال .

فارتعش الملك وعاوده الرجاء بالشفاء فقال :

ما هذا الخاطر أعله طريقة جديدة لاجراج الشياطين ؟

— كلا ليست الطريقة جديدة بل جريتها بنفسي .

وهل نجحت ؟

— في الحال .

— اذن لينتظر النبلاء فقل ما هي طريقتك ؟

— مولاي انها حكاية يجب ان اقصها عليك .

فخاف برساكيل عاقبة سكر رفيقه والتفت اليه وقال :

دع حكايتك إلى القديما الرفيق .

قال الملك : كلا بل الآن .

ثم جلس في كرسيه وقام لسامح الحكاية فقال برنكايل بعد سكوت .

لا بد ان أقول يا مولاي اني في بدء حكايتي هذه كنت اعشق امرأة

حاريت .

فأجفل براكايل وقال : أأتكون عاشقاً وناكماً معاً ؟

وقال برساكيل :

مولاي ان رفيقنا برنكايل كان جندياً قبل أن يكون فارساً ولا شك
انه عشق قبل النفسك ؟

فضحك الملك وقال : دعوه يتكلم ثم قال له :

امض في حديثك فأنت الذي ستشفيني .

فقال برنكايل : لماذا ينكرون عليّ الحب ألا يحق للناسك ان يحبوا فلا
تنظر اليهما يا مولاي واعلم يقيناً اني ضمن خروج الشيطان منك .

اذن فاعلم اني كنت اعشق ماريون أتعرّفها يا مولاي فقد عرفها جميع
الباريسيون انها كانت ممشوقة اللد سوداء العينين قرمزية الشفتين .

وبالاختصار يا مولاي انه اتفق لي اني وجدت نفسي يوماً حزيناً متلبّس
الصدر تلوح لي اشباح لا اعرفها واشعر انها تمسني بأصابعها وتطوف حولي .

فقال الملك : هذا نفس ما اتفق لي ايضاً .

قال : وقد شعرت فجأة ان احدي هذه الاشباح او الشياطين قد دخل
إلى بطني .

فجعلت اشم واعرّب وعدت الى الحمار التي كنت فيها حين شعرت بما
أصابني وعدت إلى الشراب ليس بقصد السكر بل بغية اغراق الشيطان
في بطني .

غير ان الوقح كان من اهل العناد فكنت كل ما افرط في الشراب زادت
قبحته الى ان علمت بأنه يشرب كل ما اشربه من الخمر فيسكو دوني .

فخرجت من الحمار لسببين احدهما اني لم استطع ان اغرقه والثاني
انهم طردوني إذ لم استطع دفع عن الشراب .

ومع ذلك فان الشيطان سكر في بطني وجعل يتأجل فيه فاضطر إلى
ان أقابل معه ولا أكاد استطيع الوقوف فذهبت إلى ماريون .

فاحمر وجه برنكايل وقال :

كفى ايها المحترم وستروى لنا غداً بقية الحديث .

غير ان الملك أمره ان يتم حديثه فقال :

من ان يستطيع ان يخرج الشيطان إلا من قبي .
- هذا أكيد .

- فلما رأيتي ماريون على هذه الحالة وكانت امرأة كريمة الأخلاق
اشفقت علي وعانقتني وشعرت بغمها علي قبي فماذا حدث ... اني لا ازال
اسائل نفسي إلى الآن ولكن الذي ارجحه انه حين التصق قبي بغمها نجس
الهواء عن الشيطان فمات اختناقاً .

وربما كانت طريقة مبتكرة من ماريون غير ان الذي لا ريب فيه اني
شفيت في تلك الساعة ونهبت الى الكاهن لاعترف .
فقال الملك : وماذا قال لك الكاهن ؟

- انه كان يا مولاي من اهل العلم والصلاح فقال لي : ان هذه الطريقة
من غير الطرق .

فقال الملك ، نعم لقد سمعت بأنهم كانوا منذ القديم يخرجون الشيطان
بادخال الهواء اليه من الفم .

- هو ذاك يا مولاي غير ان هذا الكاهن الصالح قال لي ، انه كان يجب
ان اعهد لامرأتي بتجربة هذه الطريقة بي اي امرأتي التي أتحدث بها برباط الزواج
المقدس وقد اعترضت عليه اني غير متزوج فأبى ان يفقر لي ذنبي على
الاطلاق وقال لي غير لك ان تكون مجنوناً لا ذنب لك من ان تسال
العقل بالذنوب .

فارتعش الملك وقال ، اذن يجب ..

فقال برانكايل ، يجب يا مولاي ان تتولى جلالة الملكة ايصال انفاسها
من فمك الى الشيطان واي شيء اسهل من ذلك ومتى فعلت فاني اضمن
لك الشفاء .

فوقف الملك وجعل يمشي في تلك القاعة حائراً مضطرباً ويقول ،

الملكة ... الملكة ... ولكن أتوافق على ذلك وهي لا تحبني وماذا
عليها لو شفيت وتألمت .. ولكنني اريد ان اشفي .

وقد اتقدت عيناه وبدأت شفتاه وتجهضان وضحك ضحكاً عصبياً كان يحدث له في بدء التوبة ثم تنهد تنهداً كاد يمزق به صدره .

أما الثلاثة فقد لبثوا واجين ساكتين لهذا المنظر الهائل فانهم لم يروا من الملك الى الآن غير الطاعة والسكون والبر .

وقد وقف فجأة امام برانكايل وقال له :

تقول اذن ان الملكة .. تكلم ايها الابله .

- نعم يا مولاي الملكة .

- كفى فاني ذاهب اليها .. ليحضر رئيس حراسي .

فحضر الرئيس للحال وقد نظر نظرة الفاحص الى الناسك الثلاثة ثم نظر

إلى الملك وتبين الغضب في وجهه فدنا منه وقال :

أريد يا مولاي ان ادعو لك المدموازيل اوديت .

وانما قال ذلك لأن اسم اوديت وحده كان يكفي احياناً لتسكين

هياجهم .

ولكن هذه المرة لم يتأثر لهذا الاسم وقال :

ان الناسك قال الملكة .. اني أريد أن اذهب الى الملكة فخذ اثني

عشر حارساً واتبعني وسوف ترى ان الملكة ستشفيني .

وعند ذلك خرج مسرعاً فاجتاز الحديقة ووصل الى قصر الملكة ودخل

إلى الردهة الكبرى وبلغ ذلك السلم الذي كانت وريدون واقفين في اعلاه

على ما وصفناه فنظر اليهما وصاح تلك الصيحة المنكرة .

وقد طاش رأسه وارتجفت ركبتاه ومن العجائب ان توبة الجنون لم

تفاجئه في تلك الساعة الهائلة فأطرق برأسه واغبر وركت عيناه بالدموع .

أما ايزابو وريدون فانهما حين سمعا تلك الصيحة ورأيا الملك قد رأهما

اقتربا ببطء وقد برزت عيونهم ووقفت ايزابو تنتظر ووقف وريدون وهو

لا يشكك بدنو ساعته الأخيرة .

ولم يكن الملك مشككاً بخيانة إمرأته فكان في حالات سداً يحتقرها وهو مبتعد عنها من عهد بعيد .

ولكنه لم يجد مرة برهاناً يثبت خيانتها كهذا البرهان الجلي .
وكان قد حبها من قبل حباً صادقاً ، ثم جعل هذا الحب يتناقض من قلبه بما كان يخامر من الريب حتى تحول بعد الحب الى احتقار .

أما وقد رأى ما رآه فقد استحال الاحتقار الى بغض تفجر في قلبه وكبرت عليه هذه الأهانة التي لم يبق سبيل للشك بها فجعل يصعد درجات السلم ببطء ، وقد رأته الملكة مصفر الوجه ، مضطرب الاعضاء ، ثابت الجأش فلهق قلبه رعباً ونسيت موقفها كملكاة فلم تمد تعلم إلا انه ستجري حادثة هائلة فخطر لها ان تفاجئه قبل ان يفاجئها ودنت من ريدون وقالت له : أقنله .

وكان ريدون قد خطر له هذا الخاطر ايضاً ، فنزل درجات السلم دون تردد ، وهو عازم عزماً اكيداً على قتل الملك ، وقد عول على قتله خنقاً لا بالحنجر .

وفي تلك اللحظة ظهر رئيس الحراس يصحبه اثنا عشر من جنوده فكانت ساعة هائلة وقف ريدون فيها موقف المغلوب وصاحت به ايزابو قائلة : أيا الجبان تقدم ، تقدم .

وترجمت انها قالت هذه الكلمات ولكنها لم تخرج من شفيتها بل قالتها في نفسها .

وقد وصل رئيس الحراس الى منتصف السلم ، وادرك كل شيء بالبطء حتى اذا بلغ الملك حس في اذنه كلمة فذهب ثوراً الى ريدون فقال له :
أيا السير دي ريدون اني اقبض عليك باسم الملك فسلم حسامك .
فامتثل ريدون دون اعتراض وانترج حسامه وخنجره فأخذها رئيس الحراس ودفعها الى أحد جنوده .

وعاد الملك الى صعود السلم وحراسه يتبعونه وبينهم ريدون .

حتى اذا وصل الى الملكة وقف وجعل كل منها ينظر الى الآخر ، وقد
جهد الدم في عروقهم - لما تبينته في عيني زوجها من المقاصد الهائلة ، ولزمت
الصمت اذ كانت موقنة ان اقل كلمة تقولها تدعوها الى إصدار الأمر بالقبح
عليها أو الى طعنها بالخنجر .

وساد السكوت على الجميع وهم يتوقعون ان يعاقب الملك زوجته أو
يتمدها ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك .

فدنا عند ذلك رئيس الحراس من الملك وقال له مشيراً الى ريدون :

في أي سجن ، يا مولاي ، تريد ان نضع هذا الشريف ؟

فنظر الملك اليه نظرة منكرة وقال : لا تغل شريفاً فان تلقيبه بهذا عار
على الشرف .

- الى أين تريد ، يا مولاي ، ان نذهب به ألى سجن القصر ؟

فضحك الملك ضحكاً هائلاً هلع له قلب ايزابو من الخوف وقال له : كلا ،
هل خذه الى ساحة الشفق .

- مولاي ، يجب محاكمته قبل شفه .

- لا يجب محاكمة سارق يراه الملك يسرق فسر به أو أمر بشنقه بتهمة
المصيان .

ومشى الى الملكة ، وقد أغضت عينها من الخوف فوضع يده على كتفها
وقال لها برفق مكلف : تعالي .

فوهت ركبنا الملكة وادركت ما يريد الملك ، فقالت :

الى أين تريد ان أذهب .. اني نعمة فدعني أعود الى مخدعي :

- تعالي .

- ولكن الى أين ؟

- الى حيث تربن الجبل في عنق عشيقك .

فذهرت ايزابو وقالت : إني لا اطيق هذا المنظر فلا أذهب .

فخدق الملك بها وقال :

ان عشيقك سيشتق وأما عقابك فسترين ما يكون بعد شتقه .. وأنة
أريد ان تحضري شتقه ، فاذا لم تنتثلي امرت بالقبض عليك وعاقبتك عقاب
الزانيات . أتعلمين ما هو هذا العقاب ؟ هو ان تركب المرأة عارية ، فيكون
رأسها الى الذنب ويطاف بها في الأسواق والجلاد يقرعها بسياطه فامنمي عن
فرنسا هذه الفضيحة وقمالي .

– وبعد ذلك ؟

فايتسم الملك ابتسامة هائلة وقال : وبعد ذلك سوف ترى ما يكون .
ثم نادى رئيس حراسه وقال له : أقدم ذراعك للملكة فانها ستحضر
شتق اللص .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

لقد تركنا الملك في الجزء السابق بأمر رئيس حراسه ان يتأبط ذراع الملكة ويسير بها مكرهة الى حيث ترى شئ عشيها يريدون .

وكانت هذه اشد إهانة وصمها بها أمام الجنود فان الملكة لا تتوكأ إلا على ذراع الملك .

ولكنه وآما بين ذراعي رئيس حراسها فلم ينخفض مقامها اذا توكأت على ذراع رئيس حراسه .

أما رئيس الحراس فانه اغمض عينيه كي لا يرى اضطراب الملكة ، وهو واثق انها لا تقتل لأمر الملك .

غير انه شعر ان الملكة قد استندت الى ذراعه فارتجف وفتح عينيه فرأها تبسم كأنها غير مكترثة بشيء .

ولم يكن ابتسامها عن عدم مبالاة كما تدل ظواهره ولكنها كانت خبيثة بأخلاق ذلك الزوج المنكود واقفة على استمرار مرضه ، عاللة بما يشعر اشجانه وقد خبرته في كثير من المواقف بعد مرضه ، فعلت ان هياجه انما يكون عليه وانه ينتهي بمفاجأة التوبة ولذلك كانت تبسم هذا الابتسام وتظاهر بعدم المبالاة .

ومشت مع رئيس الحراس والمالك بجانبها ، ووراهم الحراس يحيطون
بريدون ، فنزلوا السلم واجتازوا الرعدة الكبرى وبلغوا تلك الأرض الفاحة
المجاورة لسجن هيدرون .

وكان سكان القصر قد رأوا ما كان فلم يمض ربع ساعة حتى تجمهر نحو
اربعة آلاف متفرج في تلك الساعة من النبلاء والحراس والجنود والخدم
والخادعات وكلهم معجبون لما يرون ؟

ولم يكن عجبهم للشنق في القصر فقد كان ذلك يجري كثيراً حتى القوه .
ولكن لقدوم الملك والملكة معاً ولكون المشنوق رئيس حراس الملكة
فجعل كل يخوض في تأويل هذه الحادثة كما يشاء .

وقد امر الملك بإحضار الجلاد فأمرع بالامتنال ووقف الملك والملكة
في أول صفوف المتفرجين .

أما ريدون فقد اظهر من الشجاعة ما طالما اظهره في مواقف الاخطار
فانه لم يكن يخاف شيئاً من الخطر بشرط ان يكون منظوراً لا ان يكون
خفياً كأخطار جهنم .

ولا نريد ان نقول انه كان يسير الى المشنقة ، وهو يضحك ويغني ولكنه
كان يسير سير الواثق المطمئن بأن الموت لا يخيفه وهو يقتل شاربيه مستكبراً
غير هيباب .

حتى اذا وصل للمشنقة قال للجلاد :

اني كنت أؤثر ان اقتل رمياً بالرصاص ، كما يقتل الأشراف امثالي لا
بالشنق يقتل العصوص .

فأجابته الجلاد كأنه يريد ان يعزبه ، ان الموت واحد مهما اختلفت اشكاله
وسأهونه عليك ألا تريد ان تعترف قبل الموت ؟
- دون شك فقد أذكرتني ما كنت تاسياً .

فأبلغوا الملك انه يريد الاعتراف وكان الاعتراف قبل الموت إكراهياً في ذلك العهد فاذا أبى المحكوم عليه الاعتراف أكرهوه عليه مرغمًا .

فلما بلغ الملك قال : لقد اصاب فانه ليس من عباد الأوثان وسأحضر له معرفاً جديراً به .

ثم همس بضع كلمات في أذن نبيل كان واقفاً بالقرب منه فأسرع راجعاً ووقف الناس ينظرون ساكتين واجمين .

وكان الملك ينظر الى ريدون نظرات تشف عن الحزن كأنه كان يعلم ان الذنب ذنب إمرأته ، وان تلك الحبة الرقطاء قد افرقت على الحياة فان الرجل مها بلغت جرأته لا يحسر على غضب امرأة إلا بعد ان تكون شجعت بنظرة أو إبتسامة .

واما الملكة فقد كانت تنظر الى الجماهير مشرقة مبتسمة ، وقد لبث ذلك المنكود ريدون ينظر اليها نظرات الكلب الأمين، كل مدة انتظاره الموت ، فلم تن عليه بنظرة ، ليس لأنها كانت تخشى ان يرى زوجها ، أو الناس تلك النظرة ، بل لأن ريدون قد محي اسمه في عرفها من سجل الوجود .

وعند ذلك التفت انظار الناس الى المشنقة اذ رأوا راهباً هائل الحلقة ضخم الجسم قد دنا منها وقبعته الى عينيه .

فتباعد الجميع عن المشنقة حتى الجلاد واعوانه ودنا الراهب من ريدون وجملاً يتكلمان بصوت منخفض .

وبعد هنيهة سمع الناس شائهم للفريقين فان الراهب كان يحاول إكراه ريدون على الاعتراف وريدون يشتمه ويطرده ويقول :

لا اريد ان يعرفني برانكايل ، إذعب أيها اللص فاني اريد ان اشيع الى السماء لا الى جهنم .

فكان برانكايل يجيبه :

ويحك أيها الأباه ان سماح الاعتراف مهنة عدتها التوب وأنت تراني البس
توب الربان فماذا عليك لو اعترفت لي دون سواي ؟
فيكبر ذلك علي ريدون قائلاً :

يا ويلهم من اليوم الاخير انهم يهزأون بالدين ويلبسون هذا اللبس ملابس
رجل الله .

فضم برانكايل عند ذلك قبضته وقال :
أجسر أيها الوقح على إهانة برانكايل قسماً باظافر يعلزبول اني سأقتلك
قبل ان تشق .

وقد كشف ذراعيه متأهباً للقتال وإقنطدى به ريدون فوقف في موقف
الدفاع وهمّ الاثنان بالانقضاض .

وعند ذلك جعل الناس يتباعدون ، وقد ظهرت عليهم علامات التفور
والاحتقار والرعب اذ رأوا رجلاً يتقدم اليهم وهو يلبس السواد وقد اتشح
برشاح أحمر وكانوا يبتعدون عنه ويخشون ان يسهم ويرسمون علامات الصليب
على وجوههم ويقولون :

كيف يدخل ساحر الجزيرة الى قصر سانت بول حين يشاء .

أما ساغان فانه دخل مسرعاً ووقف برانكايل وريدون .

٥٩

أسرار المشروع العظيم

وكانت برانكايل قد رفع يده الهائلة وحاول ان يسحق بها رأس
ريدون ، فلما رأى ساغان زعر زعراً عظيماً وسقطت يده الى جنبه ، وجعل
يقول بلسان يتلعثم :

سيدي ، أنا هو .. أنا هو أحد الأحياء الثلاثة .
وقد ملأ الرعب قلبي من ساقان فلهذا الساحر بأصبعه وقال :
إذهب .
فطار فؤاد برانكايل سروراً بهذه النهاية وقال :
اني ممثّل لأمرك وهانا ذاهب في الحال .
ثم جعل يهول راكضاً منذعراً بينما كان الملك ورجاله يضحكون .
وعند ذلك التفت شارل السادس الى ساقان وقال :
ان ذلك الناسك المتعبد أبى ان يعرف رئيس حراس جلالة الملكة ،
فهل تتولى هذه المهمة أيها الساحر ؟
فانحنى ساقان بجله الاحترام وقال :
اذا أمر جلالة الملك فما عليّ إلا الامتثال .
فصاح ريديون بصوت أجش قائلاً :
ولكني أنا لا اريد .
وكانت الملكة في البدء تظهر عدم الاكتراف التام واكتها حين جاء ساقان
جعلت تراقب ما يجري بجله الاهتمام .
وقد خطر لها عند ذلك خواطر غريبة وجعلت تنظر الى ساقان وظهر
لها رجاء بعيد كالنجم الذي يخفق بين الغيوم .
أما ساقان فانه دعا من الملك وقال :
ان جلالتك يا مولاي قد خبرتني في المهات وأنت تعلم اني استطيع
تسكين هياج هذا الرجل المشرف على الموت .
انه على وشك الموت يا مولاي والموت أمر خطير ، فاسمح لي ان أطفئ
عذاب موته .
- إفعل فان كل الذي اريده ان يبرح هذا العالم لأنه أهان الملكة ، ولكني
لا اريد ان يتمذب .
فمشى ساقان عند ذلك الى ريديون فصاح به ريديون قائلاً :

الى الوراء ايها الشيطان . إرجع يا رئيس الأبالسة .
ثم التفت الى الجلاد الذي كان ينظر اليه نظرات إشفاق وقال له :
ايها الجلاد ، ضع الحبل في عنقي فسأقبي ربي دون اعتراف .
فدنا ساقان منه وقال له بصوت منخفض ؟

اصغ الي فاتي مرسل اليك من قبل الملكة لا من قبل الشيطان .
فكاد ريدون بقول انها واحد ولكنه اضطرب وقال :
الملكة ؟

- نعم الملكة ، فهل تريد ان تكون السبب في قنوطها ؟
- معاذ الله ان افعل فاتي اموت من أجلها وإني أؤثر ان أموت عشر
مئات في سبيل رضاها .

قال : إذن أشرب هذا الشراب إذا أردت ان تبقي في قلبها تذكراً
من حبك .

وقد اخرج لغوره من تحت وشاحه زجاجة صغيرة فتناولها ريدون وقال
ها هذا الشراب ؟

قال ، هو الشراب الذي يجعلك حياً . ثم قال كأنه خشي ان يكون قد
تهور في القول :

نعم انه يجعلك حياً في قلب الملكة .

قال : كفى

ثم نظر نظرة طويلة الى ايزابو كأنه يريد ان يطبع رصعها في تخيلته الى
آخر لحظة من الحياة وقال لساقان بصوت رقيق لطفه قرب الموت :
اني طالما احترقتك وكرهتك لالتصاقلك بالأبالسة ، أما اذا كان ما تقول
أكيداً وكان هذا الاكسير يحميني في قلب الملكة حين افارق هذه الحياة
فاتي اباركك من الآن حتى ألفظ النفس الأخير .

ثم شرب ذلك الاكسير ببطء وأبقى الزجاجة في يده كأنه اراد ان
يبقيها عربوناً على حبه .

وعند ذلك وضع الجلاد الحبل في عنقه وجذب رجليه فجعل يرقص في الحلاء .

فتنهده الملك ونظر الى الملكة نظرة ملوؤها الوهيده ثم نظر الى رئيس حراسه وقال له :

اصحب جلالة الملكة الى قصرها واحرس هناك برجالك جميع الأبواب فان رئيس حراسها قد مات فوجب علينا ان نتولى حراستها .

ثم أشار الى الناس ان يتفرقوا ومشى في مقدمتهم . فدهش الناس لما سمعوه ، فان هذا القول بالرغم عن كلماته الأخيرة يعد بمثابة أمر بتوقيف الملكة .

وقد تحول ذلك الذهول بفتنة إلى احترام ، فقد اعتقدوا ان الملك شفي من جنونه وعاد الى إدارة الشؤون بسلطته النافذة .

وكان بين هؤلاء الجماهير نحو خمسمائة رجل من الذين كانوا مخلصين للملكة يتلقون إنعامها ويعملون بأوامرها .

فلما سمعوا الملك يأمرها هذا الأمر الصريح التفتوا من حوله ونسوا الملكة فذهبت وحدها يخبرها رئيس الحراس وجنته .

اما الملك فإنه قد سار الى قصره تخفراً للجماهير وهو ممجّب بهذا الانقلاب الفجائي إذ لم يكن يرى أمامه غير وجود مشرقة بعد كلوحها وثقور باسمة وعيون تنظر اليه نظرات الحب والإخلاص .

حتى اذا اقتربوا من قصر الملك جعلوا يصيحون :
لقد شفي الملك باذن الله .

وأخذوا يهنيء بعضهم بعضاً تهنئات صادقة ، فان هذا الملك كان محبوباً من رجاله لم يمدم عنه غير جنونه .

وقد حانت التفتانة من احدم الى باب القصر فرأى برنكايل واقفاً وهو بلباس الرهبان عند باب القصر ينظر الى اولئك الجماهير غير مكترت لهم ، فقد كان يفتكر بموقفه مع الساحر ويرتجف رعباً .

فصاح الرجل برفاقه قائلاً : هوذا منقذ الملك .

فأسرعوا الى برنكايل واحاطوا به من كل جانب فدهش ثم حاول الفرار ثم لبث في مكانه وقد ابتسم ابتسام الرضى وقال :
إذا كان هذا الرأي تريدونه فإني موافقكم عليه فهاتوا .

ذلك ان احد اولئك الأسياد نفضه بدينار ، فلما رأى النبلاء ان الملك رضى عن هذه الهبة انهالوا عليه بالهبات وتسابقوا الى الإنعام عليه فكان الرجال يعطونه نفوداً والنساء يعطينه حلياً حتى اجتمع لديه ثروة لم تكن تخاطر له في الأحلام .

فرعب في البدء لمنظرها ثم أخذ يضحك ثم جعل يبكي إذ لم يخطر له في في بال ان مثل هذه الثروة تجتمع لفرد .

وعلى الجملة فإنه بعد ان تفرق عنه الناس خلع رداءه فوضع المال والحلى فيه ودخل الى رفيقيه برسكايل وبراكاييل .

فذهل الشريكان لما رأياه وأسرع براكايل الى إقفال الباب بينما كانت برسكايل قد شرع بقسيمة الغنيمة الى ثلاثة أقسام .

فلما تمت القسيمة على ما اراده برسكايل وأخذ كل نصيبه قال برسكايل :
لم يبق علينا إلا ان نهرج هذا القصر .

فقال براكايل : بشرط ان لا يرانا احد .

فقال برسكايل : لماذا نهرب ولما لا تريدون ان لا يرانا احد ؟
فهز برسكايل كتفيه وقال : انك أبه .

وقال براكايل : كيف تبقى هنا بعد ما بدر منك .
- ماذا بدر وماذا فعلت اني لا اهتم شيئاً .

ويحك ، كيف تبقى في هذا القصر بعد ان كسرت احد صناديقه وسلبت منه هذا المال ؟

فأخبرهما برانكايل عند ذلك بكل ما اتفق له حتى إذا علم الحقيقة
أيقنا ان مهنة للتسك صالحة تفضل على مهنة اللصوصية ، واتفقوا على البقاء
في القصر .

اما ساتان فإنه لم يكدر يرى الناس قد تفرقوا حتى أسرع الى الجبل
المشقوق به ريدون فقطعه وأقبل الى الجلاء فأخبره ان الملكة تريد ان يدفن
في موضع خاص .

فتردد الجلاء في البدء الى ان اقنعه ساتان بدهائه وبما يذله من المال ،
ورضي ان يأذن له باخراج المشقوق بشرط ان يأتيه بأمر خاص من الملك .
فتركه ساتان وأسرع الى قصر الملكة فلم يعترضه رئيس الحراس .
وكانت الملكة جالسة في غرفتها آمنة مطمئنة كأنه لم يحدث شيء
بما جرى .

فمجب ساتان لثبات جأشها وفاجأته الملكة بقولها :

ماذا سقيت ريدون ؟

- سقيته اكسيراً يخفف عنه ألم اللزغ فيموت دون خوف .

- اهذا كل ما فعلته ؟

- نعم ، فقد خيل لي انه يسرك ان يموت رئيس حراسك دون ان تظهر

عليه علائم الخوف .

وقد أطرق الإثنان هنيئة يفكران الى ان عاد ساتان الى الحديث فقال :

إذن لقد طرد الناسك من القصر دون ان يتمكننا من تجريم الملك

ذلك السم الذي اعدده .

وقد سامني ذلك جداً لأنني كنت أحب ان اعلم حقيقة تأثير هذا الشراب

فانه كان يبتديء يمنون شديد يحدث في خلاله ..

فقاطعته ايزابو قائمة :

اسكت فان الملك يحرسه .

تريدن ان تقولي اوديت دي شامديفر . نعم انها تحرسه وكان يجب ان تتوقمي ذلك وهي ستحرسه ايضاً ما زالت هناك .

فأطرقت هنيهة ثم قالت :

انها لا تحرسه بعد الآن لأنها ستموت .

- نعم فان الدوق دي بورجونيا أرسل اليها اربعة من فرسانه الشجعان

فهربوا ..

- هو ذاك

- وقد ارسلت اليها النمرة فهربت ايضاً .

فابتسمت ابتساماً غريباً وقالت : هذا أكيد ايضاً .

وكان في نيتك ان ترسلي ريدون ولكن ريدون مات .

نعم ، نعم ، هو ذاك ؟

.. فاذا كان رجال الدوق قد هربوا ، واذا كانت النمرة رجعت مغلوبة ،

واذا كان ريدون قد مات فمن يقلب هذه الفتاة الضعيفة ؟

- سأذهب اليها بنفسي .

- انك تذهبن اليها لتقتليها ؟

- دون شك أتحسب انها تنجو هذه المرة ايضاً ؟

- نعم .

فوقفت وقد هاج قائرها فقبضت على ذراعه وقالت :

لا يد انك تعلم شيئاً جديداً .

- نعم يا سيدي فان الصدفة ارسلتني الى قصر سانت بول لأخدم هذا المنكود

ريدون آخر خدمة .. نعم يا سيدي ، انك تخاطرون بذهابك الى اوديت وقد

تفشلين ، فانها إذا كانت تتولى حماية الملك فلها ايضاً رجل يحميها ، وأظن ان

هذا الرجل لا يفلح .

- من هو هذا الرجل أهو الدوق دي بورجونيا ؟

- كلا يا سيدتي فان هذا الرجل الذي اشير اليه يريد الحضور الى قصر سانت بول ليرى اوديت ويسألها عن روزالي . ان هذا الرجل يا سيدتي يدعى الشفاليه دي باساقان .

فصاحت ايزابو صيحة فرح لم تحف على ساغان فقال لها :

انك تنذهلين دون شك يا سيدتي ، فاني حين ذهبت بهذا الرجل الى منزلي وحاولت قتله بأمرك نجما ، وحين حبسته بالدهليز وقضيت عليه بالموت جوعاً نجماً وهي لا يتجو منها أحد .

- ألعك رأيته ؟

- نعم رأيته وعلت انه سيحضر الى القصر ، فقد علمت ذلك منه وهو سيحضر دون شك .

- ليرى اوديت ؟ ... حسناً فليحضر فإنه لن يراها ... وإذا قدر له ان يراها فاني اكون هناك ، فليدافع عنها إذا استطاع وليمد يده اليّ اذا تجاسر ..

فانحنى ساغان امام هذه الملكة التي بلغت آخر حدود التأثر فاغتلط في قلبها الحب والبغض والغضب والغيرة ، ثم قال لها :

أظن يا سيدتي اني خدمتك خدمة جلية ارجو ان تكافئيني عليها .

فذهلت ايزابو لأن ساغان لم يسألها مكافأة الى الآن وقالت له :

ماذا تريد ؟

قال : اريد جوازاً استطيع الخروج به من القصر مع رجل يصحبني وهو يحمل حملاً على ظهره .

- ليكن فاني لا ازال ملكة استطيع إعطائك مثل هذا الجواز ولكني اسيرة الآن ولا أعلم اذا كان الحراس يمتثلون لأوامري .

- ولكن يوجد لديك يا سيدتي أوامر لا كتابة فيها مضمية بأعضاء الملك ..

فارتفعت ايزابو ولو تجاسر غيره على ان يقول لها مثل هذا القول
ويكشف مثل هذا السر لقضي عليه بالموت .

ولكن سائق كان له ميزة عندها على الناس فذهبت الى إحدى الغرف
وعادت اليه بذلك الجواز بعد ان كتبت عليه ما أراد .

فشكرها سائق وانصرف فاسرع إلى الجلاء وأراه الأمر ثم تقدم ما تيسر
ولف ريدون بوشاح كبير وخرج من القصر محملاً على ظهر الجلاء الى منزله
في الجزيرة .

٦٠

كنز هردي

لندع الآن سائقاً منهمكاً بمعالجة ريدون ولتعد الى هردي وصديقه شاتليت
فقد تركتهما ذاهبين الى افرايم اليهودي كي يبيعه تلك الحلى التي جعلها
الساحر مهراً لروزالي عملاً بنصيحة شاتليت حتى اذا تحولت تلك الحلى الى
اسماك يأكلها اليهودي وثبى الدنانير لروزالي .

وقد ذهب اليه وبعاه الحلى وهاداً بالدنانير إلى الفندق فوضعاها في ذلك
الصندوق الذي كان يخفيه فيه ليتبوء عند خوفه وأقاما في ذلك الفندق الى
المساء .

ولما اظلم الليل ذهبوا الى قصر سانتبول وجعلوا يرددان كل تلك الية على
رجاء أن يجدا منفذاً يدخلان منه الى القصر فلم يندبا .
وفي الية الثانية فعلا كما فعلا في الية السابقة .

حتى إذا يأسا من الدخول إلى القصر خطر لهردي ان يعود الى الدوقة
حي أورليان وسألها عن روزالي .

ووافقته شاتليت على ذلك فسافرا الى بيافون فعلما هناك ان الدوقة قد
سافرت ولم يعلما إلى أين .

فعادا بعد سفر يرمين الى الفندق وهردي قانط لا يعلم كيف يدخل الى
قصر سانت بول ويرى اورديت .
وقد أرادا ان يتعزبا عن ياسها بالشراب فنادا ليتبود وطلبيا اليه ان
يأتيهما بوجاجة من الخمر .

حق إذا جاءهما بها أخذ هردي يمازحه فقال له .
انك لا تستطيع بعد الآن ان تختبئ في هذا الصندوق يا ليتبود .

قال : لماذا يا سيدي ؟

قال : لأنني خيأت فيه سواك .

فدهش ليتبود وقال : من عسى ان يكون ؟

قال : افتح الصندوق به .

فتفتح ليتبود الصندوق ولم يكذب ينظر الى ما فيه حتى يهر نظره لما رآه
من اكداش الذهب ووقف جامداً مبهوتا لا يتكلم وهردي وشاتليت
يضحكان عليه .

ثم ترك الصندوق مفتوحاً وخرج فجاءه يركض كالجهنمين وعاد بعد هنيهة
بقائمة حساب هردي وقدمها له .

فضحك هردي وقال له :

لقد وعدتك ان ادفع لك ما علي حين اصبح من أهل الثروة .

فدق ليتبود بدأ يبيد وقال : اية ثروة ترجوها بعد هذه الثروة ؟

قال : لقد اصبت يا ليتبود فهي ثروة عظيمة ولكنها ليست لي ومعاذ
الله ان أخذ منها ديناراً .

قال : ولكن حسابي ؟

قال : أما حسابك الخالي فان صديقي شاتليت يدفعه لك كل يوم واما

حسابك القديم فلا بد لك من الصبر فإذا لم يرضيك ذلك خرجت مع صديقي من فندقك الى فندق آخر .

فخاف ليتبود عاقبة هذا الوعيد فان شاتليت كان ينفق عن سعة وقال له :

كيف لا ارضى يا سيدي فلو امرتني ان ابيع فندقي في سبيلك لما ترددت لحظة .

والآن فاحسبا لي يا سيدي ان اتبهما الى امر رابتي وهو اني رأيت منذ ساعة فريفاً من البورجونيين يرودون حول الفندق واخاف ان يكونوا قد علموا بأنك فيه .

فاضطرب الاثنان وكان خوف هردي على مهر روزالي عظيماً فكاشف صديقه بأمر خوفه فاقترح عليه شاتليت ان يذهب بالمال الى منزله فيخبأه فيه ثم يعودان الى الفندق .

فوافق هردي على هذا الاقتراح وكان ليتبود يسمع الحديث فقال له هردي .

انك إذا احضرت بفلاً في هذه الساعة ورجلاً اميناً يرسل هذا المال الى منزل صديقي دفعت لك حسابك وحسبته من النفقات التي لا بد منها لصيانة المال .

فبرقت عينا ليتبود بأشعة السرور وقال :

سأحضر لك ما تريد في الحال .

ثم خرج من الغرفة مسرعاً بينما كان شاتليت وهردي يضعون المال في أكياس .

وبعد هنيهة عاد ليتبود وهو يلهث من التعب وقال :

ان البقل على الباب يا سيدي وقد عيقت لقيادته رجلاً اميناً من خدم الفندق .

فسر هردي بامتناله واسرعه ودفوع له حسابيه ثم تعاروا على نقل

الأكياس الى ظهر البغل وسار البغل يخفوه هردي وشاقليت الى منزل شاتليت حتى إذا وصلا اليه ادخلا الأكياس الى المنزل واطلقا سراح الخادم وبغله دون ان يفتبها الى رجلين كانا واقفين قرب المنزل موقف الرقباء .

أما الرجلان فانها حين رأيا شاتلت وهردي قد دخلا الى المنزل همس احدهما بضع كلمات في إذن صاحبه فانصرف مسرعاً وبقي الآخر في موقفه يراقب الباب .

وقد اخذ شاتليت يرى صديقه هردي جميع ما احتواه منزله ويזור به جميع مخادعه من غرفة النوم الى قاعة الاستقبال المفروشة بأفخر الرياش الى قاعة السلاح التي علقت على جدرانها جميع الأسلحة التي كانت معروفة في ذلك العهد الى اقبية التي خبأ فيها الكنز أي مهر روزالي بحيث بقيا فيه عدة ساعة .

وبعد ذلك عزموا على الرجوع الى الفندق فلما وصلا الى الباب الخارجي وحاولا فتحه وهو باب غليظ متين سمعا اصواتا من الخارج ثم سمعا صوتا يفتقر المارة ويقول :

ابتعدوا وانصرفوا في شؤونكم فتصيح الارض بالدماء .

فقال شاتليت : هوذا صوت تونفيل .

وقال هردي : وأنا سمعت صوت ظليوم .

وقد نظرا من ثقب الباب فرأيا جمهوراً كبيراً فعادا الى المنزل وحصنا ذلك الباب قوضما وراءه الناريين وصعدا الى غرفة ففتحا نافذتها واطل هردي منها فقال .

أظن أننا لا نستطيع الدخول الى قعر سانت بول في هذه الليلة .

فأجابه صديقه قائلاً :

ولا غدا .

قال : ولا بعد غد بل لن ندخله الى الأبد ولا يسومني ايها الصديق إلا اني أوقفتك في هذا الموقف المهرج .

- قال: بل انا الذي يجب ان استاء فاني انا الذي سولت لك الجهر الى هنا .
 - كفى نتحدث بأمور لا فائدة فيها ولننظر كم يبلغ عدد اعدائنا :
 فأطل الاثنان من النافذة وجملا ينظران فحيتها اصوات اعدائها من
 تحت النافذة وصاح زعماءهم قائلين .
 سلوا فذلك خير لكم .
 وقال تونقيل .
 ان مولانا الدوق يريد ان يسلخ جلد هردي باسافان ليجعله غطاء
 لكرسيه .
 فتولدت عند ذلك الشنائم من الفريقين وطبق صباح تونقيل ورفاقه
 القضاء فاصفر وجه شاتليت وقال :
 لقد هلكنا فأنهم كثيرون .
 فقال هردي ، انهم ثلاثة وعشرون وأنا ماهر في الحساب :
 - اظنك مخطئاً ايها الصديق عددهم ايضاً فوجدتهم ستين .
 - نعم ولكن تونقيل وغلبيوم لا يحسبان لانهما سيموتان من يدي .
 - انظن ذلك ؟
 - بل واني واثق كل الثقة .
 - إذا كان ذلك فيكون الباقي ثمانية وخمسون ولا يزال الفرق بعيدا
 بين حسابي وحسابك .
 - هو ذاك غير انه يجب ان تحسب حسابا آخر وهو اننا في أول هجوم
 سيقتل كل واحد منا ستة .
 - فيكون المجموع اثني عشر ويبقى ستة واربعون .
 - لقد أصبت ونحن اثنان بحيث يجب على كل منا ان يلقى ثلاثة وعشرون
 - أهذه هي مهارتك بالحساب ؟
 - نعم فهل اخطأت وكما ان الواحد منا يعادل اثني عشر من هؤلاء
 الاجلاف فتكون الارجحية لهم علينا .

- لثمت ايا الصديق فان الموت معك حياة .
 - انظر انهم يحضرون جسرا فاذا يريدون ان يصنعوا به ، نعم لقد
 عرفت انهم يريدون ان يكسروا به الباب .
 - ايكسرون مثل هذا الباب الجميل وقد كلفتني .
 - صبوا فتحسب بعد حين .
 ثم نظر نظرة الى ما حواليه وقال :
 اليس لديك جسر هنا ، كلا ، ولكن يجب ان تهدم هذه النافذة بسرعة
 وكانت هذه النافذة التي اراد هردي هدمها كائنة فوق الباب .
 وقد اسرع شاتليت فذهب الى قاعة السلاح وعاد بفاسين .
 فبينما كان تونقيل ورفاقه يكسرون الباب بالجسر كان هردي وشاتليت قد
 دمرا النافذة والقياما على الذين تحتهم .
 فصاح شاتليت قائلاً :
 أسفي على هذه النافذة فقد كلفتني .
 فقاطعه هردي قائلاً :
 صبوا ايا الصديق فتحسب الحساب كله متى تدمر المنزل .
 اما النافذة فانها سقطت على المحاصرين فبحرحت ستة منهم وصاح تونقيل
 يحمسهم فيقول :
 اكسروا الباب .
 وكانت النافذة بعد تهدمها قد فتحت مكانا متسعاً في الجدار فوق
 المحاصرين .
 فبينما كانوا منهمكين بتكسير الباب ذهب هردي وشاتليت الى مائدة
 ضخمة فحملها والقياما من النافذة فقال :
 هوذا حمة لا يصلحون بعد الآن للقتال .
 - نعم فقد سحقتم المائدة .
 - إذن لنتعم عملنا .

أما تونفيل فقد ذعر لما رآه إذ لم يكن يتوقع مثل هذا الدفاع فأمر بإبعاد
الجرحى عن ساحة القتال ثم جعل يحمس الآخرين فحمل اثني عشر منهم
الجسر فابتعدوا به قليلاً عن الباب ثم أطلقوه عليه بعنف شديد فارتجت
جوانب المنزل وتكسر قسم من الباب وصاح الجنود صيحة نصر .
وعند ذلك كانت قد سدت النافذة بصندوق هائل من الحديد ثم سقط
من تلك النافذة على الذين يحملون الجسر فأبلى فيهم بلاء عظيماً وهشم أعضاء
أربعة منهم .

غير أن اولئك المحاصرين لم يقنطوا لاسيما بعد ما رأوه من تكسير الباب
فهمجوا عليه بالفؤوس يتقدمهم تونفيل وخليوم وهم يعملون ما سيلاقونه من
الاطغار فكان ذلك جرأة منهم لم ينكرها عليهم هردي .

وقد فككوا من كسر الباب غير أن المتاريس كانت من ورائه فاستقبلهم
هردي وشانليت من أعلى السلم بالكرامي الفليضة كانوا يلقبونها على رؤوسهم
فتطعمها بحيث اضطروا الى الانسحاب والوقوف خارج الباب .

فقال هردي : لقد رددنا الهجوم .

وقال شانليت : لقد بدأت ان أخن .

فقاطعه هردي قائلاً ؟

لا تتسرع بالظنون .

ثم تركه وذهب الى النافذة وكان العرق يسيل من جبينه وقد اتقدت
عيناه واصفر وجهه وابتسم ابتساماً هائلاً حول من يراه :

فلما ظهر لهم من النافذة استقبلوه بالشتم والأهانات .

فلم يحفل بهم هردي بل أشار اليهم بيده وقال بصوت جهوري .

ابن انثا يا تونفيل وخليوم .

فقال له تونفيل :

ماذا فعلت بكين ؟

وقال له خليوم .

ماذا صنعت بكورتيز ؟

- اني فعلت بها ما سأفعله بكما إذ لا بد لكما ان توتا من يدي .
والآن فاني مقترح عليكما اقتراحاً أرجو أن توافقاني عليه وهو أني سأنزل
اليكما بشرط ان يقسم هؤلاء الشجعان الذين يصحبونكنا على ان لا يحملا
علي وعند ذلك اقاتلكما معاً .

فقال شانليت :

اني أوافقك على ذلك فاني أريد نصيبي من القتال :

فقال له هردي بصوت ذعره ، اسكت .

ثم التفت الى الاثنين وقال لهم :

انكما ستموتان من يدي وسأحل عليكم معاً .

فقال له غليوم .

أيها الكلب الكذيب ألحسب أنك لا تغلب انزل وسوف ترى ما يحل بك

وقال له تونغيل :

انزل ويحك لاسحقك سحقاً .

فقال هردي :

نعم اني سأنزل ولكن بشرط ان اقاتلكما معاً فان الأرجحية تكون لكما
بذلك فنتقلاني فهل ترضيان .

انكما إذا رضيتم انقذتما بعض اولئك البواسل من الموت .

وانتم أيها الجنود اصغوا لي. اننا نستطيع الحصار عدة أيام إذ لدينا كثير

من القوت .

ثم يوجد ابواب أخرى يجب عليكم اغتصاها فان هذا البيت مؤلف من

طابقين .

فتجمعوا في الخطر المهدق بكم واقنعوا قوادكم على القبول بطالبي .

أما إذا رفضتم فاني أعدكم بواسل قضي عليكم ان توتوا سحقاً فأما قائدكم

فاني أعدهما جبانين .

وقد خسرت كافة جبان في هذا الزمن معناها ، أما في ذلك العهد فقد كانت اهانة لا تحملها النفس مها صغرت .

ولذلك لم يكده هردي بقولها حق جعلل تونفيل يبتف شعره من القبر وهاج غليوم هياج الجانين فهجم على المتاريس يريد إزالتها بكتفه .

وقد ابتعد هردي من النافذة وسادة السكينة واختلط الجنود بقائديها يتداولون بشأن اقتراح هردي .

أما شاليت فإنه دعا من هردي وقال له :

الحسب اني أدعك تنزل وحدك ؟

— دون شك اذا رضيا باقتراحي فهذا هو الرجاء الوحيد الذي بقي لي

لوفاء بقسمي الذي حلفته عند جثة الدوق دي أورليان .

— ولكنهما يقتلانك لا محالة فانها بطلان بجرمان .

— اسكت فاني سأقتلها ، الا ترى اننا لا نزال سالمين ، ومتى قتلت

القائدين لا يحسر الجنود على مقاتلتنا .

وفوق ذلك فانها اذا قتلاني يبقى لك رجاء الأخذ بثأري فتتزل اليها

كما تزلت .

اصغ انهم بنادوني .

ثم تركه وأسرع الى النافذة فرأى ان الجنود قد اصطفت بشكل هلال

وابتعد تونفيل وغليوم عنهما وجرى كل منهما حسامه فقال تونفيل .

لقد رضينا باقتراحك .

وقال غليوم

على ان تقاتلنا الواحد بعد الآخر .

فقال هردي

ان ذلك كرم منك لا اقبله فأما اقاتلكا معا أو لا أتزل .

فاصفر وجه تونفيل وقال :

حسنا فانزل

فزل هردي يتبعه شاتليت حتى وصلا الى التاريس فازالا منها ما يكفي
لمرور رجل .

انك إذا خرجت معي حسبوا ذلك حيلة ما فتقبض الجنود علينا ولا
قبل لنا بقتال هذه الجموع .
- لقد اصبت فاذهب وليأخذ الله بيدك .

وعند ذلك تعانق الصديقان وأسرع شاتليت إلى النافذة كي يتفرج على
القتال .

أما هردي فإنه خرج من الباب وجرد حسامه وحسى خصمه :

فتهد تونغيل تهد المنفرج وقال :

لقد ظفرتا بك أخيراً .

وقد أشار إشارة إلى الجنود فاقترب بعضهم من بعض بسرعة حتى أصبح
شكلهم الحلالي شكل دائرة وبات هردي في وسطها يحدق به الجنود من كل
جانب .

وهنا لا بد لنا من القول ان بعض هؤلاء الجنود أبروا يمينهم ولزموا
الحياة ولكنهم عوقبوا بعد ذلك بالشنق جزاء وبأثم .

أما شاتليت فإنه حين رأى ذلك من النافذة صاح قائلاً :

يا للخيانة ، احذر يا هردي .

ثم اندفع الى السلم وقد هاج هياج المجانين .

ولكنه حين وصل الى الشارع وجد صديقه مفلول اليدين والرجلين محمولا
على اكتاف ستة رجال والجنود محيطون به وتونغيل وظيفوم يتقدمانهم الى قصر
سانت بول .

فأصيب شاتليت بعارض جنون وجرد حسامه فهجم يحاول انقاذ صديقه
وشم تونغيل وظيفوم وجميع البورجونيين أقبح شتم .

وقد انقض على مؤخرة الجنود فلم يقاتلوه بل اکتفوا بعده بالحراب ولم

يهرحوه بل جرح بعضهم ولم يلتفت تونفيل وغيلوم اشددة فرحهما بالقبض على هردي .

وما زالوا على ذلك إلى ان وصلوا الى قصر سانت بول وفتوح الباب ودخلوا هردي وحاول شاتليت ان يدخل ولكن صدوه الحراس فعاد كثيراً حزينا قانطاً إلى فندق ليتبود وهو يقسم ان يفتقم من اللوق دي بورجونيا شر انتقام .

ولكن كل ذلك لم يمنعه من ان يأكل بشوية .
وكان يأكل في القاعة العمومية فذعر ليتبود لاضطراب وجهه وقال له :
ألا ترى من الحكمة يا مولاي ان تأكل في غرفتك الخاصة ؟
لماذا ؟

قال : ألم تقل لي ان البورجونيين يكتبون لك ؟
فقال وهو يحرق أسنانه من الفيظ .
نعم ولكنهم لم يريدو قتلي .

قال حينذا لو سمعت هذا القول أيضاً من الشفاليه دي باسافان .
كلا فانهم لا يريدون سواء
- كيف ذلك يا سيدي ؟

فصب شاتليت كأس خمر وقال بلمهجة تبين اليأس منها .
أنه الآن أسير في قصر سانت بول .

فاصفر وجه ليتبود واضطرب ولعل اضطرابه كان لحوفه من فقد مثل هذا الزبون .

أما شاتليت فانه جعل يشرب الكأس ثلث الكأس ويقول :

أواه أني أهب عشرة أعوام من عمري لمن يستطيع ادخالي الى قصر سانت بول :

وكان أحد الشاربين جالساً بجانبه فسمع قوله وقال :

انك اذا منحتني يا سيدي عشرة دالات من مالك بدلا من عشرة أعوام
من عمرك أرشدتك الى طريقة الدخول .

قال : بل اعطيك عشرة دنانير .

ثم نفرس به ملياً وقال :

أأنت هو الذي يريد إدخالني إلى قصر سانت بول ؟

قال : كلا ولكني أعرف رجلا لا يرفض ان يساعدني ويسهل لك سبيل

الدخول اليه لاسيا حين يعلم بأنك تكافئني .

فنهض شاتليت وقال لهم بنا .

قال : بل تدفع لي المال مقدماً .

فبحث شاتليت في كيبه فلم يجد غير عشرة دنانير فدفعها اليه وهو يقتهد
ويقول في نفسه .

هذا كل ما بقي لي ولكن لا بأس فسأقيدها على حساب مهر روزالي .

ثم خرج الاثنان من الفندق حتى إذا بلغا الشارع قال له شاتليت :

الى اين أنت ذاهب بي ؟

— الى الجزيرة .

— من انت وماذا تصنع !

فابتسم الرجل ابتساماً غريباً وقال له وهو يمشي .

لا أعلم من اين أتيت ولا من أنا وإذا كان لي اسم فقد نسيتُه أما الذي

أعلمه فاني أخاطر بنفسي في سبيل كسب درجات اعيش بها .

— مثال ذلك .

— مثال ذلك اني اصبر الى ان هجم الليل فانهب الى ساحة الاعدام

فاسرق من يشفقونه واجيء به الى رجل الجزيرة .

ولا ادري ما يصنع به بل لا أريد أن أعلم فإنه ينقذني خير أجرة وبذلك

فرق الكفاية .

فظهر القلق على وجه شاتليت وقال رجل : الجزيرة ؟

- نعم وهو الرجل الذي منذهب اليه الآن فانه هو وحده الذي يستطيع ادخالك إلى قصر سانت بول .
 - وإذا ابي ؟
 - لا خوف من ذلك فاني لم اكسب شيئاً منذ يومين وهو يخشى كثيراً من الرشاية به إلى القضاة وقد وصلنا .
 - انا ؟
 - نعم ألم تسمع باسم سافان ؟
 - سافان الساحر ؟
 - وقد ذكر انه ينتظر هردي منذ بضعة ايام عند باب هذا المنزل بوذكر ما أخبره به هردي عنه فقال :
 نعم انه هو الذي يدخلني الى القصر .

٦١

التأهب للقتال

كان السوق دي بورجونيا ينتظر في قصر سانت بول عند الباب الأكبر . وكان قد أصدر أمره ان يأتيوا هردي الى ذلك المكان لتوقفه هذه المرة من القبض عليه .
 وذلك لأن رجاله كانوا يراقبون هردي من بضعة أيام وفي طليعتهم تونفيل وغلبيوم .
 وكان قد أتيا الى السوق وأخبراه أنهم سيقبضون على هردي بالنهار فأمرها ان يأتيا به الى ذلك المكان الذي كان ينتظر فيه وهو يرى أنه سينال بأسره ثروة ومجداً وسلطاناً بل أنه سيضمن حياته .
 ولا بد لنا من ايضاح ذلك بالإيجاز فيقول :

ان الدوق كان متاعباً لكل طارء . فقد خييل له أن الملكة خسرت سلطتها ورأى ان حزب الكونت دي أرمنياك يعملون ضده في بلاط الملك بالسر وبالعلن وانهم يحسون في الأذان بأنه هو قاتل الدوق دي أورليان وان البراهين على هذه التهمة قد تكاثرت بحيث لم يبق له بد من العمل . فكان حين يخطر له هردي يقول :

اني إذا قبضت على هذا الرجل أعدمه بتهمة قتله الدوق دي اورليان فنتيت برام في كل الثبوت .

وإذا قبضت على هردي عادت الي الملكة وعادت ثقتها بي لأنني انا الرجل الوحيد الذي يستطيع نفعها كما تتوهم .

وإذا قبضت على هردي ودفعته الي القضاة وثق بي الملك كل الثقة .

وإذا مات هردي عادت أوديت الي .

وقد طال تأمله عند ذلك ثم قال :

ان الساحر قد وفي بعهده فان هذه الفتاة كانت تكبرهني كرهاً عظيماً أما الآن فانها تنظر الي نظرات حنو واشفاق .

ولكن لماذا لا يتحقق وعده الأخير وما علي إلا أن أقول لاوديت .

« اني اعرف من انت » .

وعند ذلك تبعني ولكن لماذا لم أقل لها هذه الجملة الآن بل لماذا

اضطرب لنظرات هذه الفتاة ؟

وكان الناس يبرون في تلك الساعة فبعضهم يجبهونه دون اكترات وهم

أعوان الدوق دي بيرى وبعضهم ينتظرون اليه شذراً وهم رجال الكونت دي أرمنياك .

وكان معظم رجاله والذين ينتسبون اليه مقيمين في قصر دي بورجونيا

ينتظرون صدور الأمر اليهم .

أما هو فكان واقفاً يتأمل قصر الملك ولكن عينيه كانتا شاخصتين الي

غرافة القاعات التي تقع فيها أوديت .

وقبلاً هو على ذلك جمع حساً من ورائه انتبه اليه فالتفت فرأى انهم قادمون اليه بهردي محمولاً على الأكتاف .

وقد فرح فرحاً عظيماً ووقف ينتظر وصولهم بالأسير .

أما هردي فإنه حين دخلوا به مقيد اليدين والرجلين الى قصر سانت بول كثر عليه ذلك فتنهد وقال في نفسه متبهكاً على نفسه .

ما زلت ابحت عن طريقة ادخل بها الى قصر سانت بول حتى يسرت لي الاقدار الدخول اليه محمولاً على اعناق الرجال .

وقد وضعوه أمام الدوق وفكوا قيوده فتمطى وابتسم ونظر الى تونفيل وغلبيوم وقال :

لا تنسوا ان كين وكورتيز ينتظرانكمبا .

فهز الاثنان كتفيهما ودعا غلبيوم من الدوق فقال له :

هوذا الرجل يا مولاي قبضنا عليه وهو في حالة التمرد .

وكان هردي واقفاً امام الدوق والجنود محيطون به فنظر اليه الدوق نظراً احتقار وقال له :

أنت هو قاتل كين ؟

- نعم بطعنة واحدة بقلبه ولكنه مات موت الشجمان .

- أنت قاتل كورتيز ؟

- بطعنة واحدة وقد مات ايضاً موت الشجمان .

اما هذان الرجلان وقد أشار الى تونفيل وغلبيوم فإنهما سيموتان ايضاً

بطعنة واحدة كما مات رفيقاهما ولكنها يموتان موت الجنائذ .

فاصطكت اسنانها من الغيظ وحساولا المهجوم عليه فاقنهرهما الدوق

قائلاً :

الى الراء .

ثم التفت الى هردي وقال له :

أنت قاتل ابن عمنا العزيز الدوق دي أورليان ؟

فدنا عند ذلك هردي من الدوق وجعل يكلمه بصوت منخفض فرأى الناس ان وجه الدوق قد اصفر وان يديه تضطربان .

أما هردي فانه قال له ما يأتي :

اني قتلت كين أمام منزل باسغان حين جاء اليه برجاله ليقتلوني .

وقتل كورتير في الدهاليز التي أتيت اليها لتأتمر فيها على قتل ابن عمك وهو لك الملك .

لا تخف ولا تطرب فاني لا أثنى بك وأما الدوق دي أورليان الذي أردت ان تدفعني الي قتله فأبيت فأنت هو قاتله .

واني لا اذكر هؤلاء الرجال الذي طعنوه تلك الطعنات الأثيمة إذ لم يكونوا غير آلة في يدك لتنفيذ القتل .

قلت لك لا تخف ولا تضطرب فلا اثنى بك .

ولكن احذر فاني كما قتلت كين وكورتير بطعنة في القلب استطيع قتلك انت بطعنة أشد ، لأنه يوجد شاهد ، وأنا هو هذا الشاهد على ما فعلته قديماً .

فصاح الدوق مغضباً قائلاً :

خذوه .

فقال تونفيل ، الى ابن يا مولاي ؟

ففقده هردي ضاحكاً وقال :

الى المكان الذي حبست فيه ذلك الشاهد منذ اثني عشر عاماً أي الى سجن هيدون .

فوافق الدوق على قوله بإشارة من رأسه .

وعند ذلك أحاط هردي عشرون حارساً فصار بينهم طائماً دون مقاومة وهو يقول في نفسه :

لم يبق لدي ريب اني انا ذلك الشاهد ولكني لا أعلم واط على أي أمر شهدت .

وبعد هنيهة كان سجيناً في إحدى تلك الغرف الكائنة تحت الأرض في ذلك السجن الذي قال له السجنان عنه مرة :

ان من يدخل الى هنا لا يخرج .
أما الدوق فإنه شيعه بالنظر حتى توارى ، فأطرق مفكراً ، وجعل يقول في نفسه :

الشاهد .. ان الساحر انذرني مرة .. إذن يوجد شاهد علي ما فعلته منذ اثني عشر عاماً في منزل سالان .

نعم ، اني امضيت عقد زواج وأنا زوج مرغريت دي هينوت وهو إثم فطبيع يعاقبون عليه عندما عقاباً أقطع .

انهم يقطعون لسان من يرتكب هذه الجناية ، ويقطعون يده اليمنى ، ثم يحرقونه بالنار .

وعند ذلك ضحك ضحكاً عصبياً وقال :

نعم ، يوجد شاهد ولكن من يصدق شهادة قاتل سفاك على رجل مثل الدوق دي بورجونيا .

وبعد فأين هي الأوراق التي أمضيتها وعقد الزواج الذي عقدته والعقد الذي وقعت عليه لورانس دي ايزم .

ان هذه الأوراق أحرقتها بيدي ، والشاهد سيموت ، أما لورانس دي ايزم ..

وهنا توقف عن مناجاة نفسه ، وقد جعلت عيناه رعباً لهذه الذكرى وجعل العرق البارد يقطر من جبينه ، فقال :

هنا .. قرب هذا الباب الكبير .. هنا ، رأيت تلك المرأة ، أو رأيت خيالها ..

هناك أمرت رجالي بإقتفاء أثرها والقبض عليها فعمادوا بخفي حنين ، وقد توارت عن أنظارهم .

ولكن ما هذا الجنون وما هذه التصورات المقلقة بعد ان ادركت بغيبي
واصبحت السيد المطلق .

فلأدع التصورات ولأبذل جهداً يسيراً فأقبض على الصولجان وأجلس
على العرش .

ان كايوش ينتظر صدور أمري ليهب برجال الشعب ورجال متأهبون
لكل طاريء وبراسكابل وبرانكايل وبراكابل سيقتلون الجنون .
فلتدع للشيطان الجباري الذي يدعونه لورانس ولتذهب الى ذلك الشيطان
الحقيقي الذي يدعونه ايزابو .

كانت الملكة تعلم في كل لحظة كل ما يجري في قصر سانت بول اذ كان
لديها جيش من الجواسيس .

ولذلك فقد علمت بالقبض على هاردي ساعة دخلوا به القصر .
وكان اضطرابها عظيماً حين علمت هذا النبأ ولكن لم يعلم احد سبب هذا
الاضطراب .

وقد استقبلت الدوق دي بورجونيا في القاعة الكبرى ، وهي بين فريق
من النبلاء وبين نساءها ، فقالت له :

انك ترى ، أها الدوق ، كيف اتنا نفتنم فرصة اماننا التام بعد ان تفضل
بجلالة الملك الكرم واقام حراسه على جميع أبوابي .
فأقندر بنا ، أها الدوق ، والعب معنا بالورق .

ثم التفتت الى أحد النبلاء الذي كان يلعبها بالورق وقالت له :
احذر يا دي بيزو فان « الروا » الملك بيدي .
فألمحتى الدوق امامها بملء الاحترام وقال :
التمس من جلالتك الممطرة ، اذ لدي اليوم ألعاب أخرى .

وكان النبلاء والنبيلات ، على اهتمامهم باللعب ، يصفون إصفاً تاماً الى الحديث .

قالت : بل انك تلاعينا .

وقالت له إحدى السيدات الجميلات وكانت ضد الملكة في اللعب .

أريد ان تكون شريكى يا سيدي الدوق ؟

فأخذ الدوق كيسه وفرغ كل ما فيه امام تلك السيدة .

فاعترضت الملكة وقالت بلهجة خطيرة :

بل يجب ان تكون شريكى يا ابن عمى الجميل .

وكان كيس الدوق قد فرغ من النقود ، فأخرج من عنقه السلسلة التي

كان يلبسها ، وهي مرصعة بأثنى الجواهر ووضعها الى الجهة التي كانت تراهن فيها الملكة .

فضج الحضور ، واهتسمت الملكة ، واخذت تلك السلسلة قلبستها في عنقها .

وقد فعلت ذلك بجمرة عجيبة ، اضطرب لها الدوق ، واصفرت وجوه الحاضرين .

وقد وقعت الملكة بعد ان لبست السلسلة فوقف الجميع لوقوفها ، وانحنى الدوق وقال :

يسؤني ، يا سيدي ، ان ازعج جلالتك فقد أنيت لأتمس مقابلة خاصة اذ حدثت حوادث تتعلق براحة جلاله الملك .

فنظرت الملكة الى الحضور نظرة كانت كافية فتنفروا .

وبعد هنيهة كانت الملكة مختلطة مع الدوق فقالت له :

اني مصفبة اليك .

فوضع الدوق يده على جبينه ، كأنه يريد ان يطرد افكاراً مزعجة

وقال :

أيتها الملكة ان الساعة تقرب فان رجال الشعب مجتمعون في الشوارع ينتظرون ان يسموا كلمة (ليحيى الدوق دي بورجونيا) .

ولدينا اثنا عشر الف مقاتل واثنا عشر سيذاً باتباعهم بحيث استطيع في لية واحدة ان ابيد اعداءك واعدائي .

قالت : اني أعرف ذلك ، يا ابن عمي العزيز ، فاتم حديثك .

قال : ان أولئك الرجال الثلاثة الذين ألبستهم ملابس النساء وأقتهم عند الملك يعملون لأول إشارة تصدر اليهم .

وقد لغيت اليوم زعيمهم براسكابل فاعطي ، يا سيدي ، ان الملك قد قضي عليه القضاء المبرم وانك تصبحين أرملة حين تشائين ، وذلك يحدث مع الأرمالوكيين في حين واحد .

— أمض في حديثك فاني أعرف كل هذا .

فاقترب الدوق منها وقال لها بصوت يشبه الهمس :

ان قاتل الدوق دي أورليان قد قبض عليه رجالي ، وعرف جميع الناس ذلك لأنهم كانوا يلبسون شارتي .

أزيد انه لا يستطيع احد ان يتهمنا بعد الآن .

وانما فعلت ذلك كي أقال ثقة الشعب ، وثقة رجال البلاط ، وقد ظفرت بهما .

وعلى ذلك فاني سأصدر أمر القتال بنفس اليوم الذي يقطع فيه رأس قاتل الدوق فمضى سقط ذلك الرأس بفأس الجلاد أجاب ذلك الصوت أصوات الأجراس في جميع باريس .

فكثت الملكة هذه المرة ولم تقل شيئاً ، وجعل الدوق يتمن في وجهها وينظر اليها نظرات الفاحص ، فلم يتبين فيه شيئاً فقال :

وعلى ذلك فان شعب باريس لا يسأل بعد اليوم عن قاتل الدوق دي أورليان وسيطمئن بال الشعب وبالي وبالك بقتل هذا الرجل فانه ..
فقاطعته الملكة قائلة :

وأوديت دي شامديفر ماذا تصنع بها ؟
فتهدد الدوق تنهداً عميقاً وقد فغر ذعراً عظيماً فان جميع قوات ايزابو
قد قتلت بهذه الجملة التي لفظتها .
وقد فاجأته بها كي لا تدع له مجالاً لاثامها بحب هاردي فسبقته الى الاثام
بحيث باتت شاكية لا مشكوة .
أما الدوق فقد تلثم لسانه وقال :
أوديت دي شامديفر ؟

قالت : نعم ، فان كل أمورنا موصولة بهذه الفتاة .. أعطت ما اريد ؟
انك خنتني حين عقدنا الاتفاق .. انك قتلت بالأمس ابن عمك الدوق
دي أورليان ، وستقتل غداً الملك ، ملك فرنسا .. انك أثرت والتمست
السلطة من جميع وجوهها وعزمت على ان تنال الصولجان منغمساً بالدم ،
ذلك الصولجان الذي اقدمه لك أيا المخادع الذي يتلبس امامي بلباس الحب
فيظهر بظهر العاشق المفتون ، وهو يحب سواي ، ويعطيني النظرات ويعطيني
سواي القلب .

نعم ، اني قلت لك وأقول أيضاً اما ان تكون لي وحدي يجملك أو
أخلل عنك .

انك تريد ان تتكلم ولكن دعني أنا اتكلم فأكشف لك ما ستفعل لأنني
أقرأ ما يجول في قلبك ، كما أقرأ السطور في كتاب مفتوح فاسمع :
انك خنتني خيانات لا تذكر في جانب الحيانة الكبرى التي تعدها لي .
وذلك انك بعد ان قتل الملك وبعد ان قوت إمرأتك مرغريت بالسم
أو بالحزن وبعد ان تبعد حرب أرمانياك وتخضع الشعب وبعد ان تقبض
بذلك الدموية على أزمة الملك ماذا يكون مصير أوديت دي شامديفر ؟

وماذا يكون مصير ايزابو الأرملة ؟

لا تقل شيئاً فأنا سأقول عنك .

ان تلك الماكرة التي جعلتني أسيرة بكرها وخداعها تعطيتها التاج ، واما

أنا فانك تعطيني تلك الكأس التي قدمتها الى لورانس دي ايزيم ، عشيقتك
القديرة ، فأبت ان تشرها .

أرأيت ، يا جان دي بورجونيا ، كيف اني ابط لك افكاري بهذا
الوضوح الجلي .

اني لو كنت اريد غداك لكتمت عنك ما يخالج قلبي من الريب
باخلاصك وتركتك محسبي منخدة فيك .

ولكني مغلصة لك فأقول لك الحقيقة يجعلتها ولو كان فيها قتلي وقتلك .
واسمح الآن لإرادتي الأخيرة ، أيها الدوق :

اني أريد قبل ان يس الملك يسوء وقبل ان تدق الأجراس القاضية بدمج
الأرمانوكيين وقبل ان يشرق نور مجدك وقبل ان يقتل سبعين الهيدرون ،
اني أريد قبل ذلك ان اكون واثقة من إخلاصك لي .

واني لا أريد إيماناً ولا عهداً مكتوبة كذلك العهد الذي عقدته مع
كابوش في الدليلز ، بل أريد عهداً واحداً وهو قتل تلك التي تحبها .

واعلم يا دوق انه ما زالت هذه الفتاة في قيد الحياة فأنا من ألد اعدائك
أقفو خطواتك واراقب امورك وأشي بك واسلك الى الجلاد حين قد يدك
للقبض على الصولجان ، وتلبس الاغلال في عنقك حين تتأهب لوضع التاج
على رأسك .

واذا ماتت أوديت صحت عشيقتك وزوجتك وملكتك والقريحة التي
تقود اعمالك وقائدتك الى مجد عظيم .

أيها الدوق لقد فرغت من كلامي فتكلم الآن .

وقد كان ذهول الدوق عظيماً فانه كان يصغي الى كلامها ويسمع نبراتها
وهي لا تقل على شيء من الوعيد بل كانت أميل الى الرفق .

ويرى من عينيها ان عزمها ثابتة لا تغيرها قوة في الوجود ، وينظر الى
صدرها يخفق حين تذكر الاخلاص بالحب فيضطرب وتهيج شجونه ولا يتعمل
له غير جمال ايزابو .

أما إزابو فقد رأته مضطرباً امامها فلم تبسم ابتسام المنتصر بل ابتسمت
البتسام يشف عن حزن وانهضت الدوق وقد ركع امامها .
فلما وقفها وجهاً لوجه رأت تلك الداخية من عينيه انه قتل كل من في الوجود
في سبيلها .

وقد سكنت اذ قالت ما تريد قوله وصبرت لتسمع جواب الدوق .

أما الدوق فانه قال لها بعد ان سكن اضطرابه :

لقد صحت عزيزي على أمر سأقوله لك .

ولكنه كان كاذباً في ما قاله فانه لم يكن يستطيع ان يبتسم امرأ جازماً .

ومع ذلك فان إزابو قد حلت في قلبه فقال بصوت خافت : ان أوديت

دي شامديفر . .

ثم سكت وقد اضطرب اضطراباً عظيماً وتنازعت المرأتان في قلبه فحاول

ان يقول لإزابو :

اني سأنقذ أوديت بيدي .

ولكن ذكر حاجته الى الملكة وحرّج موقفه واثرت نظراتها عليه تأثيراً

كاد يذهب برشه فقال :

لتمت أوديت ، ما زالت تريدن ان تموت ؟

وقد انتصر جمال إزابو ورأته الملكة واقفاً امامها وعيناه تنقدان جياً ،

خوفع في نفسها اجمل وقع وهمت ان تفتح له ذراعها .

ولكنها تراجعته وقد نزل لها رجل لم تكن تحبه هذا الحب قبل الآن

فكان هذا الرجل هاردي دي باسافان .

وكذلك الدوق فانه ما لبث ان أذن بموت اوديت حتى تراجع منذراً

كأنما خيالها قد نزل له وقال في نفسه :

ويح لي مما قلت ، أنا اقتل اوديت وأقضي عليها بالموت ؟

وكأنما الملكة قد ادركت ما يحول في نفسه فقالت له :

إحذراً بما قلته يا دوق فقد قلت لثمت اوديت واعلم اني لا اسألك من التعميدات غير موتها .

قال : اني أعبد ما قلته فلثمت ... نعم فلثمت فليست هي التي أحبها بل أنت .

نعم اني احبك منذ اعوام وكل ما حاولت ان اوم نفسي بأنني لا احبك لا يلبث قلبي ان يكذبني فأعلم اني منخدع مفرور .

نعم اني اسائل نفسي الى اين اسير فلا اعلم ولكنني اعلم اني سائر الى الى حيث تدفعيني وان قوتي ستكون عظيمة بانضمامها الى قوتك وانت مجدي هو جمالك ولا أحفل بما بقي .

نعم اني توهمت بأنني أحب هذه الفتاة ولكن ذلك لم يكن إلا وهم ، فلثمتش اذا كنت تريدن لها الحياة ولثمت اذا كان موتها يرضيك .

فلا عني في هذا الوجود غير حياة ايزابو دي بافيري لأن حياتها حياتي . وكان بوسعها ان يجرول كثيراً في ميدان هذه الأكاذيب فانه ميدان فسبح غير ان ايزابو قاطعته قائلة :

كفى يا دوق ، فلا تقل مزيداً وأتم معدائك الأخيرة ، فاذا كنت لي فأنا لك ومتى كان ذلك فلا يوجد قوة في الوجود تحول دون اتحادنا .

إذهب واعلم انك لا تظفر بالتاج إلا متى ظفرت بإيزابو .

وبعد هنيهة افترقا فكان الدوق يقول في نفسه :

يجب ان تتبعني اوديت الى قصري .

وكانت ايزابو تقول في نفسها :

سأذهب هذه الليلة الى سجن هاردي ... ولكن الدوق قد يكون خالصاً في اقواله ... على اني لا ابالي به فسواء أراد إنقاذها او تخلي عنها فانها ستموت .

ولما خرج الدوق من قصر الملكة ذهب تراً الى قصر الملك ، فانه لم يكن يخرج من عندها حتى أحس في نفسه جمال ايزابو وخطر له خاطر غريب في

تلك الساعة وهو انه اذا حالت الملكة دون إتفاذ اوديت قتل تلك الملكة
كما انه سيقتل الملك .

فلما وصل الى قاعات الملك علم انه مختلر مع التناك الثلاثة .
ولكنه لم يكن من اولئك الذين يقفوا على الأبواب ، فانه دخل الى
القاعة ورأى برسكايل وبرنكايل منهمكين باخراج الشيطان من الملك على
الطريقة التي تقدم لنا وصفها .

اما الثلاثة فانهم حين رأوا مولاهم ارتعدوا فقال براسكايل في نفسه :
تري أدنت الساعة الرهيبة ؟

غير ان الدوق لم بشر اليهم بشيء ، ودنا من الملك فالتحنى امامه ، فقال
له الملك :

انظر الى هؤلاء الثلاثة يا ابن عمي فانهم سيسفونتي دون شك وينقذون
حياتي ، أتدري باذا ؟

قال : بالصلاة دون شك .

قال : كلا بل بالضحك ، ولا سيما هذا الضخم المدعو برنكايل .

فثنى الدوق اليهم وقال لهم بصوت منخفض :

انكم تقضون مهمتكم كما ينبغي ، فتأثروا عليها .

ثم قال بصوت مرتفع :

نعم ، تأثروا على الصلاة لجلالة الملك ، وغداً سأرسل هدية الى كل منكم .

فقال له برسكايل هماً :

إذن يجب ان نتأثر على إضحاك لجلالته ؟

- نعم ، إلى ان تأتي ساعته ، فكوتروا متأهين .

- اتنا على ما تريد .

فعاد الدوق الى الملك وقال له :

ان هؤلاء الفساك يا سيدي جديرون بثقتك ، فقد طالما سمعت أحاديث

غريبة عن زهدهم ، ولا شك ان صلاتهم ستشفيك .

قال : كلا ، فقد قلت لك انهم سيشفونني بالضحك ، ويظهر انك لم تعرفهم ، اما انا فقد عرفتهم حق العرفان ، وكذلك مدير أقيية الحر ، فان الواحد منهم قد يشرب برميلا .

ولكن تكلم ايها الدوق بما أثبتت لأجده ، فاني أرى من هيتشك انك قادم الي" لخابرتي بشؤون المملكة .
ثم التفت الي برانكايل وقال له :

تعالم انت فانك لا ترجعنا ولا نكتم عنك امراً ، فقد عينتك مستشاري فتقدم برنكايل وهو ينظر نظرات خوف الي الدوق ، فقال له الملك :
ما بالك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى فاني اريد ان تكون مستشاري ،
والآن تكلم ايها الدوق .

فقال الدوق : اني قادم اليك يا مولاي بنياً سار .
فقال المهنون : لنسمع هذا الخبر السار ، أعمل الملكة عادت الي حب زوجها واحترامه شأن من تريد ان تكون محترمة من النساء ؟
ام لعل اولئك الأسياد كفوا عن المؤامرة على مولاها الملك فلم يمد يدهم يخطر لهم قتلي وتعيين ملك مكاني .

قبح الله اولئك الجاهلين فان لهم ملكاً يدعهم يهيون ولكنهم يريدون ملكاً .. قل ما هذا النبأ .

- مولاي ، ان قاتل ابن عمي العزيز الدوق اورليان قد قبض عليه .

أحق ما تقول .. أقبضوا على القاتل ؟

نعم يا مولاي وهو في سجن هيدرون .

فأطرق الملك هنيئة مفكراً ثم قال :

نعم انه خير سار كما تقول ، على ان أخي لم يكن يجسني وكان صديق اعدائي ولكنه لم يثبت . انه كان يأتمر علي" ويريد موتي وهذا كافٍ لتوطيد دعائم الأخاء .

وعلى ذلك فاني افرح بالقبض على قاتله ورجائي اليك ايها الدوق ان تراقب محاكمته وتسرعوا بها .

- سينتهي كل شيء يا مولاي بعد ثلاثة ايام .

- ثلاثة ايام ؟ ذلك قليل ، فان القضاة يطول عادة اكثر من ذلك ، ولكن هذه القضية ممتازة عن سواها ، فان للقتيل أخو الملك ، لماذا يدعى القاتل ؟

- الشفاليه دي باسافان .

- باسافان ؟ اني سمعت بهذا الاسم ولكن مني وأين ؟

- وسيحك عليه دون شك ، فان أدلة جنايته كثيرة وينفذ فيه الاعدام في اليوم التالي للحكم اذا وافق ذلك مولاي .

- نعم انه يوافقني .

فانصرف عند ذلك الدوق ، وكان اول من انبأ الملك بالقبض على قاتل اخيه .

أما الملك فانه سر لانصرافه ، وأشار الى النساك ان يدنو منه وقال لهم :

لنعد الى ما كنا فيه وحدثوني بتلك الأحاديث التي كانت تضحكني ، فليست صلواتكم التي تشفيني بل حكاياتكم .

غير ان الثلاثة كانوا مضطربين اضطراباً شديداً لما سمعوه عن هاردي ، فكان براكايل مطرق الرأس كئيباً وبرنكايل يضم قبضتيه ويشتم ، وبرسكايل يبكي

فعجب الملك لأمرهم وقال منضبطاً ؟

- ماذا أرى انهم يبكون حين أمرهم ان يضحكوا لماذا حدث ألم اعد ملك فرنسا ؟

فقال براكايل .

مولاي ، انه أمر هائل .

فقلق الملك وقال :

ما هذا الأمر الهائل ؟

قدنا برانكايل من الملك وحاول ان يوضح له الامر غير ان براسكايل تقدمه اليه خوفاه ان يوضح امرهم اذا قال تلك الحقيقة عن هردي فقال :

مولاي انها طريقة جديدة ابتكرناها لاضحاك جلاله الملك .

فصعب الملك وقال :

تضحكوني بالبكاء ؟

فشق برسكايل بالبكاء وقال :

ان انواع البكاء تختلف يا مولاي فمنها ما يحزن ومنها ما يضحك فانظر يا مولاي وراقب الحركات التي تبدو في عيوننا ووجوهنا واقوامنا تضحك دون شك .

ايك يا برنكايل .. ايك يا براكايل .. ايكيا ليضحك الملك انظر يا مولاي .

وكانت هياتهم تضحك حقيقة فان برنكايل عل حزنه الأكيد لنكبة هردي لم يستطع البكاء فجعل يقلد الباكين وكذلك رفيقاه بحيث ان الملك قهقه ضاحكاً لرؤيتهم .

وجعل الضحك يجلب الضحك حتى بات الملك يضحك دون ان يرى وجوههم .

في ذلك الحين كان الدوق بورجونيا ذاهباً الى اوديت . وكانت اوديت بعد قتل شامديفر لزمت مخدعها فلم تخرج منه إلا إلى الملك حين كان يدعوها اليه .

وقد اصيحت خائفة بعد قتال النمرة لا ترمح في اليقظة ولا في الرقاد وكان قد جاءها مروض الوحوش في اليوم التالي فقال لها :

سيدتي استحق الموت بعد اعمالي فلولا هذا الالهال لما هربت للتمرة من
قفصها ولما أصبت بهذا الخطر فري بشنقي فاني استحق القتل والملكة تريد
ذلك ايضاً .

فأطلقت اوديت هذا الرجل وهي واثقة انه من الكاذبين وان الملكة
قد ارسلته اليها ليقول لها هذا القول .

ولذلك كانت تتوقع الموت في كل يوم ولكنها لم يخطر لها ان تهرب لشدة
اشفاقها على الملك .

ففي ذات يوم كانت اوديت جالسة في احدى قاعاتها تلتهي بالنظرين
وتساوفا من حولها .

وعلى باب القاعة حراس كانوا يحرصونها ليل نهار بأمر الملك .

وفيا هي على ذلك دخل الدوق ومشى تراً اليها فقال :

ألتمس من سيدتي ان تثق بي وتأذن بابعاد نساها فاني قادم لمداوتها
في شأن سري .

فأشارت اوديت إلى نساها بالانصراف وهي تقول في نفسها :

انه أتي ومع ذلك فاني اضطر الى الحذر منه كما احذر من عدو .

وجعل كل منهما ينظر إلى الآخر وكلاهما مصفر الوجه مضطرب الأعضاء
الى ان بدأ الدوق الحديث فقال :

قبل ان ابدأ حديثي يا سيدتي ارجو ان تسمح لي بسؤالك هذا السؤال

هل تمتددين اني اريد لك الخير والحناء وان الدوق دي بورجونيا لا يخطر
له إلا ان يملك سميدة محترمة قوية .

فنظرت اليه اوديت نظرة تشف عن الحنو الأكيد لعلمها انها تكلم أباها
وارتعض الدوق لهذه النظرة فقالت :

أما الاحترام يا سيدي فاني محترمة وأما القوة فلا اريدها ولا اطمع بها

وأما المعادة فلا احسب اني خلقت لها . ثقي ثقني بأنك تريد لي الخير
فثتم اني أثق بك هذه الثقة .

- وهذا كل ما أتناه فانك ما زلت تتعفن في هذه الثقة تصفين الى اقوالي دون شك .

فاعلمي إذن انك معرضة للخطر وانه يجب ان تهرسي قصر سانت بول وتتبعيني الى قصري فانك تكوني فيه آمنة من كل خطر .

وهناك لا يجسر احد على أن يدنو منك .

على ان هذا الفرار لا يجب ان يكون غداً او الليلة بل يجب ان يكون الآن أتصدقين قولي .. قولي بالله أتتقين بي ؟

فهزت اوديت رأسها وقالت :

انني أتق بك واعلم ان الخطر محقق بي .. ولكن يوجد في هذا القصر من يتهدده الخطر اكثر مني وله في ملء الثقة ولا يستطيع ان احببه إلا يضعفي فاذا رحلت عنه فمن يبقى له ؟

أتريدن به الملك ؟

- نعم يا سيدي انه ذلك الملك المنكود الذي لا يحيط به غير اولئك الفساك الثلاثة الذين يت واقفة بهم لاني اعلم من اولهم .

فقال في نفسه :

انها علمت بانني أنا الذي أرسلت هؤلاء الفساك كما علم جميع الناس وبذلك وثقت بهم .

وأتمت اوديت حديثها فقالت :

ان هذا الملك المنكود لا يحيط به غير اولئك الثلاثة ومصوره وأنا بحيث نتمكن احياناً من تعزيتهم وتسكين اضطرابه .

انني أحب هذا الملك يا سيدي لانه طيب القلب طاهر السريرة وفي اعتقادي اني انا التي سأشفيه ولذلك لا ابرح هذا القصر ولا أتخلى عنه .

- كيف ذلك ألا تتبعينني ؟

وقد هاج ثائر حبه ولكنه ذكر قول الساحر وانه لا بد له ان ينتصر فعاد إلى موقف الاحترام كما فعل حين دخل وقال في نفسه :

لقد دنت الساعة التي امتحن فيها قواك ايها الساحر ثم قال لها :
اذا كنت يا سيدي لا تبالين بهذا الخطر المهدق بك فاني لا استطيع ان
اتلقاه بما تتلقينه من عدم المبالاة فانه متصل بقلبي .

قضمت اوديت يديها وقالت :

متصل بقلبك ؟

— انك ستتبعيني ولي الحق ان أمرك بذلك لأنني . لأنني اعرف من انت .
فصاحت اوديت صيحة دهش وتراجعت الى الوراء ثم تقدمت وقالت :

أتعلم من أنا ؟..

— نعم اعلم .

فقال في نفسها :

انه يعلم اني ابنته وقد اختنق صوتها بالبكاء .

فدهش الدوق دهشاً عظيماً وكان يراقبها فيراها تنظر اليه تارة نظرات
خوف وتارة هم ان تطرح نفسها بين ذراعيه فيهبج الحب في قلبه ويقول :
انها تحبني دون شك .

وقد عادت السكينة الى اوديت تباعاً فاقتربت من أبيها وقالت له
برفتي :

انك ما زلت تعرف من انا فلا بد لي من طاعتك وانما امتثل بطاعتك
للتواجبات والمواطف .

واعلم يا سيدي اني قبل ان اراك كنت أتمنى ان أعرفك وكنت انتظرك
واعلم انه لا بد ان يأتي يوم تجيئني فيه وتتولى حمايتي .

ونعم اني كنت ارتاب فيك في البدء ولكنك لا تعلم مقدار ندمي الآن .
أنا ارتاب فيك .. ذلك لأنني لم أكن اعلم .. فاعذوني وانظر الى

سروري وهنائي .

فقال الدوق في نفسه .

ماذا اسمع وماذا تقول .. أفى بقطة أنا ام اني من الخالين ثم قال لها :

اذن سلتبيني .

فابتسمت وقالت :

ذلك لا بد منه ما زلت تعلم الآن انه يحق لك ان تصدر الي الأوامر
وأنه يجب علي ان اطيعك .
فقال الدوق في نفسه .

رباه لقد ظهرت عجائب السحر ولكني لو اضطررت الي لقاء الشيطان
وجهاً لوجه لما رجعت اثلاً يقال بأني خفت .
وعادت اوديت الي الحديث فقالت :

اني اتبعك لأن ذلك من واجباتي إذا أمرتني به ولكن الملك يا مولاي
الدوق .
قال : يجب ان لا تفكر بالملك يا ابنتي بل بك .

وقد قال كلمة ابنتي على سبيل العادة المألوفة في المحادثات حين يراد
اظهار الرفق .

ولكن هذه الكلمة محت كل شك من قلب اوديت فنظرت اليه نظرة
حنو اطارت صوابه إذ كان يعتقد انها نظرة حب وان هذا الحب لم يدخله
الي قلبها غير سحر الساحر فهاجت كوامن غرامه وقال :
ان الملك يبقى سليماً إذا أردت فانك انت التي ستصدرين الأوامر في
المستقبل القريب .

وإذا أردت كان الملك محترماً وجعلت الرؤوس تتحنى له اجلالاً وأرد
سلطه وافعل ، كلا بل يجب ان أقول نقعل بل تفعلين .
فلم تدرك اوديت معنى اضطرابه وكانت تسمع وهي مضطربة لاضطرابه
فلم تفهم معنى اقواله .

غير ان الدوق استمرس في تلك الساعة إلى غرامه فأخذ يدها بين
يديه وقال :

ان هذه الملكة التي تريد قتلك ساقطها انا بيدي وهذا الملك المجنون

الذي تشفقين عليه سلقه ما زلت تريدن ابقائه فنبقيه حياً ونرسله إلى أحد الأديرة بحيث يكون فيه رخي العيش ناعم الليال فلا يكون غير ملك وهو أنا وغير ملكة وهي انت .

فرعبت اوديت وقالت :

— انا أكون الملكة ؟

— نعم انت ومن هذا الذي يحسر على معارضي فيا أريد وأنا سيد باريس فاني إذا اردت كنت بعد ساعة سيد هذا القصر وكنت سيدته .
فقال اوديت في نفسها .

رباه لقد أصيب اني بما أصيب به الملك من الجنون ثم قالت له :

مولاي ماذا تقول عد الي هناك فاني أخاف ان يسمعوك .

فسكر الدوق بخمرة حبها وقال :

انك تخافين علي ، اني امثل لك ولا أعود الي هذه الأحاديث فاني لك .. لك وحدك وإذا شئت رجعت عن كل اطعاعي واعتزلت كل سلطتي .
وغادرت باريس وذهبتا الي قصري في ديجون .

وهناك اقنع بأن اكون الدوق دي بورجونيا فان كل نظرة منك تنسبني العالم بأسره .

تعال ولنسافر فان السعادة قد فتحت لنا ابوابها ما زال الحب متبادلا بيننا .

وقد حاول عند ذلك ان يضمها الي صدره ولكنها اغلقت منه وتراجعت منذرة الي الوراء ونظرت اليه نظرات تشف عن الرعب بحيث ان الدوق نفسه ذعر ايضاً فقال لها :

العلي أخفتك ؟

— ماذا قلت أم تقل انك تحبني ، اجبني واسرع بالقول كيف تحبني وأي معنى يفيد هذا الحب ؟

فقال الدوق في نفسه :

من كان الحب مختلف المعاني ثم قال لها :
اني أحبك كما كنت اوم أني أحب الملكة وكما أحببت لورنس دي
البرج وسواها ، اني أحبك وهذه الكلمة تفيد كل ما تريد من المعاني ،
أنك بمنة في قلبي وانا الدوق دي بورجونيا الملقب بالذي لا يخاف ابكي بكاء
اليا حين اناديك في الليل وأرى انك لست لي ولكن هذا العذاب قد انتهى
بعد ان اصبحت تحبيني .

فقطت اوديت وجهها بيدها وقالت :

اذهب يا مولاي . اذهب بريك واعتبر انك لم ترني ولم أراك ، اذهب
فاني سأموت خجلاً وبأساً .

— ماذا ، ماذا تقولين ، ماذا حدث لك ؟

فدالت وقد ابقت يدها على وجهها .

اني اسأل الله ان ينسبني هذه الأقوال الهائلة التي سمعتها ، اذهب يا سيدي
اذهب بالله .

فدنا الدوق خطوة منها وقد تبين الحقد في وجهه فقال :

يخال لي ان هذه الصغيرة تهاذي بي .

ففراجمت مندرة دون ان تزبح يدها عن وجهها كأنها لا تستطيع ان
ان ترى وجه هذا الرجل الذي قال لها هذه الأقوال المنكرة وما هو إلا
ابوها وقالت :

اذهب أو اقسم بالله الذي يرانا اني استقيت وأقول لكل من يحضر من
الاشراف والحراس والخدم تلك الأقوال الهائلة التي تقضي علي وعلى
نعم اني اقول من انت ومن أنا ، يا للعار ، يا للخجل ، اذهب اذهب .

فوثب الدوق اليها وقبض عليها فسقطت جاثية على ركبتيها وقد انقدت
عيناه وتهدج صوته فقال :

اتطرديني بعد ان اومئيتي انك تحبيني ، ليكن ما تريد فساذهب ولكن
اعلمي يقينا انك ستكونين لي :

والآن جاء دوري بالقسم فاسمعي .
 اني اقسام بالله الذي بسمعنا كما تقولين بانك تعرفين قوتي في وقت قريب
 وتعلمين ان جان الذي لا يخاف لا يقاومه ولا يصدده احد مما يريد .
 الان استودعك الله ولككك سترينني قريباً ومهما فعلت فانك
 ستكونين لي .
 ثم تركها وخرج وهو سكران من الغضب والحب .

٦٢

إزابو

عندما ذهب الدوق دي بروجونيا ازيح ستار غرفة ملاصقة للقاعة التي
 كانت فيها اوديت وبرزت منه امرأة فنظرت نظرات اشفاق الى اوديت ثم
 استوثقت ان الدوق لا يعود وفتحت جميع الأبواب .
 وكانت إحدى وصانف اوديت وهي فتاة حسناء كانت اوديت تميل اليها
 ميلاً خاصاً .
 فلما فتحت الأبواب ذات الحادعات فاسرعن الى معالجة اوديت .
 أما الوصيصة فانها تركتهن يعالجنها وذهبت الى قصر الملكة فقالت كلمة
 السر وادخلوها في الحال الى ايزابو .
 وبعد ربع ساعة عادت الى اوديت وكانت اوديت قد استفادت من المحامها
 فرأت تلك الوصيصة بين نساها وانها كانت اشدهن غيرة عليها .
 أما ايزابو فانها أقامت النهار كله في غرفتها تفكر وقد حصرت افكارها
 بهذه الجملة .
 يجب ان اقتل هذه الفتاة .

وكانت هائجة أشد الهياج ، وعند المساء عادت إليها سكينتها العادية
وزارها نساؤها

وفي الساعة العاشرة تفرق عنها الجميع ونام جميع من في القصر فانشجت
بوشاح كبير وخرجت من قصرها الى الحديقة واجتازتها الى سجن
هيدرون .

وهناك فادت السجنان فتولى خفارتها الى السجن الكائنة تحت الأرض
وبيده مفاتيح تلك السجن .

حتى إذا وصلت الى الدور الأول وقفت وقالت :

ابن هو السجن ؟

ولم تكن قالت له كلمة عما يريد ولا ابن تريد ان تذهب ولكن السجنان
عرف قصدما إذ لم يكن في تلك السجن المبيعة غير اثنين أحدهما هردي .
فلما تزلت الى الدور الثاني قالت ، عجباً كيف يستطيعون ان يجيوا هنا .

- انهم لا يجيئون هنا يا صاحبة الجلالة بل يموتون وآخر من مات منهم
عاش في سجنه أربعة اشهر .

وقد وقفت ايزابو عند باب سجن يشبه القبر فقالت :

من يقع في هذا السجن ؟

هردي دي باساقان وقد اختار هذا السجن خصيصاً غلبوم دي ساك
ودي تونقيل ولكني لا أظن ان هذا المتكود تطول اقامته في هذا السجن .

- لماذا لا يستطيع احتال سواء ؟

- ليس هذا الذي اردته يا سيدتي بل أردت انهم سيسرعون بمحاكمته
ويعاقبونه بالاعدام فيخرج من يدي الى يد الجلاد وهو ما يخفف عذابه .

- افتح هذا الباب فاني أريد ان أراه .

- ولكن جلالتك تعلمين اني لا أستطيع ذلك إلا بأمر من جلالة الملك .

- هوذا الأمر .

- التمس من جلالتك العذر عما قلته فاني لو خالفت الأوامر لقضي علي بالشنق .

ثم وضع المفتاح في القفل فوضعت الملكة يدها على كتفه وقالت :

أراك تخاف من الشنق فهل تريد ان لا تشنق ؟

- دون شك .

- إذن اخبرني ما فعلت بحيثه تريدون .

- اني كنت أحب هذا الرجل وسيدني تعذرنني .

- قل ولا تخف .

- اني أحببت ان اوفر عن هذا المسكين عناء المشوقين .

- ما هذا العناء ؟

- عناء العقبان والغربان فما أحببت ان تأكل جشته فحفرت له حفرة ودفنته فيها وعلبت عليه بجله الخشوع .

فاطرقت الملكة هنيئة مفكرة ثم ابتسمت وقالت .

ان حكايتك هذه لا تشبه الحكاية التي رواها لي سابقان فهل تعلم انك

تستحق الشنق؟

ولكن لا تضطرب فاني اغفر لك الخطيئتين وهما خطيئة الكذب علي وخطيئة تسليمك الجنة لسابقان غير أنني أرجو أن استعويض عن ذلك بمخلصك فافتح الباب الآن .

فأسرع السجان الى الامتثال وفتح الباب قرأت الملكة على نور المشعل هردي واقفاً مستنداً إلى عمود في إحدى زوايا السجن .

وعرف هردي الملكة ايضاً فأسرع إلى أخذ المشعل من يده السجان ورفع به بيده كأنه يريد ان يحتفل بقدوم الملكة ثم قال لها :

- اشكرك يا سيدني على هذا الاكرام الذي افتخر به ثم انحنى أمامها وغرس المشعل بارض السجن .

فأشارت الملكة الى السجن اشارة امرته بها بالانصراف فانصرف طائفاً
ورقف وراء الباب .

وعند ذلك جعلت الملكة تتمتعن بوجه هردي ثم قالت له :

اني أعجب بشجاعتك وصبرك فقد كنت أحسب اني سأرى سجيناً
انهك اليأس لا يقبل بكل ما يقترحون عليه لصيانة حياته ولئيل حرثه
فاذا بي ارى رجلاً لا يخاف الموت بل لا يخافني .

لا تعترض فاني أرى من كل حركاتك ما يدل على انك غير حافل بي
بل ارى من ابتسامتك انك تحتقرني ولكن تهجك هذا لا ينطبق على شيء
من قواعد الحكمة .

- كلا يا سيدتي فانك اصبت بأول كلمة قلتها وهي انك نسيت ما رأيت
في للشجاعة .

واما قولك اني لم أحفل بك فذلك يجوز لرجل مشرف على الموت غير
انه لم يخطر لي في بال .

وأنا انتظر بجله الاحترام ما تريد جلالة الملكة ان تتفضل باقتراحه علي .

- ومن انباك اني آنية اليك لاقترح عليك ؟

- إذا كان ذلك فكيف يتفق ان جلالة ملكة فرنسا تنزل من قصرها
الى جوف الأرض أي الى سجن هيدرول ل ترى رجلاً متها بتهمة هائلة
ومحكوماً عليه مقدماً بالاعدام .

فاذا كان ذلك فهو لا يعد كرمأمك يا سيدتي فاني اعلم يقيناً انك تحبين
الانتقام مني لرفض تلك الثروة التي عرضتها علي ولكني اتوقع انتقاماً أرقى
من هذا الانتقام إذا صح ان يكون في الانتقام رقي . أقول هذا وانا التمس
من جلالتك المغفران .

فاجابته الملكة بلهجة شفت عن الاحتقار قائلة .

لقد اصبت بما قلته فقد اثبت اليك لأنفذك ولكن يظهر لي انك لا تفهم
حقيقة موقفك ولا تدرك معنى العفو الذي أحمله اليك .

فضم هردي ذراعيه الى صدره وقد تبين الغضب في وجهه فظهر في عينيه
احتقار أشد من علائم الاحتقار الذي اظهارته الملكة ثم قال لها :
ومن انباك بأني اقبل هذا العفو منك .

ثم تقدم إلى الملكة وهي ترتجف من الغضب فانها لم تجيء اليه إلا وهي
واقفة من التقلب عليه وانه سيبتلع بالخلاص والعفو فوجدت رجلاً يحتقرها
ولا يكثر للحياة فقالت له :

احذر فان الوقت لا يزال فسيحاً بين يديك .

قال : نعم ولكنك في حالة تحمل علي الاشفاق فانك ملكة قادرة ولكنك
على قدرتك تلجئين بقهر عدوك إلى الكذب .

وانك قادرة على ان تحقيني بإشارة ولكنك لم تستعطي تلك القوة بل
جعلت سلاحك التسمية واذنت ان يتهموني بقتل الدوق دي اورليان وانت
تعلمين ان قاتله حليفك الدوق دي بورجونيا .

نعم انك تفعلين ما قلته في حين انهم وصفوك لي وصفاً اخافني من قبل .
فكادت الملكة تتميز غيظاً وقالت :

والآن ؟

قال : كلا لا اخافك بل اشفق عليك واحكم عليك انك ضعيفة لا
تعلمين ماذا تريدن ولا الى اين تذهبين بل تسيرين إلى حيث تدفمك اميالك
وشهواتك .

واني ربما قتلت يا سيدتي وان كان ذلك غير اكيد ولكن الذي لا ريب
فيه ان شقائي في ساحة الأعدام سيكون اقل من شقائك في قصرك .
وبعد لماذا تريدن مني ، انا اقول لك ماذا تريدن فانك : فتعبرت إيزابو
غيظاً فانها لم تجرد إلى الآن من يكلمها بهذه الالهجة ولم تجرد إلى الآن من
يحسر على احتقار سلطتها وجمالها .

وقد كان تأثرها اشد من تأثرها ساعة قال لها الملك .

« اني أريد ان تحضري شئ عشيقتك » .

بل شعرت ان صرح امامها قد تهدم فانها علمت من الجاسوسة أن الدوق دي بورجونيا قد عمل على خيانتها حين حالها على الحب وانها باتت اسيرة بأمر الملك وان هردي حينها فقالت له بلهجة القانطين .

قل ما تريد ان تقوله فاني احب ان اعلم الى اي حد تبلغ بقحتك .
قال : اطمني يا سيدي فان قحتي لا تتجاوز الحدود التي رسمتها لها .
- حسناً فقل لي ماذا اريد ما زلت تعلم ذلك .

- اني اعلم ما تريدن لأنك قلتني لي فقد اتيت يا سيدي تقترحين علي قتل اوديت دي شامديفر لأنك لم تجرأي على قتلها بيدك .
وانك في سبيل قتل هذه الفتاة التي ملكتها قلبي ووهبتها دمي عرضت علي ان أشاركك بمجدك وان تهني قلبك .

انظري الي يا سيدي تجدي ان التفاوت لا يوصف بيني وبينك واني لا املك شيئاً في هذا الوجود حتى ولا منزلي واني سجين تحت الأرض في سجن لا فرق بينه وبين القبر . اني لا أخرج منه إلا اينفذ في حكم الاعدام فاصمعي الآن جوابي .

اني اؤثر ان اموت على ان اتبعك وإذا جال خاطر في قلبي ضد هذه الفتاة التي أحبها وتكرهيتها انتزعت قلبي من صدري واني اؤثر ان يضغط على عنقي حبل الجلاد على ان تضعيني على صدرك .
فهل ارضاك هذا الجواب ، انه إذا كان لم يرضيك فقولني ما تريدن قوله قلدي أجوبة أخرى .

وإذا كان قد أرضاك فاذهبي ودعيني أموت بسلام .
وعند ذلك أدار ظهره ونهب الى الزاوية التي كان فيها .
فهاج غضب ايزاو وربما كان قد هاج حبها ايضاً فانها مشيت الى هردي فوضعت يدها على كتفه برفق .

فارتعش وقال لها بلهجة المنعصب
ماذا تريدن مني ايضاً ؟

- اني أريد أن أودعك فإذا كنت لا تعلم معنى هذا الوداع فاعلم ان
الجلاد سيخبرك به قبل ثلاثة أيام .

فأشار برأسه إشارة دون ان يجيب وتراجعت الملكة ببطء فلما وصلت
إلى منتصف السجن شعرت انها تشقق بالبكاء وان هذا آخر ما كان في نفسها
من الكبرياء .

وقد خطر لها لحظة ان تعود الى هردي ثم كبحت جماح نفسها بسرعة
وخرجت .

وقد اقل السجان باب السجن وحمل المشعل فاوصل الملكة الى أعلى
السلم وهناك تنشقت الهواء النقي وليثت هنيئة مطرقة تفكر بأمور في نفسها
لا تعلمها .

ثم رفعت رأسها وافتتحت الى السجان فقالت ؟

هل اتخذت جميع أسباب الاحتياط ؟

- أي احتياط تعنين يا مولاتي ؟

- بشأن السجين فهل يستطيع الفرار ؟

- كلا يا سيدتي فان ذلك مستحيل إلا إذا انا فتحت له الباب وأخذت

بيده الى خارج السجن فقلت له ، اذهب فان عذابك قد انتهى .

- نعم اعلم ان ذلك مستحيل ولكن أتعلم ما يصيبك إذا تمكن من

الفرار ؟

- نعم يا سيدتي فاني اشق .

- بل انك تعاقب ببضع الاعضاء والاحترق على نار ضعيفة ومن يحتمل

عذاب هذا الموت الهائل ؟

ثم تركته وعادت إلى قصرها من باب سري لم يره الحراس فدخلت الى

غدها وقد سكن غضبها ولكنها كانت تشمر بدبول والنخطاط فأخذت

كتابا وجعلت تقرأ فيه دون ان تفهم ما تقرأ وذلك لأنها لم تكن تستطيع

الرقاد .

ولبتت على ذلك الى أن أشرق الصباح فأقامت كل يومها وليلتها وهي
ساجدة نفسها بفرقتها .

إلى أن جاء اليوم الثالث فلم تعد تفكر بهدي .

وفي صباح ذلك اليوم نادت الجاسوسات اللواتي عينهن لمراقبة اوديت
وأمرتن ان يحتلن على اوديت كي تكون عند الظهر وحدها ثم لبست ثيابها
فانتهت في الساعة التاسعة .

وفي تلك الساعة أخذت اجراس الكنائس تدق وتتجاوب وارفع
الضجيج وكانت السكينة سائدة في البدء في قصر سانت بول ولكن الاضطراب
بدأ فيه فجأة فكثر الذهاب والاياب وعلت الأصوات .

وقد أخذت الملكة تصفي دون أن تعلم شيئاً فنادت رئيس الحراس الذي
خلف ريدون وسألته عما يجري فلم يستطع ان يبينها بشيء .

ومضى على ذلك ساعتان وازايو تذهب من نافذة الى نافذة باحث فلم
تكن ترى غير الجنود مجتمعون في قصر سانت بول كأنهم يتأهبون للقتال ولم
تسمع غير ضجيج بعيد تعلق عليه أصوات الأجراس .

وقد عرفت ما سيجري وكانت تريد ان تشتري هذه المفاجعة غير انها
لم يكن يخطر لها في تلك الساعة غير اوديت فان الساعة قد دنت .

وعند ذلك أخذت خنجراً صغيراً عمده من الخمل وقد رصع بالجواهر
فخبأته في ملابسها ومشت الى الباب .

وكانت مصفرة الوجه غير انها كانت ساكنة هادئة فقالت لسانها .

لقد رابني أمر هذا الضجيج وأنا ذاهبة إلى الملك لأقف منه على ما
يجري .

فحاولت نساؤها ان يخفونها حسب العادة ولكنها أمرتن بالبقاء وخرجت
من قصرها قاصدة الرواق الكبير .

وهناك رأت الدرق دي بوجونيا وراكها فعلم الدوق لأول وهلة ماذا

تريد أن تصنع فذهب إليها وعلم الاثنان انه لم يبق متسع من الوقت للحيلة
فقال بصوت أجش .

اطلعي سراح جميع هؤلاء الناس .

فالتفتت الى حراسها وأشارت اليهم بالابتعاد فدنا منها وقال :
انك ذاهبت إلى أوديت .

فاصطكت اسنانها وقالت نعم :

وقد وضمت يدها على قبضة خنجرها كأنها تريد أن تقتله .

وكذلك الدوق فقد خطر له في تلك الساعة ان يخنقها .

ولكنه كان قد اتخذ احتياطاته دون شك وقرر النهج الذي يريد ان
ينجبه فوضع يده على ذراعها وقال :

اني اسفك ايها والتخلي عنها .

فاعتزت ايزابو اعزازاً عنيفاً وعاد الرجاء الى قلبها وخطر لها انها قد
يمكن ان تعود الى حياتها السابقة وانها ستحب الدوق كما أحبته من قبل فقالت
له بصوت وحشي استدل منه الدوق انها قد بلغت أقصى درجات الحقد .
- احذر ايها الدوق .

قال : أعلم انه يحق لك ان ترفاني فقد حاولت خداعك وأردت حمل
هذه الفتاة على التعاطب الى قصري يوم عاهدتك على قتلها .
ولكن كل شيء قد انتهى الآن وانا اعيد ما قلته بشأنها فاقتلها كما
تشائين .

وقد سكنت هنية بعد ان بذل جهداً عنيفاً حتى تمكن من ان يقضي
هذا القضاء .

ولكنه طرد تلك الافكار من رأسه وقال في نفسه .

لينتزعها قلبي بشرط ان أكون الحاكم المطلق .

ثم التفت الى الملكة وقال :

وانت ايضاً قد خنتني يوم عاهدتني على الحب والولاء فيه فنزلت الى
سجن هيدون لتري هردي .

وأنا أقول لك الآن . سلفيني هردي كما سلفتك اوديت .
ليمت فأني شأن لي به فاذا اشفت مرة على هذا التكوود الذي انقذني
من الموت فقد ذهبت تلك الشفقة ، الا يريدون محاكمته قبل اعدامه ؟
فأخرج الدوق ورقة من جيبه وناولها اياها فقرأتها دون احتراث ثم
ردتها اليه وهي تقول :

حسناً فلم يبق بيننا احياء يحولون دون حبنا .
أما هذه الورقة فقد كانت الأمر القاضي باعدام هردي باسافان في ساحة
الاعتصاب لثبوت التهمة عليه بقتل الدوق دي اورليان .
وبعد ان وضع الدوق الورقة في جيبه وقال لها :

ان المحاكمة قد انتهت يجلسين لكثرة الشهود وبعد ساعة يذهبون به الى
ساحة الاعتصاب وينفذ حكم الاعدام فيه ، نعم ان الأمر كما قلت فلا يبقى
بيننا احياء .

فأجابته بسكينة قائلة :

نعم فلا يبقى غير زوجي وزوجتك .
- ان برسكابل يحجز على الملك عند الظهر وأما امرأتي فسنموت ايضاً .
وقد دنت الساعة فاني اصدرت الأوامر وشعب باريس منتشر في
الشوارع بقيادة كابوش وهو يوج كالتيار الزاخر للقبض على الضابط وعمل
الضرائب .

وعند الظهر أي حين يقطع الجلاء رأس هردي يبدأ القتال .
نعم اني في هذا اليوم ابعد الارمانوكيين وافتك بكل ما اكرهه واجعل
الدماء تسيل كالانهر .

وكل ذلك يبدأ بموت الشقي باسافان .
ثم قال في نفسه :

نعم يموت هردي ذلك الفتي الجميل الذي اردت ان تخونيني به وتقتليني
فقال له الملكة وقد اعجبت به .

اذهب اذن واقض مهلتك وأنا اقضي مهتي واذهب هردي الى المشقة
ولما اتوا قتل اوديت فيخلو لنا الجو وأضع يدي بيدك فتملك الأرض
يحملتها .

ثم تركته وخرجت من ذلك الباب السري لأن حراس الملك كانوا يخفرون
جميع ابوابها .

اما الدوق فانه وضع رأسه بين يديه وجعل يقول :

إلى اين هي ذاهبة ، أحق ان اوديت سموت .

وقد مشى هو ايضاً فانه الفكر مضطرب البال واقتفى اثر الملكة فرآها
ذاهبة الى قصر الملك .

وكانت الاجراس قد سكنت وسادت السكينة في المدينة فوقف الدوق
مضطرباً حائراً لا يدري ما يصنع .

وعند ذلك دعا منه ضابط وقال له :

مولاي ، الأسير باسافان .

— حسناً اذهبوا به إلى ساحة الاعتصاب .

ثم تركه واسرع بالذهاب الى حيث ذهبت الملكة ثم جعل يركض حذراً
من ان لا يدركها .

حق وصل الى حيث تقع اوديت ودخل دخول الجنون الثائر .

وكانت الملكة قد دخلت قبله وهي تبسم للحراس وتردد تحياتهم حق
وصلت الى القاعات التي تقع فيها اوديت فدخلت دون تردد .

السجان

حلم برانكايل

كان السجن الذي اقام فيه هردي اثني عشر عاماً لا يذكر عذابه بالقياس الذي سجنه فيه أخيراً .

وقد صدقت الملكة بقولها ، كيف يستطيع الانسان ان يقم فيه .
غير ان تعزية هردي فيه انما كان اعتقاده بأنه سيقتل بعد ثلاثة أيام فيستريح .

غير انه على اعتقاده بأنه سيموت قريباً كان لا يزال باقياً له رجاء أو شبه رجاء .

ففي ذلك اليوم تلقى هردي زيارتين غير زيارة الملكة احداهما زيارة السجان فقد جاءه بطعامه فانه دخل اليه وقال له بلمهجة التأثر .

أراك قد رجعت الي .

فأجاب به هردي قائلاً :

هل يسوءك ذلك الست سجيناً هادئاً لا يزعج ولا يحاول الفرار ؟

— انك لا تحاول الفرار لعلمك انك لا تستطيعه فقد قلت لك مرة انهم

لا يخرجون احياء من سجن هيدرون .

ثم انك لو حاولت الفرار وتسللت لك أسبابه لما وجدت من الوقت

متسعاً فقد سمعتهم يقولون انهم سيحكمون عليك ويسلمونك للجلاد بعد

ثلاثة أيام فلا ادري لأي ذنب .

- ان في ذلك اعظم عزاء .

- هو ذاك فان الموت يفضل هذا السجن فان القزع فيه هائل قد يطول شهراً .

فضحك هردي وقال :

مها كان زمن اعدامي قريباً يبقى لنا وقت فسبح .

- وقت لماذا ؟

فلم يجبه هردي على سؤاله وقال بصوت اجش .

- قل لي: انك حين ساعدتني على تسليق النافذة الى الانسة دي شامديفر

انذكر ذلك ؟

- نعم اذكره . وإذا كان يجب ان اساعدك ايضاً فعلت .

- اصغ الي فقد خيل لي انك تحن علي وتمتطف علي فهل هذا أكيد ؟

- دون شك فاني وبيتك اثني عشر عاماً وان عطفي عليك فوق ما

تتوهم فقد خاطرت من اجلك بالموت .

- اذن انك ما زلت تمتمط علي وقيل الي الانسة دي شامديفر فاعلم ان

الأمر يتعلق بها .

- ماذا تريد ؟

- اريد ان تساعدني على الفرار .

قهز السجنان رأسه دون ان يجيب .

فقال له هردي : ألا تريد ؟

- ذلك مستحيل لكثرة المراقبة ثم اني اقسمت بيناً علي ان لا اسهل

لسجين اسباب الفرار فلو نكثت باليمين عاقبني الله في اليوم الأخير الا تعتقد

بحساب الآخرة ؟

www.mlazna.com

- نعم اعتقد .

^RAYAHEEN^

- إذن انت تری ؟

- ماذا أرى ؟

— اني لا استطيع مساعدتك على الفرار لأنني اقسمت اليمين في الكنيسة
اعام الكاهن .

فأطرق هردى مفكراً وهو يقول في نفسه :

مسكين إذ ما كنت اريد له إلا الخير ولكني مكروه ثم قال له :

لقد قلت منذ هنيهة انه لا يزال لدينا وقت .

— نعم ولكنك لم تقل لي لأي شيء .

— لتتبارز بالسيف حسب عادتنا .

— اذا كان ذلك فان الامر ميسور ولا سبأ انه يسرني .

— تقول انه يسرك .

— دون شك فقد سمعت انك صرت من اشداء رجال السيف واحب ان

امتحان بنفسى فاعلم ال ابن بلغت من النجاح فاني استاذك في هذا الفن وانا

الذي علمتك كيف تقتل بطعنة واحدة في القلب .

فارتعش هردى ومضى السجان في حديثه فقال :

لقد اتصل بي انك قتلت كورتيز وكين بنفس هذه الطعنة رحمهما الله

وقد اخبرني بذلك تونفيل فهل هذا أكيد ؟

— نعم فانك انت الذي علمتني هذه الطعنة .

— وانها افادتك وقد تقيدك ايضاً .

فاضطرب هردى اضطراباً شديداً ايضاً وقال :

اذا كان ذلك يسرك كما تقول فحق يريد ان تبدأ ؟

قال : سأحضر حسب العادة ومن كان مثلي ومثلك لا خطر عليهما بأن

يصابا بجراح بالغة .

فارتعد هردى وقال : كلا فحق نحضر السيفين ؟

قال : قريباً .

ثم تركه وانصرف وعليه علائم عدم الاكتمال حسب عادته فاركأ

هردي وهو في أشد حالات الاضطراب وقد ازوى في زاوية سجنه وجعل
يقول في نفسه .

رى أأجر على ذلك .. ولكنه امر لا بد منه . وأسفاه في سبيل
اوديت وروزالي .

هذه هي الزيارة الأولى التي تلقاها هردي في ذلك اليوم .

وأما الزيارة الثانية فقد كنت بعد انصراف السجن بثلاث ساعات .

وذلك ان السجن فتح باب سجنه وبدلاً من ان يدخل هو دخل مكانه
اربعة رجال يحملون المشاعل .

ثم دخل ثمانية حراس مدججين بالسلاح فاصطفوا عند الجدار بينما كان

اثنا عشر آخرون واقفين في الرواق عند باب السجن .

ثم دخل خادمان يحملان مائدة سوداء واربعة كرامي .

ولما تمت هذه المعدات رأى هردي ان توفيل وغلبيوم قد دخلا يصحبهما

اربعة من البورجونيين .

وكان الجميع ساكنين واجين فكان هردي ينظر اليهم وهو يتسهم ابتسام

احتقار .

وقد نظر الى غلبيوم وتوفيل ولكنهما ما أطاقتا احتمال نظراته وادارا

وجهيهما .

وقد ترأس تلك الجلسة رجل لابس ملابس سوداء فوضع ما كان يحمله

من الأوراق على المائدة وجلس رفقاءه الثلاثة بجانبه وهم يلبسون نفس

ملابسه فقد كانوا من القضاء .

وعند ذلك تلا رئيس الجلسة اوراق التهمة حتى اذا أم تلاوتها ضحك

هردي وقال :

ذلك بيان عندي .

فأمر الرئيس كاتب الجلسة ان يكتب ما قاله وان يكتب انه ضحك .

وهكذا ابتدأت الجلسة فكان كل ما سأله القضاة سؤالاً عن مقتل الدوق
يشير الى تونقيل وغلبيوم ويقول لهم :
سلوا هذين فانهما القاتلان .

فختمت الجلسة بعد ان تقرر فيها ان المتهم اعترف انه ساعده قتل الدوق
كان موجوداً في الشارع الذي كان فيه القتل .

وفي اليوم التالي اعيدت الجلسة وسمع الشهود فأجمع كلهم على الشهادة
بأنهم رأوا المتهم يركض هارباً في شارع بريت الذي قتل فيه الدوق وعليه
آثار الدم .

وفي اليوم الثالث وهو الأخير كانت الجلسة قاصرة على تلاوة الحكم
القاضي عليه بالاعدام وان الحكم سينفذ في ظهر اليوم التالي في ساحة
الاعتصاب .

ثم خرجوا ما عدا رئيس المجلس فقد بقي وقال له :

ان جلالة الملك يأذن لك ان تبيت الليلة في كنيسة دير سلتين فهل
تريد ؟

وكان السجن واقفاً في الباب فضيل هردي انه رآه يشير اليه بأن
يرفض فأجاب الرئيس قائلاً :

اشكر جلالة الملك ولكي استطيع الصلاة في سجنى كما أصلي في الكنيسة .
فانصرف الرئيس واقفل باب السجن وسادت الظلمات فبأس هردي
وقال :

غداً فلم يبق لي إلا الغد .

وكان كل رجائه منحصرأً بجمي السجن اليه بالسجين ولكن السجن
لم يحضر فقال في نفسه :

لقد احسن بعدم بحثه فاني اكره ان اشترى حريقي بهذا الثمن الفظيع .
وكان وهو على هذه الحالة يفكر تارة بأوديت وتارة بروزالي حتى

انتهى به الأمر بالرقاد فنام بضع ساعات ولم يدر حين استفاق طلع النهار وهو موعد اعدامه ام لا تزال تحجبه ظلمات الليل .

إلا انه على كل ما أصابه وراه لم يكن يعتقد بأن ساعته قد دنت حقيقة فكان يخطر له حوادث مختلفة تتفق كلها على انقائه .

إل ان سمع صوت فتح الباب فذهب كل رجاءه واحببت تلك الأمانى يجملتها وقال في نفسه :

انهم قادمون دون شك للذهاب في الى ساحة الاعدام .

ولكن المسافة بعيدة بين قصر سانت بول وبين ساحة الاعتصاب فاذا لم أتكن من الفرار اكرهت الحراس على ان يقتلوني .

وذلك اني اخطف خنجراً من احداهم فأما أتكن من قتل نفسي به أو أدافع فيضطرون الى قتلي وأموت موت الاشراف لا موت اللصوص .

أما الباب فانه اقبل بعد فتحه فارتعش هردي وقال في نفسه :

كلا انهم غير قادمين لأخذي فان هذا الرجل السجن .. ولكن ماذا يحمل تحت ابطه .. انه يحمل سيفين .

وقد كان ذلك السجن يحمل مشعلاً فخرسه في ارض السجن .

أما هردي فانه بذل جهداً عنيفاً حتى تمكن من التظاهر بعدم المبالاة وقال :

أنحن في النهار الآن ؟

فأجابه السجن قائلاً :

نعم وفي الساعة الحادية عشرة من الصباح فلا يمر بضع دقائق حتى يأثروا وبأخذونك .

- ولكن ما هذان السجنان ؟

- كيف تسألني عنهما ألم تطلب إلي ان توازن بين قوتي وقوتك بالسيف غير اني التمس منك قضاء امر .

- قل .

- اني من عوام الناس ويسرني ان افتخر بمقابلة شريف وبماذا يكون
الاشراف اشرفاً أليس بملابسهم ؟

فلم يسع هردي إلا الضحك وقال : نعم .

- اذن لا استطيع ان أعدك من الاشراف وانت بهذه الملابس المزقة
ولذلك احضرت لك ثوباً .

فارتعش هردي وأيقن أن السجنان يضم امرأً فهل يريد انقاذهم وهل
يحاول ان يخفيه بهذه الملابس كي يتمكن من اجتياز حداثق سانت بول .

هذا ما خطر لهردي وقد سري الى قلبه الرجاء فهدق بالسجان .

ولكن السجنان اراه صرة الثياب وقال له :

اذا كنت تريد فيجب ان تسرع قبل فوات الأوان .

فلم يعارضه هردي وخلع ملابسه ولبس الثوب الجديد .

فأعطاه السجنان خنجراً وقال له :

تقلد هذا الخنجر فلا يد لك منه .

فشكاه في منطقته .

- وخذ هذا الكيس فعلقه بمنطقتك فلا شرف من غير مال كما يظهر .

فأخذ هردي ذلك الكيس منه وهو منذهل إذ كان محشواً بالدنانير .

فقال له السجنان : لا تسجب فقد أخذت هذه الدنانير من ساتان مقابل

خدمة بشأن ريدون .

والآن فانك اصبحت من خواص الشرفاء فلك الثوب والخنجر والسيف

والكيس بحيث اني افتخر بمقابلتك فاحذر .

فجرد هردي حسامه وقال في نفسه :

اني اطعنه بتلك الطعنة التي علمني اياها ثم اخذ مفاتيحه وأصعد الى

سطح الأرض فلا يعرفونني بهذه الملابس واذهب الى اوديت .

وقد بدأ القتال فكان السجنان يهاجمه ويقول له :

دافع عن نفسك .. ما بالك لا تدافع .

غير ان هردي كان يتراجع وقد عرضت له فرصة طعنه تلك الطعنة عشر مرات فلم يدمل كما ان السجن كان يكشف له نفسه كثيراً وكأنه يسهل له قتله .

إلى ان قال له ما بالك لا تهاجني .. اسرع قبل فوات الأوان .

فأخى هردي سيفه الى الأرض وقال له :

أي أوان ؟

- أوان الفرار .

فساد السكوت هنيئة وجعل كل منها ينظر الى الآخر نظرة تعجيز فان للاخلاص هياج يشبه هياج الحقد وكانت خطة السجن ظاهرة لا ريب فيها فانه كان كأنه يصبح به قائلاً :

اقتلني وخذ مفاتيحي واهرب .

فقال له هردي :

ألا يوجد طريقة اخرى ؟

فأدرك السجن قصده وقال له :

كلا لا يوجد غير هذه الطريقة واذا لم تسرع فأت الأوان .

فأغمد هردي حسامه واضطرب اضطراباً شديداً وجعل يبكي .

فقال له السجن : ماذا تفعل احذر فاني حامل عليك .. جرد حسامك

قبل فوات الأوان .. ماذا ألا تريد أن تقتلني ؟

فقال هردي : أسألك ان تعفو عني فقد خطر لي هذا الخاطر الهائل

الذي عرفته وهو ان أقال حريتي بتضحية حياتك .

- وما هي حياتي يا بني واية فائدة لي من بضعة اعوام أعيشها ايضاً ..

اني ما فعلت غير الشر واذا عشت فلا أعيش إلا لزيادة هذه الشرور أما أنا

سجان جلاذ خلقت لتعذيب الناس فاعلم يا بني ان الحياة لا تروق لي

ولولا هذه اليمين التي حلفتها امام الكاهن لفتح لك ابواب السجن .
وقلت لك اذهب بسلام .

أما انت فيجب أن تميش لك ولها فهي تنتظر وأنا اعلم ما يتهددها من
الأخطار فكن عاقلاً يا بني وهذه المغاييح بنطقتي فاقتلني وخذها وواظ لها
أجاز لنا الدين الانتحار لانتمعت امامك متى رأيت انك لا تجسر على قتلي .

فأطرق هردي باكياً وذهب السجن إلى الباب فأصغى ثم عاد فقال :
لا يزال لدينا ربع ساعة فاختم الفرصة .

والفتت اليه هردي وقال :

احمد الله على اني لم أرتكب مثل هذه الخيانة فاني لا ادري لو أقدمت
عليها كيف تكون حياتي .

وفي كل حال فاني اشكرك لهذا الثوب الجديد الذي ألبستني إياه
فأظهر به في ساعة الاعدام .

فدمش السجن وقال :

ماذا اسمع .. ألا تريد أن تهرب ؟

فمش هردي ومد له يده .

فاضطرب السجن وقال : ما هذا ؟

- ألا تريد أن تصافح اليد التي أمدتها اليك ؟

- أتصافح يد سجان جلاذ ؟

ثم أخذ يده بين يديه وهو لا يعلم كيف يظهر امتنانه فقال :

لقد صرت رجلاً الآن بعد ان صافحت يدي الاثيمة يدك الطاهرة .

- بل أعدك من غير اشراف الرجال وكفى انك أردت تضحية حياتك .

لتسهيل فراري .

- بل أنا الذي أصبحت مدبناً لك بعد ان صافحت يدي وأرى اني

استطيع الآن أن أخاطر .

وقد أصفر وجهه وخاف في حين انه لم يخف حين كشف صدره لاستقبال اللوت .

فاضطرب هاردي وقال :

ماذا تخاطر ؟

- بحظي من النعيم .

فتش هاردي الى الباب وقال : هلم بنا .

فجمل السجنان يتمن فيه منزعلا ويقول في نفسه :

انه ابي ان يقتلني ورضى ان انكث بيمينتي واخسر نفسي في الآخرة ،
ولكنني طالما سمعتهم يقولون : ان سلامة النفس في الآخرة خير من سلامة
الجسد من الدنيا .

وبعد هنيهة كان الاثنان خارج السجن فصعدا السلم وبلغا الى الحديفة
وهناك رأى السجنان بعض الجنود قادمون لأخذ هاردين فسار به في منعطف
خفي وتوارى عنهم ، فقال هاردي :

هلم بنا الآن نخرج من القصر قبل ان يدركونا .

- أتذهب معي ؟

- دون شك فانك لا تستطيع الخروج وحدك وبعد فإذا تريد ان اصنع

في هذا القصر ؟

- حسناً فسر بنا الى قصر الملك .

- قصر الملك ؟

- نعم ، فاني اريد ان ارى أوديت .

- مولاي ، ماذا تفعل انهم يعودون الى القبض عليك .

- قلت لك اريد ان ارى أوديت ، فامسا قسيري معي ، أو أذهب

وحددي .

فقال السجنان في نفسه :

لقد كنت أتوقع ذلك .

ثم سار أمامه بطريق خفي الى المسكان الذي تقيم فيه أوديت ، وهو يقول :

يا لغرور الشباب ، ولكني لا أجد بدأ من الامتثال .

٦٤

الصك

ولندع الآن الملكة والدوق وهاردي ذاهبين الى أوديت وكلهم ذاهب اليها
انفاية مختلفة عن غاية الآخر الى ان يجتمعوا هناك .

ولنعسد الى شاتليت صديق هاردي فقد تركناه ذاهباً الى سافان ليهديه
الى طريق يدخل بها الى قصر سانت بول ، وينفذ صديقه من أيدي
البورجونيين .

وقد وصل الى سافان مع الدليل فقال له الدليل :

لقد جنك ، يا سيدي ، هذا الرجل الشريف اذ يريد ان يسألك عن أمر
خطير ووعدته بفيل مساعدتك .

فقطب سافان حاجبيه وقال :

لا فائدة من الابحاث فقد عزمت عزماً أكيداً على ان لا اهتم بشيء ولا
اكثر لأحد فاذا كنت تريد اكسير حب ، أو غير ذلك مما كنت اشتغل به
فانهب الى سواي فلم يعد هذا المنزل منزل الساحر .

فقال له شاتليت :

أها الساحر اني غير قادم اليك من أجلي بل من أجل الذي اعطيته مهر
روزالي .

فاضطرب سافان وقال :

هاردي باسافان ؟

- هو بعينه وقد قال لي انه يثق بك .
- وماذا يريد اسرع بالقول .. بل اصبر .
ثم أخذ قبضة من المال فنفع بها الدليل واطلق سراحه وعاد الى شاتليت
فقال له :

اسرع بالقول لماذا يريد هاردي ؟

- ايس هاردي الذي يريد بل أنا فقد قبضوا عليه في منزلي واعتبروه
عاصياً متمرداً وفوق ذلك فهو منهم بقتل الدوق دي أورليان فاذا لم ننقذه
من قبضة الدوق دي بوجونيا اعدمه اعدام المجرمين فاعلم قبل كل شيء انهم
حين قبضوا عليه ذهبوا به الى قصر سانت بول .

وكان ساتان يصغي الى شاتليت ويدها تضطربان فقال شاتليت :

وقد اكد لي هذا الدليل الذي جاء بي اليك انك تستطيع إدخالني الى
قصر سانت بول فقل أنت الآن أعداء اكيد ؟

فأطرق ساتان رأسه هنيهة مفكراً ثم قال :

ان هاردي الآن في قصر سانت بول مهدداً بالخطر ، وأنت تريد انقاذ
لأنه صديقك ، وأنا اريد انقاذك للصدق الذي أحسك على الدوق دي
بوجونيا .

قال : حسناً ، فلنشارك حقدك بصدائقي ولنشارك قوتي مع قوتك لننقذه
من موقفه الخطر فأنا لي قوة السيف وأنت لك قوة الشياطين .

فهز ساتان رأسه وقال :

اني استطيع إدخالك الى قصر سانت بول ، ولكن ماذا تصنع فيه ؟

- ماذا أصنع ؟ اني أنقذ هاردي .

- هو ذاك ولكن كيف ننقذه ؟

- كيف انقذه ؟ اني اقتل واحرق القصر ..

- ألحرق عشرين بنساية يتألف منها قصر سانت بول .. أتعلم أين

صديقك مسجون ان كل بناية من هذا القصر لها سجن ذلك عدا عن
سجن هيدرون.

وهب انك عرفت أين سجنوه ، فهل تستطيع اغراء السجنان وهو يخشى
الشنق في الأولى وجههم في الآخرة ، أم تحب انك تقتل جميع جنود القصر
فتنقذ هذا الصديق ؟

فسح شائيت العرق عن جبينه وقال :
كل ذلك اكيد فاتهم يقتلونني" قبل ان اصل اليه ولكنه يعلم على الأقل
اني قتلت في سييد .

- وهب ان في ذلك فائدة ، فكيف تحسب انه يعلم ، وهو في سجنه لا
يكله أحد .. انك تقتل نفسك قتلاً ، لا مجد فيه ولا فائدة منه .

- إذن ، ماذا أعمل ؟

- تذهب وتلبث مطمئناً اني ان ادعوك الي" .. ولا ريب عندي بأنك
تضحى حياتك في سبيل صديقك فقد رأيت من اخلاقك ما يدل على ذلك.
ولكني لا اريد ان تضحى هذه التضحية إلا في ما يفيد ، فهل تستطيع
ان تصبر وتنتظر ؟

قال : ولكن ما أعمل في هذه المدة :

وقد رأى بعد إمعانه انه اذا كانت نجاة هاردي ممكنة فلا يستطيع
إنقاذه غير ساتان فقال له فجأة :

- حسناً ، فسانتظر .

- أين أجدك ؟

- في فندق ليتبود .

- اني اعرف هذا الفندق واعرف منزلك في شارع سانت أنطوان فانك
هجرته حين حقد عليك البورجويون ولكني أحب ان اجدك في منزلك فان
الفندق بعيد عن قصر سانت بول .

قال : لقد اصبت ولكنك قلت ما يرمم باني خفت البورجويين .

قال : بل قلت انهم يريدون قتلك ، ولم اقل لك انك تخافهم ، فاذهب يا ابني ، الى منزلك ، وانتظر فيه الى ان يأتي رسولي فيخبرك بما يجب ان تفعله .

فامتثل شاتليت وانصرف فذهب ثوياً الى منزله ، كما اوصاه الساحر وقد ضعى في ذلك تضحية عظيمة فانه كان مولعاً بالشراب ولكنه لا يعرف ان يشرب وحده .

وقد تجدد في اليوم الاول وقضاء بين الكؤوس ولكنه لم يستطع الانجلاء في اليوم التالي ، وقال في نفسه :

لا شك ان ساتان هزأ بي .

ثم خطر له خاطر هائل ، ربما اوصاه اليه الشراب وهو ان الساحر قد يكون متفقاً مع الدوق دي بورجونيا فأراد ان يبقيه في منزله كي لا ينفى هاردي مساعدة من أحد .

وعند ذلك ليس ملائمه وتدجج بالسلاح وهزم على الخروج وهو يشتم ويلعن وقد جعلت الاجراس تدق في تلك الساعة فقال عجباً ترى ماذا حدث في باريس ؟

وقد سمع اصواتاً بعيدة ، فأصغى الى تلك الاصوات ، وتبين الاقوال فسمعهم يصيحون :

لتحيين الحرية .. الحرية للشعب .

ثم سمع اصواتاً اخرى تصيح قائلة :

ليحيي الدوق دي بورجونيا ... ان الدوق مع الشعب ... لقد نجونا ..

الحرية ، الحرية .

ثم أطل من النافذة فرأى عصابت مختلفة من الشعب بينها نساء واولاد وكلهم يصيحون ليحيى بورجونيا .

فقال في نفسه : لا شك ان هذا الدوق يريد ان يضرب الضربة الكبرى ،

فإذا خرجت من المنزل سحوقني سحاً وإذا بقيت فيه هاجوه كما هاجوه من قبل فأموت من غير فائدة كما قال الساحر .

وغير ما أراه ان اذهب الى منزل الساحر فاقم فيه .
ولما أقر على ذلك رأى انه لا بد له قبل انصرافه من زيارة الأقيسة لغرضين :

احدهما ان يلاً بطنه من الحر والثاني ان يلاً كيسه من المال .
اما الحر فقد كان لديه منها مقدار كبير ، وأما المال فلم يكن لديه منه غير مهر روزالي لئلا منه كيسه دون ان يقرعه ضميره لاعتقاده انه سينفق ما أخذه في سبيل إنقاذ هاردي وصيانة المهر ، ويرج المنزل .
وكان الوقت وقت الظهر ، فبعد ان خرج بخصم دقائق جاء رجلى الى منزله راكضاً وكان هذا الرجل رسول سافان .
أما شانليت فقد وصل في تلك الساعة الى ساحة الاعتصاب وامتزج بالجمهير ..

وكان الهياج قد سكن وسكنت الأجراس ولكنه رأى ان جميع المحازن مغلقة ورأى ملامح الوعيد بادية في جميع الوجوه .
ورأى المصابات تتقدم فجعل يسير في أثرها دون ان يعلم الى اين تسير الى ان وصلوا إلى ساحة الاعتصاب وهناك تغيرت المناظر وخفتت الأصوات وتراعت الأنظار الى جهة واحدة في وسط الساحة .
فنظر شانليت فرأى مشتقة منصوبة ورأى الجلاذ وأعوانه واقفين ينتظرون وصول المحكوم عليه .

وكان شانليت يعرف الجلاذ وهو رجل ضخم الجثة هائل الخلفة ولكنه لم ير ذلك الرجل بل رأى مكانه رجلاً ضعيف البنية ناحل الأعضاء هزيل الجسم فقال في نفسه : ما هذا التغيير ومن هذا الذي يشفقونه وما هذه المحرقة المنصوبة ايضاً بجانب المشتقة .

وكان رجل من البورجونيين واقفاً بجانبه فسأله عما يجري .

فقال له البورجونى . لا شك انك قادم من الريف .

قال : هو ذاك وقد وصلت الآن .

قال : إسمح لي ان انصحك في البدء نصيحة .

- ما هي ؟

هي ان تضع على يدك إشارة صليب احمر كي لا يسيثوا الظن فيك ،

فانك تعلم ..

- اني لا اعلم شيئاً ، فأرجوك ان تشرح لي هذه الألفاظ .

- إذن فاعلم انك اذا لم تلبس الإشارة حسبك الناس من جماعة ارمانياك

- أنا اكون من أشياعه قبيحه وقبح رجاله؟

- أرى انك من كرام الناس ، ألا تهتف مع الهاقفين للدوق دي

بورجونيا ؟

- كيف لا وإني مدين للدوق بحميل أرجو ان افيه .

- هذا هو يوم الوفاء ، فانك ستجد فيه خير فرصة ، وانعمد الآن الى

ما سألتني عنه من أمر هذه المشنقة التي تراها ، فانهم سيبدأون عند الظهر

يقطع عين المحكوم عليه ثم يقطع لسانه .

- الحق اني لا اريد ان اكون مكانه .

فضحك البورجونى وقال : ولا انا . انظر الى هذا الرجل الذى يحمل

مشعل ..

- أهذا هو الراهب ؟

- نعم انهم ثلاثة ، فانهم سيضعون المحكوم عليه بعد تشويحه فوق تلك

الأحطاب ويضرم النار فيها حامل المشعل فيموت بالنار اذا بقي فيه رمق

بعد قطع يده ولسانه ، ويظهر ان هذا الرجل من أعداء الدوق .

- ماذا يدعى ؟

- الشفاليه دي باسافان .

فصاح ثالثيت صبيحة أخفاها تحت ظواهر السعال وشعر ان الارض قيد به ، فقال البورجونني دون ان ينتبه لأضطراب ثالثيت :
انهم حاكوه بالسحر حاكمة سرية بساقي الدوق وسينفذ فيه الحدم كما ينبغي بالرغم عن الحادث الذي حدث في صباح هذا الصباح .
- ماذا حدث ؟

- حدث انهم ذهبوا لإحضار الجلاء فوجدوه ميتاً في فراشه ، ولكنهم وجدوا لحسن الحظ رجلاً يخلفه وهو هذا الرجل النحيف الذي تراء واقفاً على المشنقة .

فترك ثالثيت عند ذلك البورجونني وتقدم من المشنقة وهو يقول في نفسه :

لا شك ان هذا الساحر قد خدعني وأقامني في منزلي كي لا أستطيع إنقاذ هاردي ولكنني استطيع الانتقام ، سأذهب الى الساحر وأدخل اليه بالرغم عنه وأخنقه بيدي .

لقد تركنا ثالثيت في الفصل السابق واقفاً قرب المشنقة وقد حول على الذهاب الى ساطان وخنقه انتقاماً منه .

ولكنه لم يستطع ان يذهب اليه وقد شعر بجاذب عظيم يجذبه الى المشنقة في حين انه كان يؤثر الموت على ان يرى عذاب صديقه .

ولم يمد بينه وبين المشنقة غير صف واحد من الجنود ، وعند ذلك حان وقت الظهر فسمع الرهبان يصلون صلاة الموت ، ثم اصوات الجماهير تقول :

هذا هو .. هذا هو .

فارتعدت فرائص ثالثيت ونظر الى مصدر الأصوات فلم ير صديقه الكثرة لجمهور الناس .

ولكنه كان واثقاً انهم قادمون بصديقه المنكود وانهم سيصعدون به الى
المشقة بعد هنية .

فاحمرت عيناه وارتجفت شفثاه وهاجت عوامل الإشفاق والصدافة
فتفجرت في فؤاده وقال بصوت أبح :

إنه لا يموت وانا على قيد الحياة ، فأما ان أموت او انقذه من الموت .
ففي صباح ذلك اليوم حين كان سائلت يسمع صيحات الشعب من منزله
ويردد بالخروج من ذلك المنزل كان ساتان قد دخل الى منزل هرمين التي
كانت تقع فيه لورنس دي ايزيم والده روزالي .

وذلك ان ساتان جزع جزءاً شديداً للخطر المهدق هاردي لأمرين احدهما
انه بات يحبه ويميل اليه ميلاً خاصاً ، وثانيهما انه كان يعتمد عليه بالانتقام
من الدوق دي بورجونيا .

وكان قد ذهب الى قصر سانت بول وأقام فيه عدة ساعات ، فلما خرج
منه كان واثقاً انه لا حيلة في إنقاذ هاردي غير انه كان له بذلك رأي
سيوضح للقراء .

وقد عاد الى منزله ففتح خزانته الحديدية الكبرى التي كان يخبئ فيها
ثروته وأخرج منها تلك الورقة التي كان أراها مرة لهاردي ، فتمعن
فيها وقال :

هذا هو السلاح الذي يفعل بالدوق دي بورجونيا اكثر مما يفعل به
الخنجر والسهم وثبتت التهمة عليه انه هو قاتل الدوق .

أما وقد سجن هاردي ، فمن الذي اقلده هذا السلاح غير لورانس
دي ايزيم ؟

وقد طوى تلك الورقة فوضعها في جيبه وذهب الى لورانس وسوف
تري ما يكون منه .

في قصر الملك

وانعد الآن إلى قصر الملك فان برسكايل وبرنكايل وبراكابل كانوا يقيمون فيه في غرفة كبيرة ملاصقة لقاعة الملك .

وانما اقامهم بجواره كي يستطيع بحالهم حين يشاء فقد باتوا ندماء لا يستطيع الابتعاد عنهم واخصهم برنكايل فقد كان ممتازاً عن رفيقيه باضحاكه .

ففي ذلك اليوم الذي وقف فيه شاتليت تحت المشنقة وذهب ساغان الى لورنس كان اولئك الثلاثة مجتمعين في غرفتهم يتداولون وقد وضعت أمامهم المائدة وعليها كل ما طاب من الطعام والشراب فانهم لم يقدوا الرهبان بلباسهم فقط بل بعيشهم بحيث سمحوا بمد الهزال كأنهم حقيقة من الرهبان .

غير أنه من غريب أمرهم انهم لم يكن لهم شبيهة في هذا اليوم حتى برنكايل فانه جعل يستعيب عن الطعام بالشراب .

وكانت علانم الاضطراب باقية عليهم وبرسكايل مطرق يفكر الى ان رفع رأسه وقال لرفيقه :

لقد دنت الساعة فلم يبق سبيل للرجوع فقد جاءني رسول مولاي التدوق وقال لي :

اليوم عند الظهر يجب ان تقضوا الأمر وتقتلوا الملك .

فقال براكابل : كيف تطاوعنا قلوبنا على قتل مثل هذا الملك الطيب .

وقال برنكايل : وإذا قتلناه فمن يسبقنا مثل هذا الحمر الفاخرة ؟

فقال برسكايل : لا شك عندي فيما تقولان فان الأمر منكر ولكن ليست

هذه المرة الاولى التي جردنا فيها خناجرنا لخدمة الدوق دي بورجونيا.
فشرب برانكايل جرعة كبيرة وقال :

نعم اننا قتلنا كثيرين في خدمته ولكننا نقاتل اعداءه قتالاً منظماً لمخاطر
فيه بارواشنا فاذا امرنا ان نهجم على سيد يحيط به خدمه وحراسه وحسين
أرى السيوف تلعب اهجم على هذا السيد فاقته دون خجل .

أما هذا الملك فانه بات يشق بنا كل الثقة ونحن عازمون على ذبحه كما
يذبحون الحرفان ولذلك لا اطيق ان يكون جالساً على كرسيه يناديني
قائلاً :

ادن مني يا برانكايل المحترم واضحكني فأدنو منه ثم اطمئه كلا لا استطيع
الاقدام على هذا الأمر الفظيع فليقمه سواي .

فجعل برانكايل وبركايل ينظر كل منهما الى الآخر وقد توجسا شراً من
رفيقها فقال بركايل :

أنه إذا اراد برنكايل حماية الملك قتلناه ايضاً وبذلك يكون القتال
الذي أراده .

فقال برنكايل : إذن لنقتل فساني لا أريد ان يمسا الملك والويسل لمن
يؤذيه .

فجرد برانكايل خنجره وقال : اتذرني بالقتال ؟

واقتردى برانكايل به فدخل برانكايل بينها وقال :

اخفض السلاح واصفيا الي .

اننا لا نستطيع مقاومة الاقدار فقد قضى على الملك بالموت ولا يد ان
يموت فانا سأقتل الملك يا برنكايل وانت اغضض عينيك إذا كنت لا تريد
أن ترى .

وهاك أمر لا أراك تتب إليه وهو انك ستقضي علينا جميعاً بالموت لتطيل
بضعة أيام في عمر ذلك المجنون فاقترع ان أبيتنا قتل الملك فانهم يستبدلوننا

بقيرة فيقتلون الملك أما نحن فان الدوق يحرقنا بالنار فامثل ايها الصديق
فلا فائدة من المكابرة .

فاحمد برنكايل خنجره وقد اقتعه هذا البرهان فقال :
إذا كان ذلك فلنهرب فقد بات لدينا من المال ما يكفيننا وبغيننا عن
خدمة الدوق .

فهز برنكايل كتفيه وقال :
لقد فكرت بالهرب قبلك فان قتل هذا الملك المنكود يروعني كما يروعك
ولكن الحرب مستحيل أتمم من هو الحاكم المطلق في قصر الملك منذ ساعة ،
انه تونفيل وان جميع حراس الملك فيه قد استبدلوا بحراس الدوق بحيث
بات الملك اسيراً في قصره وبثنا أسرى معه فلا سبيل لنا وله الى النجاة .
فاطرق برنكايل برأسه وقال :
مسكين .

فاتقدت عينا برنكايل لما رآه من اذعان برنكايل واقتناعه فقال .
حسناً فلم يبق علينا إلا ان فنظر الإشارة عند الظهر واصبروا ايها
الصديقان فيسكون ذلك آخر ما نعمله وغداً نصبح اغنياء بفضل ما سنقبضه
من الدوق ونذهب الى حيث نشاء .

فاطرق برنكايل إذ خطر له خاطر فجاني وقال :
اني لم أفهم شيئاً مما يجري غير اني أرى انه إذا قتلنا الملك قضى علينا
فإذا كان رجال الدوق يحتلون القصر وكان تونفيل الحاكم المطلق فيه فلماذا
لا يقيضون على الملك فيسجنونه أو يقتلونه بجنائز البورجونيين . اجبني على
هذا السؤال .

فلم يجد برنكايل ما يجيب به وجعل ينظر إلى رفيقه نظرات رعب فقال
برنكايل .

انكما لا تجيبان ولكني اتولى الجواب عنكما فاعلمنا ان السبب في ذلك
هو ان الدوق دي بورجونيا لا يريد ان يتهم بقتل ملك فرنسا لأنه يريد ان

يكون هو الملك ولأنه لا يريد ان يبيع الشعب عليه بهذا القتل الفظيع .
بل انه يريد أن يظهر للشعب قاتلي الملك وبعد ان يلبس التاج يكون
أول ما يعمد أنه يرسل إلى المهرقة اولئك الذين قتلوا ابن عمه شارل وهم
برسكايل وبراكايل وبرنكايل .

فضرب برسكايل جيئنه بيده وقال :

لقد انقذتنا يا برنكايل فكيف لم افطن لهذا ؟

- كيف انقذتكم ؟

- هذا الخاطر الذي ابديته فاذا لم نهرب قبل قتل الملك قبضوا علينا
وحاكمونا وكان جزاؤنا ما قلت .

- ولكن كيف نهرب ألم نقل ؟

- قلت أنه يجب ان نسرع بالفرار فاسرعوا قبل أن يحين الظهر .

وقد أخذوا يقتسمون ما لديهم قسماً حتى إذا نمت القسمة مشى برسكايل
أمامهم وقال ؟

هلم قبل أن نسيل الدماء في هذا القصر .

وعند ذلك فتح الباب وظهر منه تونجيل فقال :

هل انتم متاهبون ؟

فذعر الثلاثة ذعراً شديداً غير أن برسكايل كان أربطهم جأشاً فقال :

اننا متاهبون لكل شيء يا سيدي ونحن ننتظر الإشارة كما ترى .

- حسناً فاعلموا الآن ان مولاي الدوق يريد بعمد قضاء الأمر ان لا

تقيموا لحظة في القصر ولا في باريس وقد أرسل لكم هذا الكيس تسهلاً
لفراركم .

ثم وضع كيساً كبيراً محشواً بالمدانير فقال : اقتسموه .

ففرح برسكايل لأن هذه الحيلة جازت عليه وفرح براكايل بهذه الأموال

أما برنكايل فبقي مقطب الجبين .

وعاد تونجيل الى الحديث فقال :

انكم بعد قتله تنزلون من السلم الصغير وتخرجون من القصر فتسرعون الى اليمين .

وهناك تجدون رجلا ينتظركم ولديه ثلاثة جياد فتركبونها وتخرجون من باريس الى حيث تشاؤون .

فاجابه برسكايل قائلا :

اتنا سننفذ الأمر بالتدقيق فبعد القتل بنصف ساعة نكون خارج باريس .

والآن فاننا نتأهب للتأهبات الأخيرة فنفضل ودعنا وحدة إذا أحببت . فقال : سادعكم ولكني اخبركم ان الدوق على شدة ثفته بكم رأى انكم قد تحتاجون الى مساعدتين فانظرا .

ثم فتح بابا يشرف على قاعة مجاورة فرأوا نحو عشرين جنديا مجهزة بالسلح .

فنظر برسكايل الى توفيل فرأى علائم التهمك بادية بين عينيه وكذلك رفيقاء فقد فيها ذلك بدليل اصفرار وجوهها .

وقد قطب برسكايل حاجبيه وقال في نفسه .

انهم يراقبوننا وسنقتل الملك ثم يقبضون علينا دون شك .

وقد ذهب توفيل وساد سكوت الموت على الثلاثة ثم سمعوا أول دقة من دقائق ساعة القصر فجعلوا يعدونها حتى بلغت اثني عشرة دقة فهلمت قلوبهم من الرعب .

وعند ذلك سمعوا صوت الملك يناديهم ويقول :

ابن النساك ، ابن برنكايل اني أريد ان يعالجوني ، اريد أن أضحك .

فدخل رجل من رجال توفيل وقال لهم :

اسمعتم ؟

فاجابه برسكايل بصوت متلعثم قائلا :

نعم فهذا وقت الظهر .

— ان الملك يدعوكم فانهبوا اليه واضحكوه واخرجوا الشيطان منه .
ثم مشى الثلاثة بين الجنود الى غرفة الملك والحناجر بأيديهم .
وعند ذلك سمعوا صوتاً بعيداً خارجاً من غرفة اوديت .

وكذلك الملك فانه سمع هذا الصوت ايضاً ، فنهض عن كرسیه وأخذ
يصفي ويقول :

انهم يقاتلون في قصري .

ثم مشى الى الباب ، ولكن الباب فتح قبل ان يصل اليه ودخل منه
النسك الثلاثة .

يعجب قراء الروايات عادة حين يقرأون حكاية كثيرة الحوادث ويرون
ان جميع هذه الحوادث قد اجتمعت بعد تفرقتها وامتزجت في حين واحد
على مسرح تلك الرواية .

وقد عجب مؤلف هذه الرواية نفس عجب القراء من اجتماع كل حوادث
روايته في ساعة واحدة وهي ساعة الظهر ومسير جميع ابطالها كالملك
وهردى والساحر وايزابو والدوق دي بورجونيا واوديت ولورانس الى نقطة
واحدة ذلك عدا عن تونفيل وغلبيوم والنسك ولذلك رأى ان يبحث عن كل
عضو من اعضاء هذه الرواية على حدة كي لا يلتبس فهم هذه الحوادث على
القراء وهذا بيان ما كان يعمل هؤلاء الاعضاء في ساعة واحدة .

ايزابو دي بافير

لقد رأيناها دخلت الى قصر الملك وهي عازمة عزمها اكيداً على قتل
اوديت غير مكترثة لشيء من الاخطار فاما تفوز بقتلها أو تموت .

وكان أول من اقتبته حين دخلت الى القصر غليوم فارتابت لفورها بالدوق وحسبت انه اقامه هناك لحراسة اوديت فدنت منه وقالت له :
ماذا تعمل هنا ؟

- لست وحدي هنا يا سيدي بل نحن ثلاثون من البورجوازيين .
وقد غمز بعينه إشارة أنه يعلم بأن الملكة شريكة مولاة الدوق .
غير ان الملكة لم يقنعها هذا الجواب فقالت له بلهجة الغضب .
ماذا تعملون هنا في منزل اوديت دي شامديفر ؟
فتدعل غليوم وقال : اوديت ؟

ذلك انه لم يكن يعلم ان هذه البنائيات خاصة بالفتاة ولكنه رأى ان غضب الملكة عظيم وانها وضعت يدها على قبضة خنجر ، المحنى أمامها بله الاحترام وقال :

كلا يا سيدي انا في قصر الملك ونحن ممدقون به وقد حللنا قبسه محل حواسه .

فتهدت الملكة تنهد المتفرج وقالت في نفسها .

لقد نسي الدوق غرامه وأخذ يتم بالهدد ولكن بشرط ان يكون هذا الرجل صادقاً فيما يقول :

ثم قالت له : لا ننتقل من هذا المكان .

- هذا هو الأمر الذي تلقبته يا سيدي .

فارتعشت الملكة سروراً ومشت الى غرفة اوديت .

وكانت جميع الأبواب مفتوحة وليس هناك أحد من الحراس بحيث كان المنزل خالياً كما كان حين اطلقت النمرة .

وقد رأها اوديت دخلت اليها فجأة فذعرت منها أشد مما ذعرت من النمرة وايقنت انها قتيبة لا محالة فلم تفكر بوسيلة للنجاة بل وقفت تنتظر الموت .

أما الملكة فانها دنت منها وقالت لها :

قد التقينا أيضاً وجه لوجه بها وأنا أقول للمرة الثانية .

أتريدين ان تزهي من هنا ، أتريدين ان تدعي لي السلطة وحدي ،
أتريدين ان تتخلي عن الملك ؟

وقد عدت اوديت هذه الجملة الأخيرة اعظم اهانة لها فانفتحت ان تجيبها
عليها وضمت يديها الى صدرها وادارت وجهها .

فجردت ايزابو خنجرها وكانت ترتعش وقد اصفر وجهها واحمرت
عينها فقالت بصوت يتهدج .

اتريدين للتخلي عن هردي دي باسافان ؟

وكانت نبرات صوتها هذه المرة تدل على ان قلبها الذي كان يتكلم
لا لسانها .

أما اوديت فقد تلبثت فيها عواطف الحب عندما سمعت هردي فتصت
موقفها وقالت بصوت رقيق .

باسافان !

– نعم هو ذلك الذي تحبينه وأحبه فهل تتخلين عنه ؟

وعند ذلك سمعت ايزابو وقع خطوات في القاعة المجاورة فالتفت فرأت
الدوق دي بورجونيا قادماً .

اما اوديت فانها اجابتها بلاء السكينة فائتلة .
كيف تريدين ان تتخلي عنه وانا احبه .

فلم تكذب تم حملتها حتى انقضت عليها ايزابو بخنجرها وطعمتها طعنة
هائلة فصاحت اوديت صيحة ألم وسقطت على الأرض .

وعند ذلك دخل الدوق دي بورجونيا وامرغ راکضاً الى ايزابو .

الدوق دي بورجونيا

وأما الدوق فكان قد تبع الملكة واقتفى اثرها كما تقدم حتى وصل إلى حيث كان واقفاً عليهم .

وقد اراد عليهم ان يكله ولكنه دفعه بيده وسار الى غرفة اوديت وكان يتقدم وهو خائف ويقول في نفسه .

اني اذا انفذت الفتاة فان الملكة تذهب إلى الملك وتشي بي وتفضح امر المكيدة .

ولكن حبه لأوديت هوّن عليه الاخطار فقال: اني قد أتخّل عنها ولكني لا أريد أن تموت .

وقد اسرع عند ذلك إلى القاعة وسين تبليغ بأنها رأى اوديت قد سقطت صريعة إلى الأرض فصاح والذعر ملء قلبه قائلاً :

رباه أمانت ؟

فاستقبلته ايزابو بملء السكينة وقالت له :

نعم فان من أطمئه لا يجيى .

— اقتلها ؟

— نعم بحيث لم يبقَ حائل بيننا بعد ان قتلت التي تحبها .

فطاش رأس الدوق وجعل يسير بينة ويسرة ثم وقف امام اوديت ورأى الدم يسيل من صدرها فهاج قائم غضبه وجرده حسامه وهو يقول :

انك ما زلت قتلتها ..

فقال ايزابو في نفسها :

انه قاتلي لا محالة .

ولكن الدوق قبل ان يتم كلمته رأى ان احد ابواب هذه القاعة قد فتح

ودخل منه رجل مضطرب الوجه منقذ العينين لا يكاد يعرف لأخطاربه .
ولكن إزابه والدوق عرفاه في الحال وذعرا ذعراً عظيماً وصاح
كلاهما قائلين :

باسافان .. باسافان .

فأجابها هردي وكان هو الداخل .

نعم انا هو هردي دي باسافان .

ولا ندري إذا كان رأى أوديت صريمة على الأرض ولكنه عجم بحسامه
المسلول على الملكة .

فوثبت الملكة إلى الزاوية وصاحت قائلة :

أيها الدوق اني قتلت التي تحبها فاقتل الذي كنت احبه .

فانقض الدوق على هردي واشتبك السيفان .

أوديت

بعد ان أصيبت أوديت بطعنة خنجر إزابو صاحت تلك الصبيحة التي
سمعها الملك حين دخل اليه برسكايل وبراكابل وبرانكايل .

وقد ضاع رشدها لفور ولكن ذلك لم يدم طويلاً فانها كانت تسمع
اصواتاً وتبذل جهداً عنيفاً كي تتبين تلك الأصوات شأن المضطجع وهو بين
النوم واليقظة .

وكانت ملقبة على الأرض لا حراك لها والحياة تسيل من جسمها مع
ذلك الدم الذي يسيل من صدرها .

ولكنها مع ذلك كان الرشد يعود اليها قباحاً حتى عرفت صوت الرجلين
ويبقى ان تعلم ما يقولان .

فلم تستطع ان تعلم غير انها كانت تعلم من التبرات انها صوتا عدوين
يقتتلان .

ثم عرفت فجأة صاحي الصوتين فارتعشت حباً ورعباً .
وعند ذلك بذلت جهداً عنيفاً وفتحت عينيها فرأت هردي والنوق
فنهضت بمناء عظيم ولم تلبث ان وقفت حتى وهت قواها وسقطت .
ولكنها لم تسقط على الأرض بل شعرت ان يدها قد سقطتا على كتفين
وان رأسها قد انقلب على أحد الكتفين وقالت بضع كلمات .

هردي

وأما هردي فانه خرج من السجن يخفئه السجان حتى وصل الى قرب
قصر الملك فالتفت إلى سجن هيدرود الذي كان فيه فرأى الجنود عنده .
فقال له السجان : انهم قادمون اليك للسير بك الى ساحة الاعتصاب
وسيطعون قريباً بفراري وفرارك اما انا فذلك سيان عندي وأما انت .

فابتسم هردي وقال : ماذا يجري بي ؟

— انهم يقضون عليك فيقتلونك وابكيك ولكفي أقعزى مرور الزمن .
أما هي فانها إذا ماتت فلا أجد عزاء ولذلك لم اطلق سراحك من
اجلك بل من اجلها .

— ولماذا تحسب انها ستموت ؟

— لأنك اذا ماتت ماتت لا محالة وأنا على يقين من ذلك ألم أقل لك انها
حين كانت تأتي إلى السجن لم تكن تكلمني إلا عنك فهي لا تحب إلا بك
فاذا قتلتك لماذا يصيبها .

فكان هردي يسمع هذا الكلام كما يسمع المطروب الحاناً شجية .

ومضى السجان في حديثه فقال :

انك اذا عملت بنصحي وجب عليك ان تخرج الآن من قصر سانت بول
بطريق ارشدك اليها فتختبئ في مكان في باريس و ..
فقاطعه هردي قائلاً : اسكت .

وكانت الملكة عند ذلك قد مرت وحدها على مسافة عشرين متراً من موقفها فقال له السجان :

أرأيت : انك اذا دخلت القصر كنت من الهالكين .

فلم يحفل هردي بكلامه وقال : هلم بنا .

وقد حاول ان يندفع ولكن السجان قبض على ذراعه وقال له :

تعال . تعال . انظر إلى هذه الجهة .

فقال هردي : انه الدوق دي بورجونيا .

- بل هو الموت .

وكان الدوق قد دخل الى قصر الملك في اثر ايزابو .

فوضع هردي يده على جبينه وقال :

انها دخلت الى القصر ولا شك انها بنويان امرأ هائلاً .. ايزابو ..

الدوق .. اوديت .

وعند ذلك هاج هياجاً عصبياً وشعر كأنما اوديت تتاديه فقال :

« انها في خطر » .

ثم اندفع وثباً فتبعه السجان .

وقد بلغ قصر الملك ودخل اليه كأنما جميع تلك التأهيات التي اجرها

ايزابو لاخلد القصر انما فعلتها لخدمة هردي .

وكان السجان يقود خطواته إذ لم يكن عارفاً بما داخل القصر فسار أمامه

إلى المكان الذي تقع فيه اوديت .

حتى اذا انتهى الى حيث كان واقفاً غليوم قائلاً :

قف .. الى الراء .. رباه اني لا اصدق عيني انه هردي .

فصاح هردي قائلاً :

غليوم .

فوقف غليوم حائراً منزعجاً كأنما الشيطان قد ثقل له بصورة هردي .

أما هردي فإنه حين رآه اتقدت عيناه ببارق خفيف فجرد سيفه وقال له :

دافع عن نفسك اذا استطعت .

فلم تكن غير لحظة حتى اشتبك السيفان وجعل غليوم يقائل وينادي
الدوق تحذيراً له .

غير ان هردي لم يهله وطعنه تلك الطعنة الهائلة التي طعن بها رفيقيه من
قبل وهو يقول :

لم يبق حياً من عصابتكم غير زعيمكم لونغيل .
فسقط غليوم قتيلاً .

فصاح هردي بأعلى صوته قائلاً :

هردي : هردي دي باسافان .

وانما فعل ذلك كي يصل صوته الى اوديت فتعلم انه جاء لتجديتها .

ثم وثب الى الباب فرفسه برجله ومشى الى الدوق دي بروجونيا وسيفه
مجرد بيده وهو غضب بالدم .

وقد جرى بينها حديث منقطع وانقض كل منهما على الآخر .

وكان الدوق من مشاهير الابطال الجريين في ذلك العهد فجعل يحمل على
هردي حملات منكرة وقد احمرت عيناه وظهرت فيها ارادة القتل .

فمرت دقيقة كان يريق العيون فيها أشد من يريق السيوف وكان هردي
يشبه الصاعقة بانقضاضه ولا سوا حين رأى اوديت ملقبة على الارض فانه

صاح صيحة منكرة وهجم على الدوق هجوماً القضاء المبرم .

فجعل الدوق يقراجع مدافعاً حتى بلغ الجدار .

وعند ذلك جعلت ايزابو تتقدم وخنجرها بيدها حتى وصلت الى هردي

وهو مشتغل عنها بالدوق ورفعت يدها الاثيمة بذلك الخنجر الذي طمعت به
اوديت وانقضت به على هردي من الوراء وهي تقول :

مت كما ماتت التي تحبها .

ولكنها لم تستطع ان تطعنه فان بدأ من الحديد قد قبضت عليها
وارجعتها الوراء .

فالتفت الملكة وهي لا تمي لغضبها فرأت ان القابض عليها كان السجان .

وقد جرّها جرأ الى آخر القاعة وقال لها بلهجة احترام .

سيدتي دعيه بقتله او اقتلتك .

وفي تلك اللحظة كان السيف قد طار من يد الدوق وشعر انه لم يبق
بينه وبين الموت غير لحظة ورأى سيف هردي قد برق وانه سينفذ إلى قلبه .
غير ان سيف هردي بقي واقفاً في مكانه من الفضاء وقد دهش دهشاً
عظيماً إذ رأى يدي اوديت تطوقان عنقه وسمع صوتها يقول :
هردي .. هردي .. دعني أموت ولكن لا تقتل أبي .

الملك الثلاثة

تقدم لنا القول ان برسكايل ورفيقه دخلوا الى قاعة الملك بغية قتله .
وكان تونفيل واقفاً وراء باب هذه القاعة يراقب ومعه فريق من رجاله .
أما الثلاثة فانهم دخلوا إلى الملك دخول القانطين إذ أيقنوا انه لا بد لهم
من قتل الملك فكان منظر برسكايل هائلاً وكانت هيئة براكايل تدل على
الغشوط ، أما برانكايل فانه كان يبكي .

وأما الملك فانه ذعر لما تبينه في وجوههم وصاح صيحة رعب وقال :
لماذا هذه الحماجر في ايديكم ؟

وفي تلك اللحظة كان هردي قد قتل غليوم وصاح كي يبلغ صوته الى
مسامع اوديت قائلاً :

هردي ، هردي دي باسافان .

فبهت الثلاثة لهذا الصوت الذي وصل إلى مسامعهم ايضاً وقال برنكايل .
انه هو بعينه .

أما الملك فانه قال لهم .

ماذا تريدون مني .. إليّ إليّ .. إليّ .. انهم يريدون قتلي .

وأعاد هردي ذكر اسمه ايضاً فقال برنكايل .

انه يتأدينا .. ألا تسمعون ؟

فقال براكايل .

انه حين بدعونا لا نعرف سيداً سواه .

وقال برسكايل :

هلوا بنا .

فداروا دورة في القاعة واندفعوا خارجين .

وقد رآهم الملك انفضوا عليه ثم رآهم تواروا عنه فوقف حائراً مبهوتاً

يحبب نفسه اصيب بكابوس الذائم .

أما الثلاثة فانهم وثبوا الى الجهة التي خرج منها الصوت ، أي أنهم خرجوا

من الباب المقابل الذي كان تونفيل ورجاله وراءه وساروا راكضين حتى

انتهوا الى القاعة التي كان فيها هردي فرأوا ما كان يجري .

موت الملك المجنون

ومع ذلك فان تونفيل كان يصفي من وراء الباب ويرى بعين السمع تلك

المركبة التي كانت تجري بين الملك وقتليه وهو يسبح عرق جبينه من حين

الى حين ويقول في نفسه :

انه يدافع غير دفاع وأخشى أن يظفروا به ثم الصق اذنه بالباب وجعل

يصفي اتم الأصفاء .

أما الملك فانه بعد ان خرج الثلاثة من قاعته تلبية لصوت هردي وقف

حائراً منزعجاً مبهوتاً ثم هاج جنونه فضيل له ان اولئك الثلاثة لا يزالون

هاجمين عليه يريدون قتله فأخذ يصيح مستغيثاً مستنجداً وهو يقاتل تلك

الخيالات لأنه لم يعلم انهم يريدون قتله إلا بعد انصرافهم ولم يكن يراهم ولكنه

كان يرى نظراتهم الدموية وخناجرهم المسنونة فوقف وقال لهم وهو يعتقد

انه يخاطبهم .

انكم تريدون اضحاكي أليس كذلك ؟

ثم استولى عليه الرعب واشتد به الجنون فجعل يدور في تلك القاعة

كالطير الجريح والزبد يخرج من فمه .

الى ان وثب الى زاوية القاعة أي انه اهتمد عن النساك فوقف في تلك

القاعة والخنجر مجرد بيده .

وهناك بدأت المعركة فخيّل له ان الثلاثة هجموا عليه يريدون قتله وسمع
برسكايل يقول له :

ألا ترى اني شيطان غايات منس .

وسمع براكايل يقول :

لنخنقه خنقاً فقد ازعجنا صباحه .

وسمع برنكايل يقول :

لندغدغه حتى يموت ضاحكاً فانه يحب الضحك .

فجعل يصيح قائلاً :

إني ، إني ، إني ، اني الملك .. انهم يقتلون الملك .. يا رئيس الحراس ويا أجا

الجنود ويا ايها الاشباح .. إني .. إني .. إني أيها الخائنون من الذي ينقدكم

رواتبكم .. انكم تخافون ان تطعنوا الملك .. نعم إني الملك ولكني ملك

القتال وسوف ترون .

وكان تونفيل يسمع هذه الأقوال من وراء الباب ويحسب ان القتال

ناشب حقيقة بين الملك والثلاثة .

أما الملك فانه هز خنجره بيده بعد ان قال هذا القول وهجم فجعل

يطعن به الهواء ينة ويسرة وهو يحسب ان الدماء ققطر من خنجره ويسكو

بخمرة الانتصار .

وقد أخذ يدور في تلك القاعة كحجر الطحن فيعثر الأثاث وقلب الموائد

وكسر الكراسي .

الى ان خيل له ان برانكايل قد قبض عليه من وراء فأفلت منه بعنف

وقبض على رجله فجذبته وقلبه وجعل يديره بالفضاء وبرنكايل يصيح

فتهيج اعصاب الملك ويقول :

اضحك ايها الأبله فانه ضحك الموت ثم جلد برأسه الارض فتحطم

برنكايل وكان قد استحال إلى كرسي .

ولكنه لم يلبث ان فلك ببرنكايل حتى أخذ يصيح صيحات رعب منكرة

ذلك انه رأى برسكايل وبركايل قد هجما عليه بخنجرهما وجعلا يطمئنان صدره .

ثم رأى برنكابيل قد نهض وهو منفلق الرأس واستحال دم رأسه الى طيب
كان يمتد لسانه اليه فيحرقه .

وهنا جعل يصيح صيحات هائلة فيقول :

الي انهم يحرقوني .. اني في جهنم .. الي أينها الاشباح .. الملك ، لقد
قلت لكم انهم يقتلون الملك .

وعند ذلك سقط على الارض بين الموائد والكراسي والاثاث المتبعثر
ونظر فرأى النساك الثلاثة قد رفعوا خناجرهم يريدون طعنه بها ، ولكنه
رأى تلك الخناجر قد استحال الى افاعي وأن هذه الافاعي قد دبت اليه
بيطه فصاح قائلاً :

لقد مت .

ثم جف صوته واغمى عليه .

ولم يعد توفيل يسمع حساً فأصغى هنيهة ايضاً ، ثم قال لرجاله :

لقد قضى الأمر ومات الملك .

فقال بعضهم بلهجة صادقة : رحمة الله ، ورسم الجميع علامة الصليب

على وجوههم .

أما توفيل فإنه فتح الباب برفق واطل منه منذراً كأنه يخاف سكون
الموت ورأى الاثاث المتبعثر في القاعة ، ثم رأى الملك على الأرض في زاوية
مظلمة وهو منبطح ويده فوق صدره .

ولكنه لم ير الثلاثة فقال :

تري أين ذهبوا ؟

ثم رأى باب القاعة الآخر مفتوحاً فقال :

لقد عرف الحبيثاء مصيرهم فهربوا من هذا الباب ولكنهم لا يستطيعون
الفرار فان حراسنا يخفرون جميع منافذ القصر .

وقد حاول توفيل عند ذلك أن يدخل الى قاعة الملك ، ولكنه لم
يحسر وتراجع منذراً خائفاً من الدنو من ذلك الميت فان هذا الميت كان

صاحب الجلالة ، والسلطة المطلقة ، والقداية ، فان الملوك كانوا مقدسين في ذلك العهد .

فاقتل الباب برفق كما فتحه ، ثم اقله بالمفتاح وقال لرجاله :
هلوا نخبر مولانا الدوق ان الملك قد مات .

على ان توفيل لوعاد بعد عشر دقائق الى هذه القاعة لرأى الملك جالساً على الارض يلاعب نفسه بالورق ويقول :
أين جاكين المصوراتي اريد ان اريه هذه اللعبة التي اخترعتها .

٦٦

روزالي

لقد وضعنا عمل كل عضو من أعضاء هذه الرواية عندما دعا الظهر بحيث كانوا يشبهون أولئك الممثلين الذين يعملون بالسينما .
ولكن آلة السينما لها من يحركها فكانت ساعات باريس المؤذنة بالظهر تحرك هذه الآلة .

وقد سادت السكينة في ساحة الاعتصاب وتجمهر الناس في تلك الساحة حول المشنقة وجعل كابوش حليف الدوق وزعم العامة يسير ذهاباً وإياباً وهو مضطرب الاعتصاب ينتظر ساعة العمل .

وكان شافليت صديق هاردي واقفاً في أول الصفوف ينتظر ويثقل له حبه لهاردي انه يستطيع ان يفتك بجميع هذه الجماهير لانقاذ صديقه .
وتفرقت العصابات في جميع أنحاء باريس ، وكلهم ينتظرون الاشارة الاخيرة وهي دق جرس نوردام .

٥٤٦

ففي الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم كان ساتان قد دخل الى غرفة لورانس والدة روزالي في منزل هرمين .

وكانت لورانس هناك فرأت ساتان واضطربت كما يضطرب الحيوان السجين امام روضه وحاولت الفرار ولكنها شعرت انها لا تستطيعه وان نظرة واحدة من الساحر كافية لاکراهها على الامتثال .

أما هرمين فانها حين دخل الساحر الى حنة (لورانس) صلت صلاة موجزة ، ثم دخلت فوفقت بينه وبينها وقالت له :

اني اعرف من أنت فاني كنت أراك مراراً تتر في هذا الشارع حين هبوط الظلام بردائك الأحمر لتعذب الأحياء فأخافك واهرب منك ، كما كان يهرب مثلي كثيرون من الرجال .

ذلك لأن جميع الناس يعرفون مقدار سلطتك ويطعون اتصالك بإرباب الحكم ، ولولا ذلك لما تركوك تخطو في الشوارع والأسواق ، لتعذيب المسيحين .

أما أنا فاني لم اعد أخافك الآن فقل لي ماذا تريد من حنة ؟

انها صديقتي وقد حكمت لي كل ما جرى لها فهي تعرف الحياطة والتطريز والقراءة والكتابة وكل ذلك يدل على انها من النبيلات .

غير انك أردت ان تجعلها في منزلي ، فلماذا ؟

وهنا توقفت عن الكلام وهي معجبة بنفسها كيف انها تجاسرت على ان تقول للساحر هذا القول .

وكان ساتان يصفي الى حديثها وهو يتنسم فقالت :

انك أردت انزالها الى الدرك الأسفل واقتها في شارع المومسات ولكنها

لم تقم في ذلك الشارع بل لقتني واقامت معي ، فاذا تريد منها الآن ؟

قال : اني أريد انقاذها ورد حقوقها اليها ولا استطيع ذلك إلا بعد ان أرد اليها ذاكرتها فتعلم من هي .

- تعيد ذاكرتها ؟

- انك لا تفهمين ذلك ولا يتسع وقتي لافهامك فاذا اردت نجاة صديقك فلا تعجيني .

- كيف ازعجك اذا كنت تريد نجاتها ؟

- اذنت ، ايقني ، ولكن احذري ان تقولي كلمة ، أو تشيرني إشارة واقيمي في هذه الزاوية ، واعلمي انك اذا فهِت بكلمة لا اكون مسؤولاً عن ذاكرتها .

- ذاكرتها .. ربه ، ماذا تريد ان تصنع ؟

وصاحت لورانس قائلة :

هرمين .. هرمين لا تتركيني .

فأخذ ساتان يد هرمين بمنف وذهب بها الى زاوية الغرفة فقال لها :

اجلسي هنا واذكري ان أقل كلمة تبدو منك حين أكلّمها تقتلها أو تجعلها

مجنونة لا شفاء لها ، فاذا كنت تحبين هذه المنكودة فاهلمي بما اقوله لك .

فامتثلت هرمين لأمره وعاد ساتان الى لورانس فقال لها :

أي لورانس دي ابريم ماذا تصنعين هنا وروزالي تنتظرك وقد عوك ؟

فلاحظت هرمين ان لورانس قد هدأ رعبها حين كلمها الساحر ، وجعلت

تنظر اليه منذهلة ، ثم قالت كل ما تلقفته ، كما يتلقن التلميذ الأمثلة .

انك تعلم يقيناً اني أدعى حنة والي اعيش وحدي وسل جميع سكان

الشارع يخبروك اني اقم في هذا الشارع منذ اثنتي عشر عاماً .

فدنا ساتان منها وضغط على رأسها ضغطاً خفيفاً عدة مرات ، ثم اخذ

يديها بين ذراعيه وقال لها :

انظري الى ما حوليك وانتبهي .. ماذا ترىين وأين أنت ؟

- اني في منزلي .

فقال لها بلهجة الأمر :

كلا ، بل أنت في منزل باسافان انظري ، ماذا حدث ولا تكذبي .

فارتعشت واصطكت اسنانها ، واصيبت هرمين برعب شديد شغلها عن

الصلاة ، وسال العرق من جبين ساتان لفرط ما بذله من الجهد فزاد الضغط على يديها فصاحت صبيحة رعب وقالت :

اني اثنتان في واحدة فأنا لورانس وأنا حنة .

- كلا ، بل أنت لورانس فقط .

- كلا ، اني اثنتان .

فحدق بها ساتان تحديقاً طويلاً ، ثم اخرج زجاجة من جيبه وقال لها : اشربي ما في هذه الزجاجة .

فامتثلت لورانس وشربتها للعال .

فقال لها : انت روزالي تنتظرك وتدعوك ، ألا تريدن ان ترى بنتك

يا لورانس دي ايزم .. بنتك روزالي .

روزالي ؟

وقد عادت اليها ذاكرتها بضعف وانجلت لها الأشياء كما تنجلي على نور ضيف فقالت بانفعال عظيم :

روزالي .

- نعم ، فهنا منزل بارافان ، وهنا الغرفة التي تحولت الى هيكل ، وهنا

احتفل بزواج لورانس دي ايزم بيجان دي بروجونيا .

اما الكاهن الذي عقد الزواج والشهود مضوه فقد ماتوا جميعهم ولم يبق غير شاهد واحد .

وكانت لورانس تصفي الى اقواله بانلباسه تام ، فكانت تؤثر عليها

أعظم تأثير .

ولم يكن غرض ساتان ان يعيد اليها الصواب فانها لم تكن مجنونة ولكنه

كان يريد تحويل ذاكرتها من طور الى طور .

وقد اشربها ذلك الشراب الذي سقاها إياه . وذلك رأسها وحدق بعينيها

فاتم ذلك التحويل واستمر في حديثه فقال :

نعم ، وهنا سفنك الملكة ايزامو ذلك الشراب ، وهنا طعنك عشيقك

بذلك الخنجر ، وهنا افترقت عن بنتك روزالي .

فأبين هي بنتك الآن .. ان روزالي تدعوك وأنت لورانس دي ايزيم
تترددين بالقهاب اليها ؟

فعضت لورانس يدها وقالت :

اني لا اتردد ولكني لا أعلم .

- ألا تعلمين الآن ان لك بنتاً ؟

- نعم ، نعم ، واعلم انها تدعي روزالي .

- ماذا جرى لحنة .. تكلمي بجرية .. اني انقذتك من قبل واستطيع

إنقاذك الآن فقبولي الحقيقة عن حنة التي عرفتها زمناً طويلاً ، فاني أريد
أن أراها .

- كلا ، فاني لا اعرف في حياتي تلك المرأة التي تكلمني عنها .

فصاحت هرمين التي كانت تسمع الحديث صيحة رعب وسقطت جاثية

على ركبتيها ونظرت الى أبقونة للعذراء فجعلت تصلي بصوت مرتفع .

فنظر اليها ساتان وقال لها بلهجة فرح عظيم :

ارغمي صوتك الآن قدر ما تشائين .

أما لورانس فاتها لم تصل بل جعلت تنظر منذهلة الى كل من يتحدث بها .

وقد نسيت أمم الذبيان انها حنة ، وباتت تعجب من وجودها في هذا

المكان .

فقال لها ساتان :

أعرفت الآن من أنت ؟

فأخذت تبكي بكاءً غزيراً ، ثم قالت :

ان اسمي عنوان الشقاء ، فلماذا تسألني عنه وأنت تعلم يقيناً اني ادعى

لورانس دي ايزيم .

نعم ، اعلم ان لي بنتاً ، ولكنها ماتت ، فلماذا تثير اشجانني ؟

وقد جعلت تشفق بالبكاء كأنها تلفت في تلك الساعة خبر موت

بنتها ثم تقول :

أنت تعلم يقيناً ان بنتي قد ماتت ، فلماذا ..

وقد سكنت دون ان تم جلستها ، فقال لها ساتان :

أتحبين إذن بنتك روزالي ؟

فصاحت صيحة منكورة فأثا رأته بفتها قصد ماتت الآن أمامها وذلك
انها باتت تحبها في تلك الساعة ، كما كانت تحبها منذ اثني عشر عاماً فأثا حين
ردت اليها ذاكرتها عادت الى ذلك العهد الذي فقدتها فيه .

وعند ذلك قال لها ساتان :

لقد خدعوك يا لورانس فان روزالي لم تمت ولكنها في خطر وهي تدعوك

فهل تريدن إنقاذها ؟

فأجابته بلهجة الواهبة قائلة :

هلم بنا . لتركض اليها .

- اصغ اليّ هنيئة فانك لا تستطيعين إنقاذ بنتك إلا اذا قتلت عشيقك ،

فهل تقبلين ؟

فأجابته بلهجة وحشية قائلة :

أعطني سلاحاً .

- خذي .

فتراجعت لورانس منزعورة وكرّمت ذلك الساحر الذي لم يذهب بها الى

ابنتها ولغزته بها ، فانه بدلاً من ان يقدم لها سلاحاً أعطاهها ورقة فنظرت

ليه نظرة إنكار وقالت له :

أهذه الورقة تريد ان تقتل جان دي بورجونيا ؟ .. احذر ايها الرجل ،

فانك لا تعلم ماذا تستطيع ان تفعله ام هاتجة .

- بل اعلم ولذلك وثقت بك ، فاصفي اليّ بله جوارحك فان الوقت

ضيق والدقائق معدودة .

ان عشيقك اليوم اصبح سيد باريس وسيد قصر سانت بول .

- هذه هي أمانيه القديمة .

- إذن لقد عادت اليك ذاكرتك يحملتها ما زلت تذكرين آماله .. نعم

هذه هي آماله وقد تحققت فبسات السيد المطلق وغصت شوارع باريس
بالمصابات .

– وانه لم يؤلفها إلا لسفك الدماء .

– هو ذاك ولكن له شريكه .

فارتعدت لورنس وقالت :

نعم ايزابو .. الملكة .

– هو ما تقولين ، أما وقد عرفت هذا فاعلمي الآن ان بنتك روزالي

تقيم في قصر سانت بول ، وستعلمين كيف دخلت القصر ولماذا تقيم فيه

أما الذي يجب ان تعلميه في هذه الساعة فهو ان ايزابو تكورهاها وقد
اشترطت على جان دي بورجونيا ان لا تلبسه التاج إلا اذا قتل روزالي .

– هلم بنا ، هلم بنا .

فقبض سائان على يدعها كي يمنعها عن السير وقال لها :

ماذا تصنعين؟ اتريدين قتل الدوق دي بورجونيا وهو بين جنده ورجاله؟

وإذا وصلت اليه أتحمسين ان خنجرك يخرق دبره ؟

– تعال .. تعال لعنة الله عليه وعلى الملكة ، تعالي ، فإذا ماتت بنسي

تعزيت بالموت معها .

– ولكنك تستطعين إنقاذها بهذه الورقة فافترأها .

فأخذت لورنس الصك وجعلت تقرأ والدموع تسيل من عينيها وهي

ترتجف حتى إذا أتمت تلاوته قال لها :

ان جان دي بورجونيا أحرق جميع الأوراق في منزل باسافان حين تحول

إلى هيكل ولكنه لم يظفر بهذا الشك .

وإني حين رأيتك طعينة مقلبة على الأرض حملتك والدماء تسيل من

صدرك ان منزلي فعمرت وأنا احاول حملك بهذا الصك الذي كان طرف ثوبك

خوفه فلم يره جان .

انه صك زواجك يجان دي بورجونيا وهو قانوني وعليه توقيع الزوج

والزوجة والكاهن والشهود والملكة ، أتملين انك تستطيعين قتل الدوق دي بورجونيا هذا الصك ؟

ان زوج مرغريت دي هينوت حين وقع عليه ارتكب جناية يعاقبه عليها الشرع كما يعاقب قاتل امه وأبيه ، فهل تريدن له هذا العقاب وفيه إنقاذ بنتك ؟

فامتثلت وخرج الاثنان فذهبا قوا الى قصر سانت بول . وهناك أخذ بيدها وسار بها في طريق خفية تؤدي الى قاعة اوديت دي شامديفر .

وهناك كانت في إحدى زوايا تلك القاعة ملكة فرنسا العظيمة التي كان الملك نفسه لا يدانيها بمظمتها أسيرة بسد السجان وقد امتنع لونها حتى باتت كالأموات لا يسا حين قال لها ذلك السجان .

دعيه يفعل بإسدي الملكة او اضطر الى قتلك . وفي وسط القاعة ثلاثة رجال ينظرون مبهورين منذهلين لا يستطيعون ان يفهموا شيئاً مما يرون .

وكان هؤلاء الثلاثة برسكايل وبراكاييل وبرنكايل ، فانهم دخلوا الى القاعة دخول التيار الزاخر ولكنهم وقفوا عند دخولهم على ما وصفناهم به من الانذهال .

وفي آخر القاعة هاردي والدوق وكلاهما منذهل مبهور لما سمعه من اوديت حين قالت :

باسافان لا تقتله انه ابني .

وقد نظر هاردي الى والد اوديت نظرة مؤثرة ثم ألقى سيفه الى الأرض ووقف امام الدوق كأنه يقول له :

اقتلني فلا أقتل والد التي أحبها .

ثم أخذ اوديت بين يديه وألقاها برفق الى مقعد وركع امامها ثم لم يعد يشعر بشيء في هذا الوجود .

وكان الدوق ينظر الى ذلك وقد اختلطت افكاره واصيب بذهول
عجيب وكان يوسعه ان يقتل هاردي في تلك الساعة غير ان عينيه كانتا
شاخصتين الى اوديت وهو يقول في نفسه .

أهي ابنتي ؟ أحق ما سمعت ؟

وفيا هو على ذلك تراجع منذعراً وقد اتسمت حدقتاه ، ونظر الى
الباب فقال :

هذه هي الأم ، بل هذا خيالها .

أما لورانس فانها دخلت والهة وهي تصيح قائلة :

روزالي !

فقال لها سائتان :

هذه هي ابنتك ، وهذا هو الدوق الذي قتلها .

وصاح هاردي قائلاً :

روزالي !

وكانت لورانس قد جثت على ركبتيها فوقف هاردي ولم يبك بل كانت

تدل هيئته على انه غير حزين .

ولكن ذلك لم يكن غير بضع ثوان فان صوته تهيج بالبكاء فقد علم انه

كان يحب روزالي بأوديت وان كليتها واحدة فجعل يسير في القاعة كالجائنين

وبشيراى الدوق فيقول :

انه ابوها : ان هذا الرجل الذي قتلها ابوها .. اصغوا الي ايها الناس .

ان الدوق دي بورجونيا قتل بنته وانا لا يحق لي ان انتقم لها .

وقد ضاعت بقية كلامه بشهقة .

اما الدوق فانه لم يكن يرى غير ذلك الخيال ، خيال لورنس .. لورنس

تلك التي قتلها وهو يراها الآن أمام عينيه كما كانت منذ اثني عشر عاماً

دون ان تتغير تغيراً يذكر .

اما لورنس فانها لم تكن قالت غير كلمة واحدة وهي :

روزالي .

وقد ركعت أمام بنتها وطوقتها بذراعها وجعلت تتمعن في وجهها ، ثم قالت بلهجة لم يفهما غير هاردي :

نعم انها بنتي

اما الدوق فقد رآها كأنها تستشير نفسها في ما يجب ان تفعله ، ثم رآها قد حملت بنتها فجأة بين يديها دون ان يظفر عليها شيء من العناء ومشت بها الى القاعة يخفها سالان .

الى ان بلغت آخرها ، وهناك برسكايل ورفيقاه ، فقال لهم سالان : افسحوا مكاناً .

فابتعدوا بمثلين ، وخرجت لورنس باينتها يتبعها الساحر وهي تحمل بنتها روزالي جريئة ضائعة الرشد وربما كانت ميتة .

وأما ايزابو فانها حين رأتها خرجت بها . أنت اذنين المومع وحاولت ان تذهب في أثرها ولكنها وجدت ان السجنان لا يزال قابضاً عليها فكادت تحن من التعب والقهر .

وأما هاردي فانه التقط سيفه عن الارض والتفت الى برسكايل ورفيقه دون ان تعجب لوجودهم ، فقال لهم : اتبعوني .

ثم التفت الى السجنان وقال له :

دع هذه المرأة واتبعني .

فأطلق السجنان سراحها ومشى الأربعة مع هاردي .

وعند ذلك صاح الدوق منادياً غليوم وتونفيل .

وصاحت الملكة قائلة :

إينا البنا .. ادركوا الملكة .

ففتحت الأبواب كلها ، ولم تكن غير لحظة حتى غصت تلك القاعة بالجنود

والحراس يتقدمهم تونفيل .

فقال تونفيل : ليبق إثنا عشر لحراسة الدوق ومثلهم لحراسة الملكة

وعفرا بنا لطاردة القتلى .

فقال الملكة بصوت يرتجف من الغضب :

اقبضوا اولاً على هذه المرأة .

وكان ساغان ولورنس قد مرا بالقاعة المجاورة فانقض تونفيل ورفاقه

والتفتوا بهاردي وأصحابه ، فالتفت هاردي الى ساغان وقال :

أنقذها ، أنقذها ، فاننا لا نستطيع مراقبتكم .. الوداع يا لورنس ،

الوداع يا روزالي

٦٨

المشقة

واشتغل رجال تونفيل بهاردي وجماعته وسار الساحر بلورنس الى حدائق

القصر وخرج بها من باب خفي الى الشارع وهو يقول :

لقد نجح الدوق دي بورجونيا مني ، وأسفاه فان صك الزواج لم ينفذ

هذه المرة .

ولكن كيف السبيل الى تغيير مجرى ذلك التيسار الذي يدفع الأم الى

إنقاذ ابنتها ؟

وعند ذلك نظر الى لورنس فشعر لأول مرة في حياته بمعاطفه إعجاب ،

فانها كانت على ضعف بنيتها قد اجتازت مسافة بعيدة وهي تحمل بين يديها

الصبية دون ان يبدو عليها شيء من علامات التعب .

اما لورنس فقد كانت تسير الى الأمام لا تتوي على شيء وتضم بنتها الى

صدرها برفق عظيم حذراً من ان تصيبها بسوء وهي لا تعلم الى أين تسير ..

الى ان ادركها الساحر فوضع يده على كتفها وقال لها :

أليس الأفضل ان تدخل الى احد هذه المنازل فنضع فيه الفتاة ؟

فلم تجبه لورنس وواصلت سيرها .

فقال لها ساتان :

ألا تمرين ان نضعها في مركبة ثم نذهب بها الى حيث تشائين ؟
فلم تحفل بقوله كأنها لم تسمعه وواصلت السير ..

فقال إيقافها فقال لها :

اصفي لي فان المدينة غاصة بالعصابات . انظري الى اولئك الرجال
المسلحين كيف ينظرون اليك وكلهم مدججون بالسلاح وهم يعجبون من انهم
يروك تحملين مينة

فقال بصوت أبح :

من هذا الذي يقول ان ابنتي مينة ؟

قال : كوني حكيمة عاقلة فانهم سوف يقبضون عليك .

قالت : من يجسر على ذلك ؟

ثم وقفت ونظرت بعينين داميتين الى اولئك الجموع الذين أشار اليهم
ساتان نظرات تعجيز كأنها تعجز باريس بحملتها .

وكان في تلك النظرات من الجلال والسلطان والقوى الساحرة ما دهش
له الساحر فقال :

نعم لا يجسر احد ان يتصدى لأم تنفذ بنتها .

وواصلت لورنس سيرها وتمت تلك الاعجوبة فلم يدن احد منها ولم
يعترض احد سبيلها بل كانت العصابات تفسح لها الطريق ، وقد علم النساء
موقفها فكان يرسمن علامة الصليب على وجوههن ويبيكين ، ولم تشمر لورنس
بشيء من الضعف واستمرت على سيرها .

وما زالت على ذلك حتى وقفت عند باب منزل مهجور تكسرت ابوابه
فكان يشبه قلعة حوصرت ..

وكان هذا المنزل منزل باسافان ، وقد سارت لورنس بالسليقة الى ذلك
المنزل الذي اقامت فيه زمان حداتها ، وكانت فيه سعيدة مع بنتها
روزالي .

ثم دخلت دون تردد وصعدت الى السلم ودخلت منه الى تلك الغرفة التي كانت تبني فيها .

وكان مهد روزالي لا يزال في موضعه والاث الغرفة لا يزال كما كان ولكن الغبار كان يغطيه كساتر ااث المنزل .

فوضعت لورانس بنتها على السرير وخاضت في لجة اليأس .

أما الساحر فإنه إندفع راكضاً الى منزله ففتح خزائنه الحديدية واخذ منها خمس زجاجات مختلفة ، ثم برح المنزل مسرعاً الى هرمين فناداها وعاد بها الى منزل باسافان فلقى لورانس لا تزال في موقفها بجانب السرير وعيناها محددتان بوجه روزالي دون ان تبكي .

ولكنها كانت من حين الى حين ترفع الشعر الذهبي الذي كان يغطي جبته بنتها وتقبل ذلك الجبين الطاهر بمنتهى الرفق كما كانت تفعل حين كانت تريد إيقافها وهي طفلة .

أما سالان فإنه دعا من لورانس وأمسك ذراعها .

فالتفت وقالت له :

ماذا تريد مني دعني أحرس ابنتي .

فأجابها بلهجة الأمر قائلاً :

كفى ، أتريدن ان تموت ابنتك ، أم تريدن ان تحبني ؟ فإذا اردت لها

الموت ذهبت عنها ، وإذا اردت لها الحياة فدعيني افعل ما اشاء .

ـ أتألني اذا كنت اريد لها الحياة ؟

ثم ركعت امام الساحر وبسطت يديها كما كانت تفعل في حدادتها حين تركع

امام مثال المسيح .

وعند ذلك سألت الدموع من عينيها حتى روت بها الأرض ، وقالت :

من أنت ؟ انك كنت شيطاناً لي فكيف ملاكاً لأبنتي واني اغفر لك ، بل

أباركك على ما أسأت به اليّ ، وعن كل عذاب لقيته منك في ما مر بي من

الأعوام بل اني أعبدك .

ولكن بنتي .. انقذ بنتي أو اقتلني ، أو اجعلني خادمة لك اخذمك
والبركك ما حبيت .

قال : قبي ودعيني افعل فاني استطيع إنقاذ بنتك واريد إنقاذها ولكن
يجب لأجل ذلك ان تنديسي بلباس الشجاعة .

- ماذا يجب ان اصنع .. قل اني لا اخالف لك أمراً .

- أريد ان تنهي فان صديقك هرمين معي وهي تساعدني .

- كيف اذهب أملك مجنون ؟

- نعم ، يجب ان تنهي .. اصفي الي أملك في حالة من الرشد تستطيعين

بها الأصفاء الي .

فقطرت لورانس الي ابنتها كأنها تلمس من وجهها قوة لسام الحديث .

ثم التفتت الي ساتان وقالت :

نعم ، اني راشدة ولكني اخاف ان يضيع رشادي فقل ما تشاء قوله ،

واعلم يقيناً انك لا تستطيع إقناعي بان ابنتي لا تنجو إلا اذا فارقتها .

قال : اني امنتك بمواطنك الحنونة الراقية ولكن انظري الي صديقك

هرمين ألا تثقين بها :

فتقدمت هرمين منها وهي مفرورقة العينين بالدموع وقالت :

اني أقديك بحياتي .

فقال لورانس : وأنا احبك حب اخت ولا احد فنتقي بك .

فقال ساتان : اذا كان ذلك فانك تقبلين ان تنوب عنك بضع ساعات في

حراسة بنتك واذا وضيت فاني اضمن لك شفاهها من جراحها .

واعلمي يقيناً ان ابنتك في خطر الموت ولكن هذا الخطر غير محقق بها

الآن بل يكون حين شفائها .

- ماذا تقول :

- أقول ان روزالي تشفى ولكن حين تشفى تسألك عن الذي تحبه .

- من الذي تحبه ؟ ومن هذا الذي تحبه ؟

- هو ذلك الذي احبته منذ حدثتها ، وكانت وإياه في دور طفولتها

ذلك الذي انقذها حين كانت طفلة من نهر السين، ثم انقذها حين باتت صبية من ايزابو .

فضمت لورانس يديها وقالت بلمحة المعجب :
هاردي .. هاردي باسافان .

- نعم ، هو هاردي فإنه حين يمسود اليها رشدعا وتساءلك عن هاردي وتعلم انه مات تجسدن انها تموت بين ذراعيك موقاً بطيئاً دون ان تستطيع قبيلتك رد الحياة اليها .

فشعرت المنكودة ان الجنون سيمود اليها وبذلت جهداً عنيفاً كي تتمكن من حفظ هداها ، ثم قالت له :

ألعل هاردي في خطر الموت ؟

- نعم ، وأنت وحدك تستطيعين إنقاذه .

- كيف لا اريد إنقاذه ؟ قل أين هو ؟ وماذا يجب ان اصنع ؟
فقال الساحر في نفسه :

أيا الدوق دي بورجونيا لقد دنت ساعتك .
ثم قال لها :

اني لا استطيع الانتقال من هنا لأنني أريد ان ادافع الموت الخيم فوق هذا السرير

فعلي ان أحبي بنتك وعليك ان تحبي هاردي ومن أجل ذلك يجب ان تعطي يد الدوق الذي يريد قتله .

- ومن الذي يريد قتله ؟

- جان دي بورجونيا ، جان الذي لا يخاف .

فأطرقت لورانس برأسها واصفر وجهها حتى باتت كالأموات ، واخذت تتمتم بأقوال لا تفهم .

فأخذ ساتان يدها بين يديه ، وقال لها كأنه قد قرأ افكارها :

لا تنهي نفسك ، ولا تقولي انك تكفريين الآن عن ذنبك السابق فلست

أنت التي ارتكبت تلك الذلة بل هو الذي ارتكبها . نعم هو ذلك الحبيث
السافل المحتال الذي عبث بطهارتك وخذعك شر خداع .
إذهبي وكوفي شديدة قوية فقد خبأت في صدرك ذلك السلاح الذي يقتل
ذلك المخادع المحتال .

- أتريد به الصك ؟

- نعم ، صك زواجك بيجان دي بورجونيا ، زوج مرغريت دي هينوت
التي لا تزال في قيد الحياة .

إذهبي إليه بين رجاله واظهري له هذا الصك تجدي ان رجاله انفسهم
يقبضون عليه ويزوجونه في السجن الى ان يحاكم ويقتل .

- وهاردي؟

- انه متى قبض على الدوق دي بورجونيا تسقط تهمة هاردي من نفسها
وتلصق بالدوق نفسه . إذهبي قبل فوات الأوان .

فخرجت لورانس دون ان تنتظر الى بنتها لأعتقادها انها اذا نظرت اليها
لا تستطيع مفارقتها .

وعند ذلك بدأ سافان بمعالجة روزالي .

أما لورانس فانها ذهبت ترواً الى قصر سانت بول وهي تعلم يقيناً انها ستجد
الدوق فيه .

وقد مرت بساحة الاعتصاب فوجدتها غاصة بالناس ، ورأت المشنقة
المنصوبة وامامها الجلاد واعوانه .

والآن نعود الى قصر سانت بول ولندخل الى تلك القاعة التي خرجت منها
لورانس تحمل بنتها حيث تركنا هاردي مع رفاقه وتوفيل مع رجاله .
فقد كان عدد رجال توفيل اربعين رجلاً مدججين بالسلاح في حين ان
هاردي لم يكن يصحبه غير اربعة وهم السجنان وبراسكايل ورفيقاه .

وكان هاردي يقول في نفسه :

انه ليكفيني أن اثبت مع هؤلاء بضع دقائق وهذا كل ما كان يفكر به في تلك الساعة .

ونعم ان روزالي كانت حية في قلبه وقد علم ان اوديت هي نفس روزالي وانها ابنة الدوق دي بورجونيا .

ولكن كل افكاره كانت منصرفة الى الثبات في وجوه اعدائه بضع دقائق دون ان يضطر الى قتل الدوق دي بورجونيا .

ثم زالت منه افكاره هذه لاشتباهه في القتال فلم يعد يفكر بشيء بل كان يقاتل .

أما تونغيل فانه دخل الى قاعة اوديت ليخبر الدوق بوفاة الملك .

وقد رأى هاردي والدوق وايزابو فبعد ان أصدر تلك الأوامر التي ذكرناها اسرع الى الدوق وقال له :

يا جلالة مولاي .

فلمسي الدوق موقفه وقال :

أتلقبني بلقب الجلالة ؟

- نعم يا مولاي فقد مات الملك وليحي الملك .

فصاح رجاله قائلين :

ليحيي الملك .

أما ايزابو فانها نظرت الى هاردي نظرة ثارية ثم دنت من الدوق فأخذت بيده وصاحت قائلة :

ليحيي الملك .

فصاح الدوق عند ذلك قائلاً :

إلى الأمام واليكم اول امر يصدره الملك وهذا هو :

اقبضوا على هذا العاصي وسيروا به إلى ساحة الاعتصاب .

وقد أشار الى هردي فهجم الجنود عليه وعلى رفاقه فكانت معركة هائلة وكان اول من قتل فيها ذلك السجان الشريف .

ثم سقط فوق جسده رجل آخر وهو برسكابيل فقد أصيب بضربة فأس فلقت رأسه .

وكان تونفيل قد اشتبك مع هردي ونشب قتال شديد بينهما فكانت الأحقاد تغلي في صدرهما كما تغلي المياه في المراجل .

وكان تونفيل يقاتل ويناجي رفاقه الثلاثة فيقول .

اني سأنتقم لكم .

انك آخر الأربعة فسأخفك برفاقك وابر بيمني .

ثم مد ذراعه بسيفه كأنما موت تونفيل كان أمراً عتماً اتفق عليه مع القدر فلم يبقَ لديه ريب فيه .

وقد طعمته تلك الطعنة الهائلة التي طعن بها رفاقه من قبل فسقط على الأرض قتيلاً لغوره دون ان ينبس بكلمة .

وعند ذلك هاج من في القاعة هياج العواصف فنظر هردي نظرة الى الوراء فلم يرَ لورنس وساتان وأيقن انها قد ابتعدا .

ورأى ان الدماء قد غطت وجهه ويديه ونظر إلى القتلى فرأى براكابيل بينهم وقد انقلق رأسه بضربة فأس .

ونظر ايضاً فرأى برنكابيل يجانبه يقاتل قتال الأسود وهو يبتمس كأنه يعد نفسه سعيداً لوقوفه بجانب هردي في ساحة القتال واشترائه معه في المعركة .

ولم يكن هردي قد تعلم غير القتال المنظم فنسي في تلك المعركة كل ما تعلمه من فنون ذلك القتال وجعل يضرب بسيفه كيفما اتفق ورثب وثوب التمر من مكان الى مكان .

وكل ما ضرب ضربة تخضب سيفه بالدم ورجع الى الوراء فسكن لحظة ثم انقض كالأسد حين يتراجع متحفزاً للثوب .

وقد كثرت اللشثائم من حوله واشتد الصباح ولكنه لم يكن يسمع شيئاً من كل ما يقال بل كان يضرب بينة ويسرة فلا يرى أمامه غير المنذهرين وكل ما فتك برجل حل بحله سواء حتى بات حوله نحو اثنتي عشرة جثة . وعند ذلك نظر نظرة إلى الوراء فأيقن ان روزالي قد نجت وان سافان واما قد خرجا من القصر .

وقد زاد تحمسه حتى بلغ به حد الجنون إذ خطر له في تلك الساعة الهائلة ان يلحق بروزالي فكان ينقض على مهاجبه انقضاض الصواعق . وفيما هو يقاتل قتال القانطين رأى أمامه الدوق دي بورجونيا فصاح صيحة منكرة وقال :

والد روزالي .

أما الدوق فإنه كان قد رأى ان تونفيل سقط قتيلاً ففتح لنفسه ممرأ بين جنوده وذهب الى هردي .

وكان الغضب قد أخذ منه كل مأخذ حين رأى انه لم يبقَ من رجاله احد وهم اعناء اسراره وآلة انتقامه ويده العاقلة في تنفيذ اغراضه .

ولكنه كان يضرر تحت هذا الغضب سر .

وهو يقول في نفسه :

لم يبقَ احد الآن يستطيع اتهامي بقتل الدوق دي اورليان .

وقبل أن يصل إلى هردي كان رجل هائل الحلقة من الجنود قد رفع عموداً من الحديد وهوى به على هردي .

غير ان ذلك العمود لم يسقط على هردي بل تلقى الضربة عنه برنكايل لانه حال بين الجندي وبين هردي فوقع العمود على كتفه فوقع انوره على الأرض لا يمي .

وفي تلك اللحظة كان الدوق قد وصل الى هردي فلما رآه هردي انزل حسامه وجعل رأسه الى الارض .

فرغ الدوق يده وأشار بها إشارة الأمر فتوقف القتال للفور وسكن
الهباج فلم يقد يسمع غير أنين الجرحى .
أما هردي فإنه اطرق برأسه ورأى برنكايل صريعاً عند قدميه فارتعش
وسالت دعمة من عينه اشفاقاً على هذا الرجل الذي فداء بنفسه من الموت
ثم رفع عليه ونظر إلى الدوق .
فقال له الدوق .

ابني واقف امامك فلماذا لا تقتلني ؟
قال : لانها تحميك .

فدنا الدوق منه حتى التصق به وهو يقول في نفسه :
انه لا يمكن ان يبطش بي وهو يعلم اني ابوها :
ثم التفت إلى الجنود وقال :
كفى الآن قتالاً فاقبضوا عليه .

فلم يستطع هردي الدفاع لالتصاق الدوق به وهجم الجنود عليه من
كل جانب فصاح بهم الدوق قائلاً :
احذروا ان يسه أحد بسوء .

ولما رآهم قد طوقوه وقبضوا عليه قال :

ان هذا الرجل للقضاء وليس لنا وقد حكم عليه بالموت لقتله الدوق
دي اورليان فبات قتله من حق الجلاد كي يرى جميع الباربيين كيف يموت
القاتل فسيروا به الى ساحة الاعتصاب .

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد الظهر فسلم رجال الدوق هردي
إلى الحراس وهم نحو ستين حارساً فساروا به إلى ساحة الاعتصاب .

وعند ما خرجوا به دنا الدوق من ايزابو وتداول وإياها ملياً ثم قال
للكونت دي ما يلي الذي كان واقفاً بجانبه .

خذ يا كونت من تحتاج اليهم من الحراس واذهب إلى كتيبة نوردام
فدق جرسها الأكبر .

فالتفتت ايزابو الى الدوق وهي تحاول الخروج من تلك القاعة الخاصة بالجرسي وقالت له :

اذهب الآن ، يا صاحب الجلالة ، وعد ظافراً منصوراً وعد اليّ في الساعة الرابعة تجديني في كنيسة القصر .

ثم خرجت تمشي على مهل مشية المستكبر ، غير مكترثة لقتل زوجها ، ولتلك الدماء التي سفكت في سبيل شرورها واغراضها الأثيمة .

ولبت الدوق هنيئة ، وقد برقت عيناه بأشعة الكبرياء ، ثم تنهد عميقاً وقال :

أنا الملك .

فجردوا رجاله سيوفهم ومزقوا حجاب القضاء وهم يقولون :

ليحيي الملك .

فجرد الدوق حياضه ايضاً وصاح قائلاً :

الى الامام .. هلموا بنا لإبادة الارمانوكيين .

وبعد هنيئة لم يبق في تلك القاعة غير جثث القتلى والجرسي .

وعند ذلك تحرك أحد الجرسي وحاول النهوض فلم يستطع فشم وعاد الكرة فتمكن من الركوع على ركبتيه ، ثم تمكن اخيراً من الوقوف والتوكؤ على الجدار .

وكان هذا الرجل برانكايل ، فان ضربة العمود التي اصابته كتفه لم تقتله بل تركته مغيباً عليه .

وكان هذا الالمام السبب في حياته ، اذ لو علموا انه باق في قيد الحياة لما أبقوا عليه .

وكان قد صعد من إنحائه والدوق لا يزال في القاعة ففتح عينيه ، ورأى الملكة والدوق كما يرى الحالم وسمعها يتحدقان .

فلما ذهب الجميع ووقف جعل يفكر في حالته ويقول :

لست اشكو الآن إلا من الظلم ، ولا يوجد رجل في الوجود يستطيع

إدواء ظمائي ، كما يرويه الملك ، فلأذهب إليه ولأضحك به بأمر لي يجمع أنواع الحجر .

ولكن لماذا تريد الملكة ان تعقد ذلك الاجتماع في كنيسة القصر وتعقد جلسة .

ولماذا صاح رجال الدوق ليحبي الملك ومن هو ملك فرنسا الآن ألعنا قتلنا ذلك الملك المسكين .

رباه ما هذه الدماء التي سفكت .. وأن هاردي دي باسافان ؟
وقد كاد يسقط فاستند الى الباب ، وضغط على جبينه بعنف ، ثم جعل ينظر الى ما حوالبه فقال :

هوذا براساكيل .. وهوذا براكايل .. اجيباني أتذكران إنا قتلنا ذلك الملك الكرم الذي يجب ان يضحك ، وهل مولانا الدوق دي بورجونيا ملك فرنسا .

ان الشقيين لا يجيبان ولكنهما من الأموات .
رباه اني أكاد اموت ظمأ فجد علي بكأس طمر .. نعم ، يجب ان اشرب فلا احب ان يقتلني الظمأ .

ثم خرج من تلك القاعة وجعل يسير الهولناه الى قاعة الملك الى ان تشده وانمته الهواء الطلق فذكر كل ما سمعه من الحديث الذي دار بين الملكة والدوق ، وذكر أيضاً انه لم يقتل الملك ، فلم يعد يفكر إلا بذلك المجلس الذي سيمقدونه في الكنيسة في الساعة الرابعة بعد الظهر .
وما زال يسير حتى وصل الى قاعة الملك ودهش لما رآه من تبعثر الآلات فقال في نفسه :

يظهر انهم كانوا يقتلون في كل مكان .
ثم جعل ينظر نظراً الفاحص الى تلك القاعة على بظفر بزجاجة منسية .
فارتعش اذ رأى الملك في إحدى زوايا القاعة يلعب بالورق مع جاكين المصور .

وكان الرعب بادياً في وجه جاكين واسنانه تصطك من الخوف فيسمح
العرق عن جبينه ويقول :

أشعر ان الدم قد جمد في عروقي .

فيقول له الملك :

لقد جاء دورك باللعب فلماذا لا قلب يا جاكين وبماذا تفكر ؟

- اني ارتجف رعباً ومع ذلك فاني لا أهرب لما هذه الصداقة الغريبة
التي قيدت نفسي بها .. ان بيلاد وارسي بنظران الي من اعالي الالواب
نظرات اعجاب .

والحق ان جاكين اظهر في ذلك اليوم من الاخلاص ما لم يظهره أحد .
وذلك انه سمع ما كان يجري في قاعة أوديت فأيقن ان المنبجحة قد بدأت

في القصر .

وقد دخل الى قاعة الملك فعلم مما رآه ان القتال قد نشب فيها ايضاً ،
ورأى الملك في الزاوية يلاعب نفسه بالورق فحاول الفرار ولكن الاخلاص
تمكن منه وخيل له ان الملك يقول له تعالى يا جاكين ولاعبني فقد تحلى عني
جميع اعواني في اشد المواقف وحاشاك ان تكون مثلهم فابق معي وعلم
الناس الوفاء فاذا مات ملكك الذي اغناك وجعلك سعيداً قت معه اذ لا
خير في الحياة من بعده وقد اذنت لك بتفقد السيف وجعلناك من الأشراف
فجرد هذا السيف مرة في خدمة مولاك .

هذا ما كان يفتكر به جاكين حين دخل برانكايل فقال حين رآه :

هوذا الناسك قد جاءنا وشررت اني تشجعت بوجوده .

فقال الملك مندهلاً :

هوذا الناسك الذي يعرف وحده كيف يضحكني .. ولكن كيف ذلك
اما حملتك من قديمك وحاربت بك الهواء وجعلته برأسك الأرض على انه
يسرنني ان أراك في قيد الحياة .

فقال له برانكايل :

مولاي ، اني ظمان .

وقال جاكين :

وأنا كذلك فاني أسائل نفسي عن هذا العناء الذي اشعر به الى ان

علت سببه الآن .

فنهض الملك وذهب بنفسه الى غرفة مجاورة ، ثم عاد بعد هنيهة يحمل

قدر ما تسع ذراعا من قناني الخمر المختلفة فبسطها على الأرض وقال :

لنشرب ولنلعب .

هذه هي كانت حالة شارل السادس ملك فرنسا ، بينما كانت باريس قائمة

والدماء سائقة ، والمؤثرون يعملون على تمييز الدوق دي بورجونيا

مكانه .

فجعل جاكين وبرانكايل يرويان ظمأهما بينما كان الجنون المنكود يخلط

الورق ويتكلم بأقوال لا تفهم .

وكانت اعراض الجنون قد سكنت وخفت فانها حين كانت تعيبه لم يكن

يستطيع خلط الورق .

فلما أتم خلط الورق كان جاكين قد شرب الزجاجة الاولى ، فقال

الملك :

إذن لنبدأ اللعب .

وكان برانكايل قد برد غليله ، وعاد اليه كل رشده ، فالتفت الى الملك

وقال :

مولاي ، انه في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم سيلعبون العاباً غريبة في

كنيسة القصر .

فرفع الملك رأسه وحدث برانكايل .

فقال له برانكايل :

إسمع ، يا مولاي ، ما رأيت ، وما سمعت ، فاني اظن ان ساعة اللعب

الحقيقي دنت .

ثم قص عليه جميع ما سمعه ورآه وكل ما حدث في قاعة أوديت .

ولنعد الآن الى ساحة الاعتصاب فقد كانت تلك الجماهير العظيمة المحتشدة فيها تنتظر فيها وصول المحكوم عليه بالاعدام .

وكان الحراس يتقدمون الى المشنقة وبينهم هاردي وهم يقولون :
افتحوا بمرأ للقضاء .

فيصيح رجال الدوق قائلين :

هوذا قاتل الدوق دي أورليان .

ولكن كثيرين غيرهم من الحاضرين كانوا يقولون همأ :

هوذا المحكوم عليه ولكننا نريد القاتل فمن يعرفه ؟

ذلك ان اكثر الشعب كانوا يعتقدون ان هذا المحكوم عليه غير القاتل

ولكنهم كانوا يريدون ان يروه .

وكان هاردي يسير بين الحراس وهو مطلق اليدين فانه حين اراد احد

الحراس ان يقيد يديه قال له :

لا فائدة من ذلك ، أيها الصديق ، فأنت ترى ان الفرار مستحيل وأنتم

مصدقون بي بجناسا جركم فدعني اسير بينكم مطلق اليدين واعلم يقيناً انك اذا

حاولت تقييدي دافعت عن نفسي حتى اضطرركم الى قتلي وأما اذا تركتني

مطلقاً هامدتك على ان اصل الى المشنقة كما تريدون .

فاستصوب الحارس كلامه وخشي وعيده وأحدق به الحراس وسار بينهم

طائماً بمنثلاً الى ان وصلوا الى ساحة الاعتصاب .

وهناك كان أول ما رآه هاردي المشنقة فارعد وتثقلت له الحياة بأجل

معانيها فأسف عليها .

وقد هاله ما كان يتوقعه من عذاب القتل .

فخطر له في تلك الساعة ان يحدث شيئاً لا اطمعه بالفرار فقد كان موقناً

ان ذلك محال ولكنه كان يرجو ان يتمكن من قتل نفسه فينجو من ذلك العذاب .

ثم رأى ان ذلك ايضاً مستحيل فقال في نفسه :

حسناً ، فلأتشجع ولأظهر حتى آخر لحظة اني ابن باسافان .

ولم يكن خوفه من الموت نفسه بل من تلك المحرقة التي سيعذبونه فوقها على نار خفيفة بمد قطع لسانه ويده فكان يفكر بذلك التعذيب الفظيع بطير فؤاده شجاعاً ويقول :

رباه ، كيف اطيع إحتمال هذا التعذيب .

وكان الحراس قد ابعدوا الناس عن المشتقة بمنف شديد فطلت أصوات الشكوى وتبين الغضب في الوجوه فأسرع هاردي الى صعود درجات المشتقة ووقف امام الجلاد .

فانحنى الجلاد وفحص آلة القطع فهز هاردي كتفيه إشارة الى عدم المبالاة ، ثم نظر الى تلك الجماهير التي كانت تموج كالتيار الزاخر فسمع النساء يشفقن على شبابه ورأى كثيراً العيون تبكي عليه فقال في نفسه :

تشجع يا هاردي ومث كما يجب ان يموت ابن باسافان الملقب بالشجاع .. ربه لا ابالي بالموت ولكن هل استطيع إحتمال التعذيب دون ان اصيح .. روزالي .. روزالي .

وقد قتلت له روزالي وشعر ان خيالها سيلين قلبه فصاح كما كان يصيح في ساحة القتال قائلاً :

أنا هاردي .. انا هاردي دي باسافان .

فأجابته صوت قائلاً :

ليبيك .. ليبيك .

فرأى هاردي حساماً قد برق ، واصاب اثنين من الحراس ورأى ذلك الرجل يقول :

ليبيك يا هاردي .

فصاح هاردي قائلاً :

شانتليت .

- نعم ، فخذ هذا .

وقد فاوله خنجراً فقبض هاردي على الخنجر وقال له شانتليت :

تعال الآن ، أياها الصديق ، فقد صرنا اثنين .

فقال صوت من وراء هاردي : وأنا معكم أيضاً .

فالتفت هاردي مندعراً ، فرأى الجلاد واقفاً امامه يحمل بيده فأساً

فارتعش .

أما الجلاد فقد كان بوليفيه زعيم تلك الطائفة التي يلقبونها بالردة تلك

الطائفة التي وهبها هاردي منزله حين انقضته من البورجونيين كما تقدم .

وقد نزع الجلاد رداءه الاحمر وظهرت من تحته ثيابه البالية .

فتزع اعوانه لغورهم اردبتهم الحمراء ، ثم صعد درجات المشقة نحو

أربعين رجلاً من تلك الطائفة .

فضج الناس وقد عرّفوهم وصاحوا قائلين : طائفة المردة .

فرقع بوليفيه فأسه وقال :

نعم ، نحن طائفة المردة .. البنا ، أياها الرفاق .

فصاح شانتليت قائلاً :

الى الامام .

وتكفى هاردي باسمه وقد بلغ اشد اطوار التحمس فجعل يقول :

أنا هاردي .. أنا باسافان .

وعند ذلك نزلت العصاية يحملتها درجات السلم ورجالها يزأرون زئير

الأسود الضارية وقد برقت عيونها بأشعة الوعيد والرغبة في القتل .

وكان هاردي في طبيعتهم ويحانبه شانتليت ووراءه بوليفيه يلقي الأوامر

بله الايجاز على عصابته كما يلقي القواد أوامرهم على الجنود في ساحة القتال .

وقد دعر الناس لهذه العصابة وماجوا كالأمواج الزاخرة وبدأ القتال
الرهيب تحت تلك المشنقة الهائلة ..

وعند ذلك دق جرس كنيسة نوردام فعلا ضجيج الناس من دقه ثم ساد
السكوت منبهة ثم أجابت أصوات المتقاتلين اصوات الأجراس ، ثم جعل
فريق من الناس يتراكضون من شارع الى شارع ويصيحون قائلين :
الإشارة الإشارة .

ذلك ان دقات الجرس كانت الإشارة التي عينها الدوق دي بورجونيا .
فقال شانليت بوليفيه وقد هاله هذا الضجيج وهو يقاتل فقال :
ما هذا ؟

فأجابه بوليفيه قائلاً :

انها الإشارة للقاضية بإبادة الارمانوكيين .

قال : قبح الله البورجونيين ما اقدرهم على سفك الدماء .

وقد انقسم البورجونيون الى فرق كانت تسير الى أماكن معينة وأقامت
فرقة كبيرة على ضفة السين يصيحون :

ليمت أرمنياك وأشباعه . . . اليوم يوم الانتقام . . . هذه هي ساعة
الارمانوكيين .

وفي الجزيرة على مسافة قريبة من موقف الجنود كان الناس يصيحون
قائلين :

الحرية الحرية

وكان هؤلاء فريق العامة وأشباع كابوش حليف الدوق بالظاهر فجمعوا
يصيحون هذه الصيحات ويزحفون الى قصر سانت بول .

فتمكن الذعر من اعالي باريس حين رأوا تلك العصابات واولئك الجنود
وكل يعني على ايلاء .

اما المعركة عند المشنقة فقد اشتد سعيها وأحاطت ثلاثمائة جندي بهاردي

وشاتليت وطائفة المردة فكان قتالاً شديداً لم يرَ فيه غير السيوف تلح والقفوس تنقض على الرؤوس والوجوه المخضبة بالدم والعيون المتقدة بنسار الحقد ولا يسمع غير الشنائم وأصوات الوعيد وأنين الجرحى وصيحات اليأس ..

وعلى الجهة فقد كانت ساحة هائلة تشيب لها الولدان .

اما هاردي فانه كان قد التقط سيفاً من ساحة المعركة وجعل يقاتل به وبالخنجر فلا يرفع يده ويهوي بها إلا وقد تجندل رجل على الأرض وقد نزل عليه نزول القضاء المحتوم .

كل ذلك وهو يندفع الى الأمام ويتكفي باحمه فيتبعه شاتليت وعصابة المردة وقد فتكوا بالجنود فتكاً وبيلاً .

وما زالوا يقاتلون ويتقدمون حتى رأى هاردي انه بات في شارع سانت انطوان وانه لم يبق هناك جنود ولم يرَ غير عصابات العامة .

ولكن تلك العصابات كانت تسير زاحفة دون ان تهتم لهاردي وجماعته فانها كانت تسير الى الجهة التي عينت لها .

وعند ذلك عانق شاتليت هاردي وكلاهما مخضب بالدم ودها منه بوليفيه وقال له :

لقد نجوت الآن .

فرد هاردي له يده مصافحاً وقال له :

نعم لقد نجوت بفضلك ولكن كيف كان ذلك ؟

قال : ان الأمر بسيط وذلك ان كابوش زعم العامة من اصحابي لا يرفض لي ملتصاً .

فلما علمت انهم قبضوا عليك وانهم سينفذون فيك حكم الإعدام ذهبت اليه رسالته مساعدي على إنقاذك فأبى في البدء متملاً .

ثم واقفتني على ما اريد بعد ان اقنعتته وأخبرته بحقيقة امرك فساعدني

على إنقاذك كما رأيت .
والآن ، لم يبقَ بعد من خروجك من باريس بعد نجاتك ، قال ابن تريد
ان تذهب ؟
فأجابه هاردي بصوت أجش قائلاً :
اريد الذهاب الى قصر سانت بول .

٦٨

الدوقة اورليان

في ذلك اليوم كان قصر دي ارمانياك غاصاً بالنبلاء وقد اجتمعوا فيه
في الساعة الحادية عشرة للدائرة في الحالة الحاضرة .
فكان كل منية يأتيهم رسول يخبرهم بما يجري في باريس .
وكان الكونت دي ارمانياك يستقبل هؤلاء الرسل وهو بلباسه الحربية
وقد احاط به النبلاء .
الى ان حان الظهر فدخل رسول وهمس في أذن الكونت بضع كلمات ،
فارتعش الكونت ارتعاشاً عنيفاً ، ثم ملك نفسه ونظر الى الاسباب المجتمعين
فقال :
لقد افتتحت الجلسة ايها الاسباب فليبد كل منكم رأيه .
فوقف الكونت نامور وقال :
لا أرى حاجة الى الاجتماع وعقد الجلسات فليمتط كل منا جواده وليزحف
على البيوزجونيين
فتلقى الجميع هذا القول بالهتاف والتصفيق فرفع الكونت ارمانياك يده
يدعوه الى الأصفاء فقال :

ايها السادة : لقد أشار الكونت فامور بالحلمة على البورجونيين ووافقتهم على قوله لما عهد فيكم من الحماسة .
غير ان ذلك بات صعباً الآن ، ولا بد لي من ان اخبركم بحقيقة موقفنا قاسموا :

اننا كنا نجهد مؤامرة الدوق دي بورجونيا لغاية صباح اليوم ، فلما دعوتكم ولبيتم الدعوة كان قد فات الأوان ، فان جميع شوارع وقلاع باريس قد احتلها الاعداء بحيث لم يبق لنا إلا ان نموت موت الأشراف .
فقال له الدوق دي مار :

لقد اتفقنا منذ هنيئة على ان نذهب الى قصر سانت بول مع السيدة دي اورليان فنحاصر فيه بحيث نستطيع المحاصرة عاماً الى ان يعلم جميع نبلاء فرنسا بما نحن فيه ويأتوا لنجدتنا .

هلوا ايها الأسياد ولتمت في سبيل الدفاع عن العرش فان لفرنسا ملكاً فندافع عنه .

فنهض الكونت دي ارمينياك وكانت هيئته تدل على الاضطراب العظم فقال :

ايها السادة ان الملك قد مات .

فهاج المجلس لهذا النبأ الذريع ومضى الكونت في حديثه فقال :

نعم ان أبادي أتبعه قتلت الملك في قصره كما قتلت أخاه من قبله فصلوا من اجله .

فلسي الجميع موقفهم وركعوا يصلون ثم نهضوا وجعل كل منهم ينظر الى الآخر نظرات تشف عن الرعب إذ ثبت لهم ان النصر قد تأيد للدوق دي بورجونيا .

وعاد الدوق الى الحديث فقال :

انكم ترون ايها السادة اننا لا نستطيع الانجاء الى قصر سانت بول

ولا يحق لنا ان نعرض نفوسنا للقتل في شوارع باريس لأننا تعاهدنا على ان
نوصل الدوقة دي اورليان الى ارضها ، فاسمعوا ما أرتثيه :

أرى ان نضع أرملة صديقنا العزيز في مركبة ونخرج بها من باب سانت
انطوان دون ان نهم بين يقتل منا ومن بقي حياً يتولى خسارة الدوقة الى
ان تصل سالمة الى أرضها .

فنظر كل الى رفيقه وهو ساكت واجم ، فقد كانوا يريدون مقاتلة
البورجوازيين ولكنهم رأوا ان من واجباتهم إنقاذ أرملة الذي كان يتولى
رياسة حزبهم .

وعاد للكونت الى الحديث فقال :

ان الدوقة دي اورليان انما أرادت الهية الى باريس لتطالب بمقاتل زوجها
وكان من واجباتنا ان نخفرها ونساعدنا ونؤيد مطالبها .

اما اليوم ايها الأسياد فقد انتصر المقاتل ولا بد لنا من إنقاذ الأرملة
التيبة من قبضته ، فانه لا تمضي ساعتان حتى يقبض عليها .

ومضى قتلنا جميعنا من حولها لا يبقى لها غير الانتحار كي تنجو من قاتل
زوجها بالموت .

ولذلك ارتأيت ان نرجع عما عزمنا عليه من المقاتلة في باريس ، فاننا
تتخذل في هذا القتال لا محالة ولا بد لنا ان نحصر قوانا ونجردها لإنقاذ
الدوقة ، فانها تعتبر الآن زعيمة النبلاء في فرنسا .

ومضى خرجنا من باريس وجمعنا النبلاء يحملتهم واتفقت كلمتنا نجمع
رجالنا ونحمل على باريس فنستولي عليها ونقم على فرنسا أحد أبناء أسرة
فالوا ، فاذا ترتأون ؟

فقال للكونت دي بار : اني موافق على رأي الكونت .

واستحسن الجميع هذا الرأي إذ لم يجدوا خيراً منه .

وقال الكونت نامور وكان أشدهم حماساً :

وأنا ارافق أيضا لا سجا وان القتال لا يد منه فانتنا لا نخرج من باريس
دون ان يتصدى لنا البورجونيون .

وعند ذلك فضت الجلسة ، فلبسوا ملابسهم الحربية وتقلدوا سلاحهم
وامتطوا جيادهم ووقفوا امام باب القصر ينتظرون مركبة الدوق وهم مائة
وقانون نيلا وفي طلبعتهم الكونت أرمانياك .

وكانوا يسمعون في الشوارع صياح البورجونيين يقولون :

ليحيى الدوق دي بورجونيا وليمت الارمانوكيين .

واحيانا يسمعون صياح الناس يقولون :

لتحيى الحرية .

فاذا سكنت هذه الأصوات ، ارتفعت أصوات الاجراس في الكنائس .
ولكنهم اذ رأوا ان الدوق دي أورليان قادمة اليهم بلباس الحداد تستند
الى ذراع الكونت دي أرمانياك ومعها إمرأتان من النييلات اشده تحمسهم
وصاحوا قائلين :

ليحيى الملك .. ليحيى النبلاء .. ليحيى أرمانياك .. السلام على دوق

أورليان .

وبعضهم كانوا يقولون ليمت البورجونيون .

أما الدوقة فانها دنت من المركبة وقالت : إفتحوها .

فتردد أرمانياك في إصدار هذا الأمر فقالت له :

اني أريد ان يروا وان قتال حفظنا من الخطر المهدق بكم فنشاركم

فيه فاذا قتلت لا أحقد على قاتلي فان الحياة عندي خير منها الموت .

فلم يسع الكونت مخالفتها وفتح المركبة فجلست الدوقة في وسطها

وجلست أمامها السيدة دي كوسي والسيدة دي بريزيه ، وامتنى الكونت

جواده .

وعند ذلك جرت تلك الحادثة التي كانت تمثل نبلاء الفرنسيين في ذلك

العهد أولئك الذين كانوا يلامون على كل أعمالهم ما خلا الخوف فانهم كانوا لا يهابون الموت .

ثم دنا خادم الكونت منه وقدم له الخوذة فأبى أن يلبسها وقال مخاطباً الأسياد .

اتزعوا الخوذة اذ يجب ان يرونا حاسري الرؤوس .

فامتثل الجميع لأمره ، وتزعوا خوذةهم في لحظة عين فالتقوا الى الأرض فصاح الكونت قائلاً :

إفتحوا الأبواب .

ففتح الباب الأكبر في الحال وخرجت مركبة الدوقة تحفرها النبلاء وفي طليعتهم الكونت أرمانياك فوصلوا الى شارع سانت أنطوان دون ان يحدث لهم حادث في الطريق .

وهناك ، لم يبق لهم إلا ان يلبفوا باب سانت أنطوان ويخرجوا من

باريس .

وفيا هم يسيرون رفع الكونت أرمانياك يده وقال : إحدروا .

فالتفت الجميع الى المكان الذي أشار اليه فرأوا جماهير من الناس يسدون الطريق وكلهم مسلحون بأسلحة مختلفة ويصيحون قائلين :

الحرية .. الحرية .

وقد تبينت في وجوههم صحة العزيمة على الموت أو نيلهم حريتهم .

وكان بينهم نساء ورجال ، فلما وصل موكب الكونت اليهم جرد النبلاء سيوفهم وهما بالهجوم .

غير ان الكونت رفع سيفه إشارة الى وجوب الامتناع عن الهجوم ، اذ رأى بين تلك الجماهير فريقاً كبيراً من النساء وقد تقدمن الموكب وسددن منافذ الطريق .

فقال لمن الكونت : أيتها النساء ، دعونا نمر .

فقالت إحداهن : ماذا يقول هذا الأفعى ؟

وقالت غيرها : لم يعد لأرمانياك كلمة مسموعة

وقالت ثالثة : ليمت الذين يشبعون من جوعنا .

وقالت رابعة : ليمت أرمانياك والأرمانوكيون .

فمزم الكونت على المهجوم إلا انه رأى عند ذلك ما أدهشه فان أولئك النسوة قد تفرقن فجأة فخيّل للكونت في البدء انها مكيدة .

غير ان أولئك المنكودات لم يكن من أهل المكاييد ولم يكن تفوقهن إلا لأنهن رأين الدوقة دي أورليان في المركبة ، فعلمن ان أولئك النبلاء يخفرونها .

وكان للدوقة أورليان منزلة رفيعة في قلوب عامة الشعب ، كما بسطناه في غير هذا المقام ، فلم تلبث ان قالت إحداهن ان هذه هي الدوقة دي أورليان حتى افترقن فقالت إحداهن :

إبتعدوا من طريق الدوقة المحسنة .

وقالت أخرى : انها انقذت زوجي من الأضطهاد .

وقالت غيرها : انها اخرجت ولدي من سجن ثالثيت .

وقالت سواها : انها انقذتنا من مهاوي الشقاء بإحسانها .

فصحن جميعهن قائلات :

لتحبي الدوقة دي أورليان .. السلام بالإحترام على ملك الشعب .

وعند ذلك فتحت الطريق فسار موكب الدوقة بين تلك الجماهير غير انه

لم يلبث ان اجتاز تلك الجماهير حتى تعرضت له جماهير اخرى لم يكن بينها

نساء هذه المرة يتفون للدوقة .

فعلا الصياح وخرجت السيوف من أعوادها ونشب القتال فكان قتالاً

هائلاً خيفاً .

وقد اجتمع البورجونيون واحدقوا بأولئك النبلاء الذين يخفرون الدوقة

فدافعوا عنها دفاع الأسود واستمرت المعركة ساعة والنبلاء يقائلون ويتقدمون

الى باب سانت أنطوان .

وكان النصر ظاهراً في جانب البورجونيين وقد وقف الدوق بينهم يحميهم على القتال ويحشهم على إبادة الأرمالوكيين يحميهم حتى لم يبق مع أرمانيك غير عشرين نبيلاً وقتل الخدم يحميهم ، ولكن المركية كانت قد اقتربت من باب سانت أنطوان .

عند ذلك سمع صوت يلمع كالرعد القاصف ويقول :

أنا هاردي .. أنا هاردي .. انقذوا الدوقة .

فالتفت البورجونيون منذعربن وقالوا :

هوذا المردة .

وانتعثت قلوب من بقي من النبلاء بهذه النجدة .

وهجم المردة برئاسة زعيمهم وفي طليعتهم هاردي وشاليت .

وحكايتهم انهم حين انقذوا هاردي وابتعدوا به عن صاحبة الاعصاب

سأله زعيمهم قائلاً :

يجب الآن ان نخرج من باريس اذا أردت ان نأمن الحظر فعلى أين تريد

ان تذهب ؟

قال : الى قصر سانت بول .

وانما قال هاردي هذا القول لاعتقاده ان روزالي لا تزال في القصر فذعر

بوليفيه لما سمعه وقال :

انك تريد ان تلتحق فلا تستطيع ان أوصلك الى باب القصر .

وساروا وهم نحو عشرين عصابة فكانت عصابات العصابة لا تعرضهم

لتحالف الزعيمين .

حتى اذا اقتربوا من القصر التقوا بالأرمالوكيين والمركة ناشبة بينهم

وبين البورجونيين فرأى هاردي الدوقة أورليان في مركبتها المفتوحة ونظر

نظرة سريعة الى مواقف الحصين فأيقن ان النصر قد استتب للبورجونيين

وصاح قائلاً :

يجب إنقاذ الدوقة .

وعند ذلك تداول مع شاتليت وبوليفيه رئيس عصابة المردة مدلوله
وجيزة فأرسل بوليفيه أحد رجاله الى احدى عصاباتة التي كانت كامنة عند
باب سانت انطوان لتسهل لرجاله الفرار إذا اضطروا ان يخرجوا من
باريس .

ثم انقضوا بمحلتهم على البورجونيين وفي طلبهم وهو يصبح قاتلاً :
أنا هردي .. أنا هردي دي باسافان يا ويلكم ابعدوا عن الدوقية
دي اورليان .

٦٩

قصر سانت بول

ولتعد الآن إلى نورسي والدة روزالي فقد تركناها سائرة إلى قصر سانت
بول لتشي تلك الوشاية المساندة بالدوق دي بورجونيا وتضي عليه القضاء
المبرم كما عليها سائقان لاعتقادها ان هردي لا يسلم من العقاب إلا اذا قبض
على الدوق وظهرت جنابته .

وقد مرت بساحة الاعتصاب ورأت تلك المشنقة منصوبة فوقفت عندها
وهي تعلم يقيناً انها نصبت لاعدام هردي .

ثم رأت عن بعد ما فعلته عصابة المردة فاخرقت صفوف الناس الى
المشنقة حتى باتت على قيد عشرين خطوة منها .

وهناك تارقات المردة ورأت انهم انقضوا هردي ثم رأتهم يسرون
وبينهم هردي .

فجعلت تلفوا اترم ولا غرض لها إلا ان تدرك هردي فتقول له :

إلى أين انت ذاهب تعال معي إلى روزالي فهي تنتظرك .

ولكنها لم تتمكن من الوصول اليه لكثرة الزحام حتى وصلوا إلى شارع

سانت انطوان ونشبت تلك المعركة الهائلة بينهم وبين البورجويين فكانت نارة ترى هردي يشور ثورة العواصف ويدافع عن مركبة الدوقه دفاع اللبوة عن اشبالها ونارة يتواري عنها بين الجماهير فلا تسمع غير صوته يلعلع في الفضاء .

ولكنها رأته يندفع إلى باب سانت انطوان فهلع قلبها من الخوف وقالت :

رباه انه يحاول الفرار والخروج من باريس فما يكون من روزالي اذا بنست من لقااته .

ثم جعلت تصيح بأعلى صوتها قائلة .

هردي .. ولدي هردي .

ولكن أين لصوتها الخافت ان يبلغ إلى مسمعه وهو في هذا القتال .

وما زالوا يدافعون عن المركبة وهي تتقدم إلى باب سانت انطوان وهناك أشار بوليفيه ان عصابته ان تفتح الباب ففتحه ورفعت الجسر فوق الخندق فخرجت مركبة الدوقه عليه ومعها الكونت دي ارمانياك ومن بقي من رجاله بنا كان هردي وشانليت وعصابات المردة قد وقفت عند ذلك الباب وحالت دون مضادة البورجويين .

أما البورجويون فانهم اكلتوا بطرد ارمانياك من باريس وقتل رجاله وجعلوا يصيحون صيحات الانتصار .

خلافاً للدوق فانه رأى هردي بين تلك العصابات فتوجهت عيناه من الغضب وقال :

اني لا أتق من انتصاري ما زال هذا الرجل في قيد الحياة .

ثم رفع صاعقه الدامي وصاح برجاله قائلاً :

هلوا بنا الى قصر سانت بول .

فساروا جميعهم سير الفاتحين وهم يصيحون قائلين :

ليحيى الملك .

فهز الدوق رأسه لهذا الهتاف إذ خيل له في البدء ان انقاذ هردي من
الاعدام لا يعد حادثة خطيرة في جانب حوادث هذا اليوم ثم رأى ما كان
هنه بعد نجاة الكونت ارمانياك فقال :

لا رجاء لي بالانتصار وهذا الرجل المجهنمي في قيد الحياة .

ومع ذلك فان رجاله كانوا يتفنون له قائلين ليحي الملك .

وكلمهم واتفون ان النصر استتب لهم على ما يرون .

وساروا جميعهم إلى قصر سانت بول يدفعون امامهم زعيمهم وملكهم

جان دي بورجونيا حتى دخلوا القصر فقالوا :

هلوا بنا إلى كنيسة الملك .

وقد دخل كثير من الناس مع البورجونيين فكان عدد الذين دخلوا مع

رجال الدوق مائتي رجل أما بقية جنوده فقد كانوا متفرقين في الشوارع .

أما الدوق فانه دخل الى قاعة الاستقبال الملكية وهي قاعة عظيمة يبلغ

طولها مائة وخمسين قدماً وفي وسطها عرش شارل السادس الذي لم يكن

يجلس عليه إلا في الحفلات الخاصة .

ومها يكن من غرابة ذلك اليوم التاريخي فان دخول الدوق دي

بورجونيا وغيره إلى هذه القاعة كان أشد غرابة .

فقد دخل الدوق في البدء يصحبه مائتان من رجاله .

وعلى قيد بضعة خطوات منه كان هودي يسير مع الجموع باحثاً عن

روزالي وهو واثق انه سيموت في هذا القصر .

وبالقرب منه شاتليت وورائه بوليفيه وعصابتة فانهم أبوا أن يتخلوا

عن هردي بالرغم من إلحاحه عليهم بالانصراف .

ووراهم نحو الف انسان بين رجال ونساء وغلغان وهم لا يملكون إلى أين

يسيرون ولا ماذا يعملون .

وقد اختلط الخابل بالنابل وامتزج جميع اولئك الناس بعضهم ببعض

وجعلوا يتفنون قائلين : ليحي الملك وهم لا يملكون أي ملك يعنون ولكنهم

كانوا يتفنون هذاف البورجونيين من قبيل المهاراة .

فلما وصل الدوق إلى قرب ذلك العرش والمجاهير من ورائه وقف منذعراً حائراً ووقف الجميع لوقوفه .

ذلك انه سمع عن بعد قرع الطبول وهي تدق تلك الدقة الخاصة بشارل السادس في أيام النصر او في الحفلات الكبرى التي يأتي فيها الملك إلى هذه القاعة ويجلس على عرشها العظم .
وقد ارتجف الدوق حين سمع تلك الطبول وجرده حسامه المصبوغ بالدم وقال .

اقسم بالله اني ...

ولكنه قبل ان يتم جملة فتح باب تلك القاعة الرسمي ودخل حاجب فصاح قائلاً بصوت جهوري :
هوذا الملك .

وعند ذلك دخل شارل السادس وجلس على العرش وهو بلباس التشريفات الكبرى وهي مؤلفة من قبعة طويلة مرصعة بالألوية ووشاح أزرق موشى بالذهب .

وكانت تتبعه امرأته ايزابو وعيناها تتوقدان من الغضب والرعب .

ثم دخل رئيس الحراس من باب آخر ومعه جميع حراس القصر واربع فرق من الجنود وقد صبغت الدماء ثيابهم فانهم كانوا قد قاتلوا رجال الدوق ومنعوم عن ان يتبعوا مولاهم إلى القصر بحيث بات الدوق أسيراً فيه .

وقد جرى كل ذلك بفضل برنكايل وجاكين بل بفضل تلك الحمر التي لولا شدة ظمأ برنكايل اليها لما تجاسر على الدخول إلى الملك واخباره بما سمعه وراه .

وقد اتفق ان الملك لم يكن مجنوناً حين علم هذا النبأ فنادى رئيس حراسه واخبره بالمكيدة فجمع كل ما تيسر له جمعه من الجنود وكاد هذه المكيدة للدوق فجمعه يدخل الى القصر بعدد قليل من رجاله وأقام قسماً كبيراً من الحراس على الباب كي يمنعوا البورجونيين من الفرار .

وقد كان لدخول الملك الفجائي إلى تلك القساعة مع اوائك الحراس والجنود تأثير عظيم على الدوق حتى شعر بأنه سيفقد رشاده وجعل يقول :

الملك في قيد الحياة |

ثم استولى عليه الغضب والتفت إلى رجاله وهم ان يصدر امره بالهجوم .
غير ان نظره التقى عند ذلك بنظر الملكة ايزابو فأشارت اليه إشارة
سريعة فهم منها انه يجب ان ينتظر .

وفي تلك اللحظة اقترب منه أحد رجال الملك وهمس في اذنه قائلاً :
تقول الملكة يا مولاي انك ما أتيت إلى هنا إلا لتسلم قاتل أخيك بعد
ان هرب من المشقة .. اسرع وقل هذا القول يا مولاي إذ لا سبيل إلى
القتال فانه يوجد خمسة آلاف جندي في القصر . قل هذا القول واصدع بأمر
الملكة فان هردي واقف وراءك .

فادرك الدوق حقيقة موقفه وأسرع إلى الامتثال فالتفت إلى رجاله
وقال مشيراً إلى هردي .

اقبضوا على هذا الرجل وسلّموه إلى جلالة الملك .. ليحیی الملك .

فتهتف البورجونيون قائلين :

ليحيی الملك .

ذلك لأنهم عرفوا ما عرفه الدوق وادركوا قصده .

وبعد هزيمة جرّوا هردي إلى قرب عرش الملك :

وعند ذلك تقدم الدوق دي بورجونيسا وقد امتنع وجهه فتنهض
الملك وأجال نظره بين الحاضرين حتى استقوا على جاكمن وبرنكايل اللذين
كانا واقفين بجانبه فابتسم لهما .

فقال له برنكايل : اني أكاد أموت ظمأً فلا تخف فاني سأشرب دماءهم
فابتسم الملك وقال له :

بل تشرب أطيب الخمر ايها الناسك المحترم .

ثم التفت إلى الدوق وقال له :

إذن لقد خاطرت يا ابن عمي العزيز بحياتك وقبضت على هذا اللص الذي

كاد يشير المدينة

قال : هو ذاك يا مولاي .

وقد سكت الجميع كأن على رؤوسهم الطير ، فقال الملك :
أهذا هو القاتل ؟

قال : نعم يا مولاي انه قاتل أخيك العزيز الدوق دي اورليان .
فهز الملك رأسه وجعل يرنكايل يشتم بصوت منخفض أتبع شتم .
وعند ذلك سمع صوت امرأة يقول :

جان دي بورجونيا ، انك كاذب في ما تقول .
فارتعد الدوق رعباً كأنه عرف صاحبة هذا الصوت والتفت ببطء الى
مصدر الصوت فقال والرعب يلعمش اسانه :
رباه هذا هو الخيال .

وقد أهدقت انظار كل من في القاعة بلورانس .
وتقدمت لورانس فجعل الجميع يتراجعون ويفسحون لها مجالاً .
اما الملك فقد سأل قائلاً :

من هي هذه المرأة ؟

فأجابته هاردي على سؤاله قائلاً :

ان هذه المرأة هي القضاء ، فاسكت يا مولاي ودع القضاء يتكلم .
وكانت الحادثة غريبة في بابها حتى ان الناس وشارل السادس نفسه لم
ينتبهوا لجمارة هاردي ومحادثته ملك فرنسا بهذا اللسان .
اما الدوق فانه راجع مندفعراً وقد ملأ الرعب قلبه ووقف ينتظر وصول
الخيال اليه وهو يحديق به تحديقاً يشبه تحديق الجانين .

وقد وقفت لورانس امام الدوق وقالت له :

جان دي بورجونيا ، انك تعرف قاتل الدوق دي اورليان فقل من هو
فنظر الدوق الى ما حوالبه نظرة قانط فعلم انه لا حيلة له بالافلات من
يد القضاء وقال بصوت خافت :

انه هاردي دي باساقان .

فأخرجت لورانس الصك من صدرها ففتحت وقالت :

جان دي بورجونيا انك كاذب في ما ادعيته وأنت تعرف إسم القاتل ،

فاذكره امام الملك .

فقال بصوت أبح :

كلا اها الحيات ، وإني أمرك باسم الله ان تنصرف .

- قل اسم القتال .

- لا اريد .

وقد ظهر على الدوق ان صوته قد ببح كأنما بدأ غير منظورة قد قبضت على عنقه .

فاقربت منه لورانس وقالت له :

إذا كان ذلك فسأقرأ لك هذا الصك ، فاصغ يا جان دي بورجونيا

وقد رأي الحاضرون ان لورانس قد اقربت من الدوق وسمعوا قنمة

صوتها بالقرامة دون ان يفهموا شيئاً مما تقول .

ولكنها بينما كانت تقرأ ذلك الصك .. صك زواجه وامرأته لا تزال في

قيد الحياة ، ذلك الصك الذي ثبتت جرميته وهو في ذلك العهد أشد فظاعة

في عرف الناس والقانون من جريمة من يقتل أباه وأمه .

انها بينما كانت تقرأ كان الناس يرون الدوق ينحني كأنما بدأ خفية تضغط

على عنقه .

وقد رأوا العرق يسيل من جبينه وعيناه غائرة وسمعوه بدأها العفو

بلسان يتلعثم .

اما لورانس فانها بعد ان قرأت الصك طوته وأعادته الى صدرها ، وعند

ذلك نظرت الى الدوق نظرة المنتصر وقالت له :

جان دي بورجونيا ، أتريد ان أقرأ هذه الورقة بصوت مرتفع ؟

قال لورانس : رحماك واغفري إن كان يجبك .

- قل اسم القتال .

فالتفت الدوق عند ذلك الى الملك وقد أصيب في تلك الساعة بحنون

عارض دون شك .

فان قدوم الملك الفجائي وهو يعتقد انه ميت ودخول الحرس الملكي

إلى تلك القاعة التي كان قد دخل إليها ليجلس على عرشها وتهدم صرح أمانيه في كل لحظة كان ضربة هائلة .

ثم جاء بعد ذلك دخول الحيات أي لورانس ففضى على كل ما كان باقياً لديه من قوة الإرادة .

ثم جاء بعد ذلك تلاوة الصك ورؤية توقيعه عليه وهو يعتقد انه أحرقه من اعوام .

فكانت الضربة القاضية على إرادته وعزيمته فنكس برأسه الى الأرض وقال:
مولاي ان قاتل أخيك دي اورليان ..
فقال له الملك مفضياً .

ألا تريد ان تتكلم .. قل من هو ؟
- هو أنا .

- انت ا

- نعم أنا .

فسكت جميع الحضور لحظة في البدء كأنما حبست انفسهم ثم ماجوا ويات همهم يشبه صوت الأمواج الزاخرة .

أما الملك فانه التفت إلى حراسه وقال بصوت يتهدج من الغضب .
اقبضوا عليه .. اقبضوا على الدوق دي بورجونيا .

فدسابق الحراس اليه .

ودنا سافوزي رئيسهم وقال له :

هات حسامك أيها الدوق .

غير ان رجال الدوق كانوا قد أحاطوا به بلحظة بحيث قرأى بينهم وجعلوا يدفعوه إلى الباب ويتلقون الموت عنه فداء له .

وقد سالت الدماء انهاراً ولكن الدوق تمكن من الخروج سالماً من القاعة وبلغ الى ردهة القصر الكبرى .

لقد روى التاريخ حادثة اعتراف الدوق دي بورجونيا بقتل الدوق دي اورليان .

ولكن المؤرخين وقفوا حائرين في تعليل هذا الاعتراف لا يملون اسبابه .
حتى روى بعضهم ان ذلك كان من تقريع خميره ولكن الحقيقة هي ما
ذكرناه فلولا خوفه من فضيحة زواجه السري وعقابه أشد من عقاب القتل
لما اختار اهون الريلين واعترف بالجريمة .

وقد أشكل عليهم ايضاً كيف كان خروج الدوق دي بورجونيا من قصر
سانت بول واختلفت الأقوال في ذلك .

فما قيل انه حدثت معركة بين المائتي بورجونى والحراس عند باب القصر
الأكبر فدامت نصف ساعة قتل فيها خمسون من البورجونيين .

وان من بقي من الأحياء وضعوا الدوق بينهم وهو غير اهل للدفاع
وحملوا حمة القناطين على الباب فكسروه وخرجوا منه .

وهناك صاحوا صيحات الفرح واندفعوا إلى شارع سانت انطوان فامتطى
الدوق جواده وسار في طليعتهم هارباً إلى دييون وقد ترك كابوش ونحو

الذي بورجونى يخرجون من مواقفهم الخطرة كما يستطيعون .

فكان في كل لحظة يلتفت إلى ورائه وكل ما سأله عن امر يقول لهم :
انظروا اذا كان الخيال يتبعنا .

هذا ما رواه التاريخ عن كيفية فرار الدوق غير أن الحقيقة التي اجمع عليها
الكثيرون هو انه بينما كان البورجونيون يقاتلون عند الباب وقد بأسوا من النجاة

انقض ثلاثة مثل الأسود على ذلك الباب ففتحوه عنوة وكانت امرأة تتبعهم .
وعند ذلك اسرع الدوق إلى الخروج فهجم عليه احد هؤلاء الثلاثة ولكن

أحد وفاقه قبض عليه بيد من حديد ومنعه عن الهجوم عليه .

فالتفت رفيقه اليه منذعراً وقال :

كيف ذلك أددع القاتل يهرب ؟

قال : نعم فانه والد روزالي .

وكان هؤلاء الثلاثة هردي وشانليت وبرنكايل .

أما المرأة فكانت لورانس .

إلى هنا انتهت وقائع هذه الرواية التاريخية ولم يبق علينا في ختامها إلا أن نبسط للقراء كيف كان مصير ابطالها .

فقد كان اول ما حدث ان الدوق حين وصوله إلى دييجون صحا من سكرة الجنون التي أصابته وذكر كل ما مر به وتولاه اليأس ومات منتحراً سنة ١٤٠٩ فخلفه في دوقيته فيليب لوبون .

وبقي شارل السادس مجنوناً كل مدة ملكه فاستبدت ايزابو بالأحكام وانشأت مجلساً للوكالة الملكية كانت هي رئيسته فظلمت ما شاء الظلم حتى ضج الشعب من مظالمها وفجورها .

وكانت الحروب لا تزال ناشبة بين الارمانوكيين والبورجونيين وعبون انكلترا محدقة بالبلاد الفرنسية .

فأرادت ايزابو الانتقام من الفرنسيين الخاقدين عليها فوطأت فيليب خليفة الدوق دي بورجونيا على تسليح البلاد الانكليز بمساعدة تروا فاستلم هنري الخامس ملك انكلترا عرش فرنسا سنة ١٤١٠ وبقيت البلاد الفرنسية بأيدي الانكليز إلى ان انقذها جان دارك .

وبعد ذلك لم تعد تتداخّل في الأحكام وماتت سنة ١٤٣٥ بعد ان حرمت ابنها شارل السابع من الملك محتقرة مكروهة من الجميع ما خلا عشيقها ريدون الذي شفاه ساان وأعادها اليها فلم يقتلها غير الحزن والقهر .

بقي ان نذكر ما جرى لروزالي وهردي فان امها لورانس عادت اليها تراً بصحبها هردي .

فوجدت ساان منهمكاً في معالجتها وقد اتقدت عيناه سروراً حين رأى هردي وأيقن من سلامته فقد بات يحبه حب الآباء للأبناء .

ولكنه امتعض حين علم بفرار الدوق فانه على علمه وسمو نفسه كان لا يزال حاقداً عليه .

وفي اليوم التالي خلا هردي وبسط له ما يهدق من الاخطار من اقامته في باريس .

لأن السلطة باتت في يد الملكة وانفقوا على ان يبرحوا جميعهم باريس إلى إحدى القرى المعزولة فان السكون ونقاء الهواء يساعدان على شفاء روزالي. وفي ذلك اليوم خرج ساغان وهردي ولورانس وروزالي من باريس إلى قرية جميلة في الريف .

وأقام ساغان يعالج الفتاة شهراً حتى شفيت من جرحها ولم تعد تشكو إلا من المزال والشحوب الناتجين عن فقر الدم .

وهنا جاء دور هردي بالمعالجة فكان يخرج كل يوم إلى الغزاة مع خطيبته فيسيران ساكتين واجميين لا يتكلمان بغير القلوب والابصار ويلتقلان من منزله إلى آخر كما تنتقل الاطيار على الأشجار .

وبتهاديان بما يقطفانه من الأزهار كأنها رسائل غرام خطتها يد الطبيعة ثم يعودان وهي متكأة على ذراعه وهما يجيدان المسافة قصيرة المدى ويتمنيان لو يسيران على مثل تلك الحال إلى آخر خطوة من الحياة .

وقد قدمتها سعادة هذا الحب في مدارج العافية فتراجعت قواها وتورد خداهما حتى كان طبيبها ساغان يعجب مما يراه في كل يوم من آثار التعافي حين عودتها من الغزاة ويعلم ان مناجاة الغرام النجيع من دوائه في معالجة الادواء . وبعد ثلاثة اشهر احتفلوا بزواجهما احتفالاً بسيطاً لم يحضره غير ساغان ولورانس وشاتليت وبرنكايل .

حتى إذا تم الزفاف وعادوا إلى المنزل قدم ساغان للعروسين هدية العرس وهي كل ما يملكه من تلك الجواهر النادرة التي لا يوجد مثلها في قصور الملوك . واكره العروسين على قبول تلك الثروة وعاش بينهما فكان بمثابة أب حنون . أما هردي فقد بقي مقيماً في الريف إلى ان نعت الأخير الملكة ايزابو تلك المرأة الجهنية التي حرمت ابنها من الملك وسلت بلادها للانكليز فعاد إلى باريس .

﴿ تمت رواية الملكة ايزابو ﴾